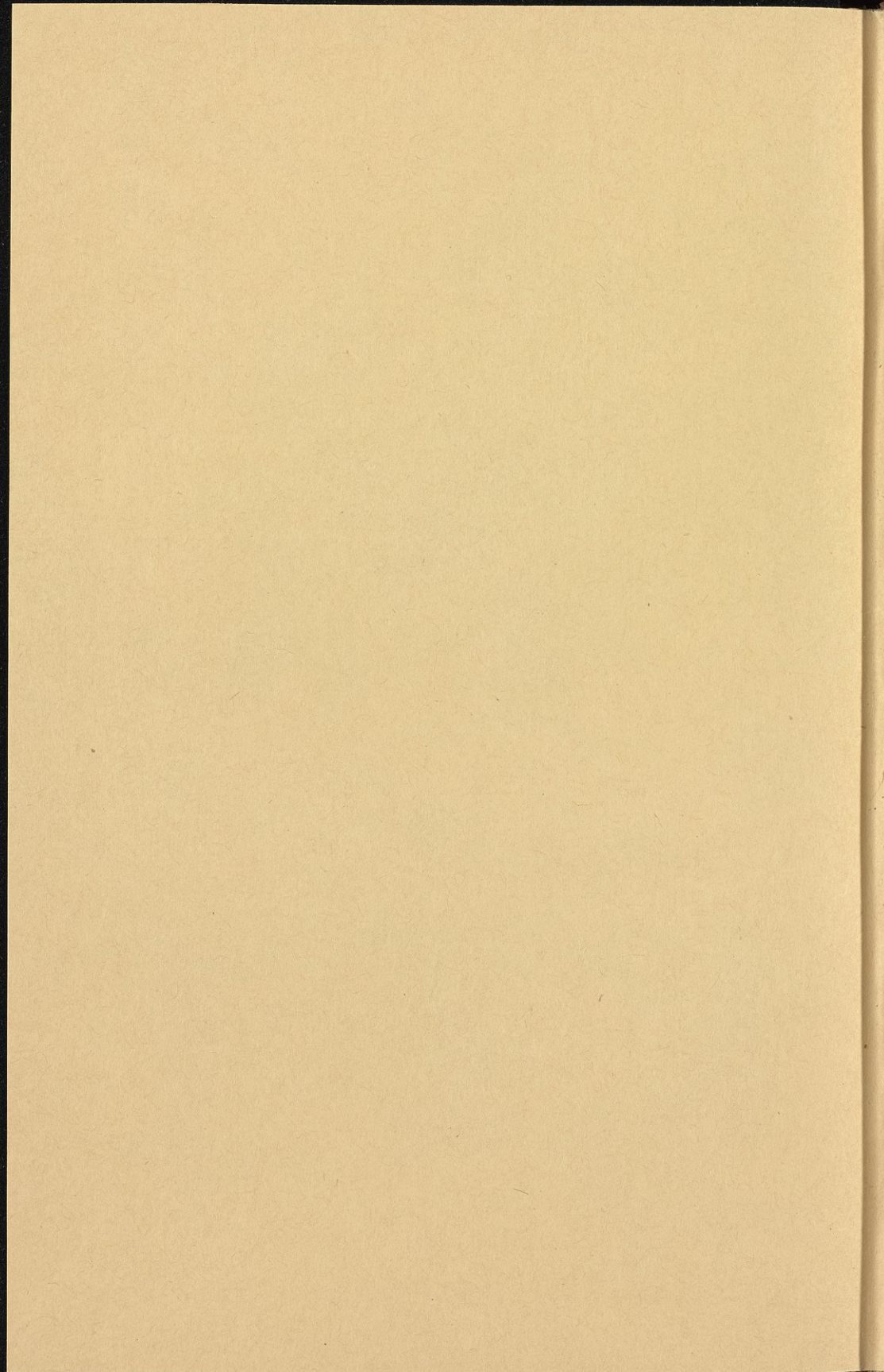
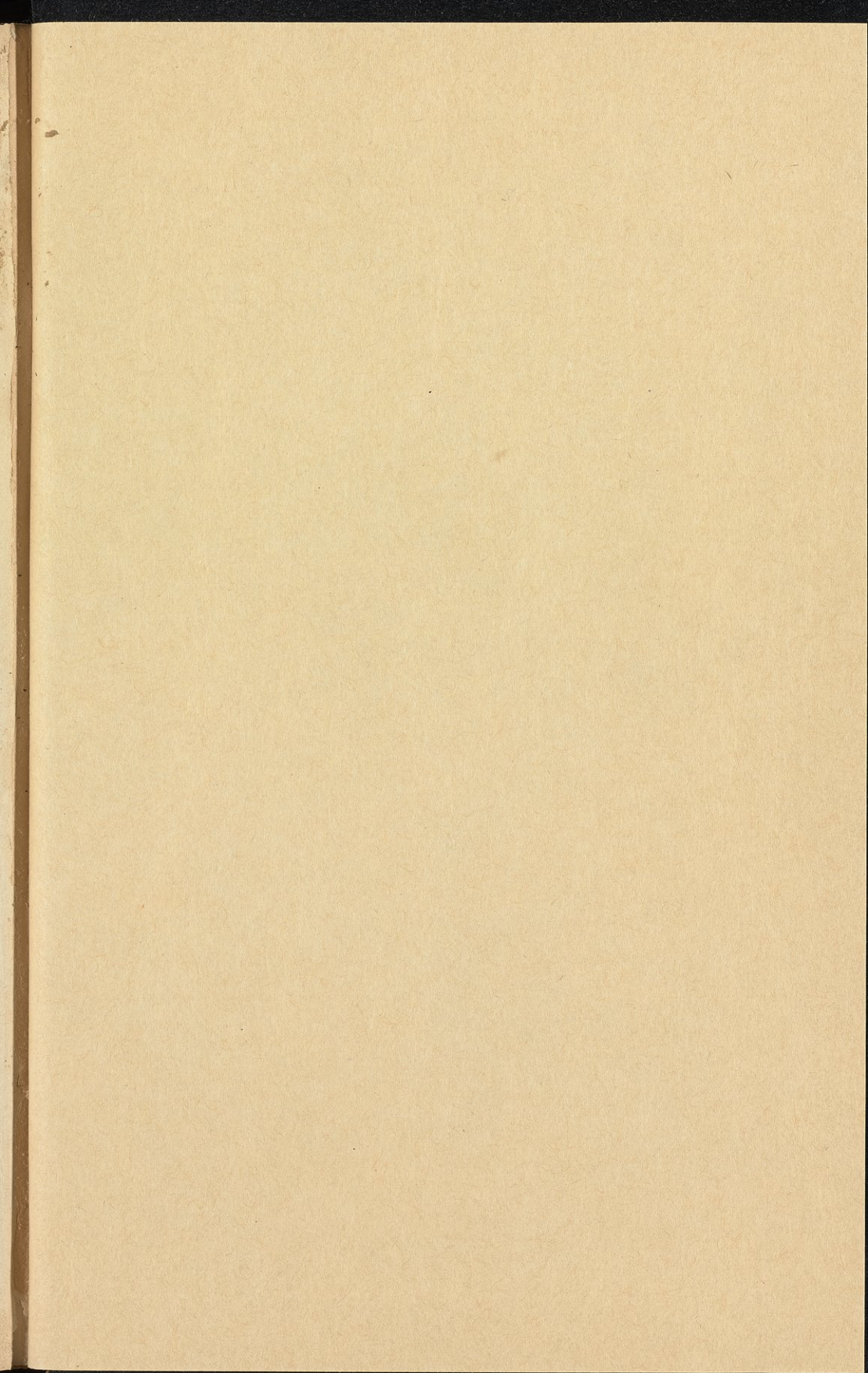


GENERAL
LIBRARY





كتاب
المسجد الشرقي

تأليف

مصطفى كامل

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف



(الطبعة الاولى)

طبع بمطبعة الآداب بمصر سنة ١٨٩٨

D
374
.M84

544
125
6/28/84



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه خير الانبياء والمرسلين . { و بعد }
فقد شهد هذا العام فوز الدولة العلية في حربها مع اليونان فوزا عظيما
وانتصارها نصرا مينا ورأى العالمون بين أصدقاء للدولة وأعداء براهين
حياتها ودلائل شبيبتها . فانتعشت نفوس أبنائها وأصدقائها وطمس الله على
قلوب خصومها وأعدائها حيث قضى لها بما قضى من الفوز والنصر
والسمو والرفعة

وقد طاب مني بعد انتهاء الحرب بعض أصدقاء يحسنون الظن بشخصي
الضعيف ان أكتب تاريخ هذه الحرب الشهيرة فأجبت الطاب لاعن شعور
بمقدرتي على ذلك بل عن سرور جزيل وحبور نادر المشيل بما نالت الدولة
العلية حماها الله

وقد أحييت أن أقدم للقراء الكرام قبل تاريخ الحرب ملخصاً عن
المسئلة الشرقية التي هي موضوع اشتغال الشرقيين والغربيين . واني أسأل
القراء الكرام عذراً اذا كنت اضطرت للايجاز في بيان المسئلة الشرقية فقد
قضي على الوقت بذلك . وأؤمل العودة لموضوعها في فرصة أخرى مع
بيان أوفى وأشفي

واني أضرع الى الله فاطر السموات والارض من فؤاد مخلص وقلب
صادق أن يهب الدولة العلمية القوية الابدية والنصر السرمدي ليعيش
العثمانيون والمسلمون مدى الدهر في سؤدد ورفعة . وأن يحفظ للدولة
العثمانية حامى حماها وللاسلام أمامه وناصره جلالة السلطان الاعظم
والخليفة الاكبر الغازى (عبد الحميد الثانى) وأن يحفظ لمصر في ظل جلالاته
عزيزها المحبوب وأميرها المعظم سمو الخديو (عباس حلمى باشا الثانى)
ان ربى سميع مجيب

مصر في شعبان سنة ١٣١٥ - يناير سنة ١٨٩٨

(مصطفى كامل)





المسألة الشرقية

اتفق الكتاب والسياسيون على ان المسألة الشرقية هي مسألة النزاع القائم بين بعض دول أوروبا وبين الدولة العلية بشأن البلاد الواقعة تحت سلطانها وبعبارة أخرى هي مسألة وجود الدولة العلية نفسها في أوروبا . وقد قال كتاب آخرون من الشرق ومن الغرب بأن المسألة الشرقية هي مسألة النزاع المستمر بين النصرانية والاسلام أي مسألة حروب صليبية متقطعة بين الدولة القائمة بأمر الاسلام وبين دول المسيحية . الا أن هذا التعريف وان كان فيه شيء من الحقيقة فليس بصحيح تماما . لأن الدول التي تنازع الدولة العلية وجودها لاتعاديها باسم الدين فقط بل في الغالب تعاديها طمعا في نوال شيء من أملاكها . وقد أرانا التاريخ أحوالا كثيرة لم يستعمل الدين فيها الاسلحة أو وسيلة لنوال غرض جوهرى فهو ستار تخفي وراءه أغراض شتى وأطماع مختلفة

والذى يراجع تاريخ الدولة العلية ويقلب صحائف أمورها من أول وجودها الى اليوم يرى ان المسألة الشرقية نشأت مع الدولة نفسها . أى انه منذ

وطأت أقدام الترك ترى أوروبا وأسسوا دولتهم الفخيمة قام بينهم وبين بعض الدول الأوروبية النزاع الشديد ودارت الحروب العديدة . وبالجملة فإنه منذ ظهرت صولة الترك في أوروبا أخذت بعض الدول على عهدتها معاداة الدولة ومطاردتها والعمل على اخراجها من هاته القارة . ولكنها أعمال حبطت وآمال خابت إذ أصبح أمر بقاء دولة آل عثمان من أول الامور الضرورية اللازمة لسلامة بني الانسان

وقد وهب الله الدولة العثمانية سلطة عالية ورهبة عظيمة حينما طويلا من الزمان فاخضعت لسلطانها الامم والدول وأرهبت بقوتها وعظمتها كل قوى وكل عظيم ورفعت رايتها المملالية الجليلة على أصقاع شاسعة وأقطار واسعة ، فابقت فتوحاتها وانتصاراتها في نفوس الامم المقهورة بغضاء كامنة وعداوة لدودة . فكان ذلك السبب الاول في الحروب العديدة التي وجهت ضدها وأقيمت في وجهها

ولما كانت البلاد الواقعة تحت سلطة الدولة العلية من أجل بلاد العالم وأغناها فقد تآقت نفوس أصحاب الدول الأوروبية لاخراج الترك من هذه البلاد وتقسيمها بينها . فكانت هذه الدول تحارب الدولة العلية بأمل تقسيمها شيئاً فشيئاً والاستيلاء على أجزائها جزءاً جزءاً ، وهذا هو سبب آخر لعداوة بعض الدول الأوروبية للدولة العلية

وإذا دققنا النظر في سبب العداوة المشهور وهو مسألة الدين وجدنا ان الدولة العلية هي الدولة الوحيدة في دول الارض التي عاملت رعاياها الذين يدينون بغير دينها بالتسامح والتساهل والاعتدال . فقد اتبعت أوامر

المسلم لتزقي
على هذا السبب
ان ثبت

الشرع الشريف وتركت للمسيحيين حرية دياناتهم وعقائدهم وتقاليدهم واحترمت عقائدهم كل الاحترام. فعاشوا طويلا متمتعين بهاته الحرية على حين ان مسيحي اسبانيا قتلوا المسلمين لانهم مسلمون وهتكوا أعراض نسلهم وحرمة بيوتهم ومارحوا انسانا

ولم تكثف الدولة العلية حماها الله بحسن معاملة المسيحيين واحترام اديانهم وعقائدهم بل عاملتهم كأغز ابناءها المسلمين ولم تميز بين هؤلاء وبينهم وسلكت مع الكل طريق المساواة وعينت الكشيرين من المسيحيين في المناصب السامية والوظائف العلية وإئتمتهم على أمورها وجعلتهم محل ثقها. وبقاء المسيحيين الي اليوم في الدولة العلية اكبر شاهد على اعتدالها الديني في الماضي وفي الحاضر بل بقاء الجنسيات المختلفة كالبلغار والصرب واليونان وغيرها دليل ساطع وبرهان قاطع على أن الدولة العلية احترمت من نفسها وبمحض إرادتها دين الذين وقعوا تحت سلطتها ولم تقهر أحداً على اعتناق الدين الاسلامي. ويعترف الكتاب والمؤرخون جميعاً بل ويعترف كل انسان في الوجود مجرد عن الغرض الاعمى ان الدولة العلية كان في قدرتها يوم كانت أقوى دول الارض أن تجبر كل المسيحيين في بلادها على اعتناق دين الاسلام أو أن تطردهم من أراضيها اذا خالفوا رغبتها. ولكنها احترمت الشرع الشريف فاحترمت الدين المسيحي وأصحابه

وهي حقيقة يقرها التاريخ وينطق بها كل منصف محب لها، ولكن من غرائب أحوال هذا الوجود أن هذه الفضيلة السامية وهذه المكرمة

ربما ضاعدا
بصر

الفريدة كانت أكبر سبب لكل ما لحق الدولة العلية من الضرر والاجحاف
وأصلا لكل ما حل بها من المصائب والبلايا . فاحترامها لعقائد المسيحيين
على اختلاف أنواعهم أقام أمامها بعض دول أوروبا بحجة المسيحيين أنفسهم
وكان سببا لحروب جمة

فمسئلة اختلاف الدين في الدولة العلية التي هي نتيجة الاعتدال الديني
والعدل والانصاف كانت ولا تزال الداء الدفين الذي يهدد حياة الدولة
من وقت الى آخر . فتم داخل الدول الأوروبية في شؤون الدولة العلية
باسم المسيحيين المحكومين بها . ومضايقة أوروبا بالدولة باسم هؤلاء المسيحيين
واضطرابات الدولة تقوم باسم هؤلاء المسيحيين . والانذارات التي توجه
للدولة توجه باسم هؤلاء المسيحيين بل وأغلب الحروب التي جرت مع الدولة
جرت باسم هؤلاء المسيحيين . ويعلم الله أنهم سعداء الحظ في الدولة العلية
وان تداخل أوروبا بحجة نصرتهم لازوم له البتة

ولو أنصفت الدول الأوروبية قليلاً لا اعترفت بهذه الحقيقة الواضحة
وهي ان المسيحيين في الدولة العلية لا ينقصون عن المسلمين في حسن المعاملة
ان لم يكونوا من الراجحين . وهاهم اليهود لا يثورون ولا يهيجون
ولا يشتكون ولا يتألمون بل يحمدون الدولة ليلاً ونهاراً في السراء والضراء
ويسبحون في كل آونة بنعمها عليهم وحسن رعايتها لهم . وما ذلك الا
لأنه لا يوجد في الدول الأوروبية دولة تدعى الدفاع عنهم والعمل لمصالحهم
فهم ليسوا بآلات في الدولة ضد الدولة بل هم يعرفون من أنفسهم أنهم
عثمانيون ممتعون بكل الحقوق العثمانية . وأما العناصر التي كالارمن تستعملها

بستزاده مناج
انور من

بعض الدول كانكثرها فهي تشور بعوامل الدين وبدسائس دينية . وقد ثبت ذلك جليا في المسئلة الارمنية وشوهد ان الارمن الكاثوليك كانوا على سكينه تامه بينما كان البروتستانت يثورون ويدبرون المكائد ضد الحكومه العثمانية فمسئلة الدين في الدولة العلية هي الآلة القوية التي يستعملها أصحاب الدسائس والغايات وأولئك الذين يثورون بدسائس أعداء الدولة انما يثورون ضد أنفسهم ويقضون على حياتهم وسعادتهم بعيشهم وجنودهم واتباعهم لا واصر أعداء الدولة المحركين لهم . فالذين ماتوا من الارمن في الحوادث الارمنية انما ماتوا فريسة الدسائس الانكليزية . والذين ماتوا في كريدما توافريسة الدسائس الانكليزية . بل والذين ماتوا من جنود اليونان في تساليا ماتوا فريسة الدسائس الانكليزية نفسها ومن يعمل بنصيحة أعداء الدولة ويتبع أوامرهم جزاؤه مانال الارمن واليونان

وبديهي ان دولة مثل دولة انكلترا التي تدعي محبة المسيحيين في الشرق والعمل لراحتهم وسعادتهم لو كانت صادقة في دعواها لرات من الواجب عليها ان تصافي الدولة العلية حتى تنال منها متمناها بشأن المسيحيين . والا فمن الجنون في السياسة ان تدعي انكلترا محبة المسيحيين ثم تعادي الدولة العلية القابضة يديها على زمام أمور المسيحيين . فهل يقبل العقل البشري ان دولة قوية كالدولة العلية تعمل في بلادها على خلاف رغبتها وتبيل أصدقاء الانكليز أي أصدقاء أعدائها الراحة والسعادة والهناء ؟ هل يقبل العقل البشري ان المسيحيين المدافعة عنهم انكلترا يعادون المسلمين ثم يسألونهم معاملتهم بالرفقة واللطف وحسن العناية بهم ؟

دولة
في آسيا
التي
على
الحدود

ان الاتفاق والوفاق بين المسلمين والمسيحيين في الدولة العلية لا يكون نتيجة الضغط والقوة بل نتيجة الميل المتبادل وحسن النية من الجانبين والاخلاص والوفاء للدولة العلية . واذا كانت دول اوروبا تريد حقيقة سعادة المسيحيين في الشرق فأول واجب عليها هو ان تأمرهم لامثال لاوامر الدولة واتعلق بها والاخلاص في خدمتها . والا فالدولة أوفالدول العاملة على القاء بذور الشقاق والعدواة بين المسلمين والمسيحيين لا تجني ويستحيل ان تجني شيئاً آخر غير العداوة المرة والحصومة الشديدة

وغنى عن البيان ان المسلمين في الدولة العلية متي رأوا فريقاً من اخدانهم المسيحيين يعمل بأوامر الاجنبي عدوه خائناً للوطن العثماني ناكثاً لعهد الدولة العثمانية أى عدواً دخيلاً في الوطن والملة والدولة . ووجب عليهم العمل ضده بكل مافي استطاعتهم قياماً بواجباتهم الوطنية . وهذا هو الشأن في كل أمم العالم فلو فرضنا ان فريقاً من الانكليز قام يوماً مافي انكثرا باحداث الاضطرابات والثورات تنفيذاً لاوامر دولة أجنبية كالروسيا أو المانيا أو فرنسا . فأى واجب تحتمه الوطنية عندئذ على بقية الانكليز ؟ أليس القضاء على هؤلاء الخونة المنفذين لاوامر دولة أجنبية بكل الوسائل القائمون بالثورات والاضطرابات في الدولة العلية خونة منفذون لاوامر أعداء الدولة يجب على العثمانيين الصادقين اعلان العداء لهم والانتقام منهم بكل مافي الجهد والاستطاعة

ويستحيل الوصول كما قدمنا الى الاتفاق السليم الصحيح بين المسيحيين والمسلمين في الدولة العثمانية الا باخلاص الجميع لها اخلاصاً تاماً

يعلم السراي
بأوامر الاجنبي
في مصر والمدينة
انضم

نظمه للتضامن
عنه من اجل

هذه هي الحقيقة وحدها دون غيرها

وإذا كان اختلاف الدين في الدولة العلية هوداء من أدواها بل هو أكبر أدواها فالدخلاء في الدولة العلية داء عضال وبلية لا يعادلها بلية . فان الذين كانوا سببا في هزيمة الدولة في حروب مختلفة هم الدخلاء والذين ساعدوا الدسائس الاجنبية هم الدخلاء . فلقد دخل في جسم الدولة العلية كثير من الاجانب نساء ورجالا وغيروا أسماءهم باسماء اسلامية وعملوا على الارتقاء في المناصب حتى وصل بعضهم الى أسماها وصاروا من أقرب المقربين فعرضوا بالدولة للدمار وأطلعوا أعداءها على أسرارها . وقد انتشر الدخلاء في الزمن السالف في كل فروع الدولة العلية حتى في الجيش نفسه وصارت لهم سلطة عظيمة ونفوذ كبير وكنت تجد من وزراء الدولة العلية من يعمل لصالح روسيا مدعيا انه روسي السياسة ومن يعمل لصالح انكلترا مدعيا انه انكليزي السياسة ولكن ليس منهم من كان عثمانيا السياسة ولولا ان الامة العثمانية أمة حية قوية عظيمة الشامة والوطنية لكانت تلاشت اليوم بدسائس الدخلاء ولو كان للدخلاء في دولة أخرى ما كان لهم في الدولة العلية من السلطة والحول لكانت تقوض بنيانها وتداعت أركانها . وان أعظم سلطان جالس على أريكة ملك آل عثمان ووجه عنايته لابطال مساعي الدخلاء وتطهير الدولة من وجودهم هو جلالة السلطان الحالي . فلقد تعلم من حرب سنة ١٨٧٧ وما جرى فيها ان الدخلاء بلية البلايا في الدولة ومصيبة المصائب . فعمل بحكمته العالية على تبيد قوتهم وتربية الرجال الذين يرفعون شأن الدولة ويعملون

لإعلاء قدرها . وقد برهنت الحرب العثمانية اليونانية على ان للدولة اليوم رجالا من أبنائها الصادقين يخدمونها بالامانة والوفاء ويتفانون في محبتها وأن ليس للدخلاء من سبيل لنوال مآربهم السيئة . فأمثال صاحب الدولة « أدهم باشا » الذي كان مجهول الاسم عند الكثيرين من العثمانيين قبل الحرب كثيرون في الدولة العلية تظهرهم الحوادث وتعرفنا بهم وبقدرهم

المشكلات

وان أغرب شيء في أحوال الدولة العلية وفي تاريخها يدهش أعداءها ويحير الكتاب الكارهين لها هو بقاءها حية بعد كل المصائب التي تساقطت عليها والبلايا التي نزلت بها . فلقد رأيت هذه الدولة العثمانية مالم تره دولة من دول الارض القديمة والحديثة فقد كانت تتحالف معها بعض الدول كالمسا مثلا وتعمل وهي متحالفة معها على الاتفاق مع روسيا على تقسيمها . وقد كانت تتظاهر انكترا لها بالصدقة والوفاء وتسعي وهي متظاهرة كذلك على ضياع أملاكها من يديها وسقوطها في قبضتها . وقد كانت دول أوروبا كلها تجتمع وتحد على ما تسميه بالمبدأ المقدس مبدأ حماية استقلال الدولة العلية وسلامتها: ثم كانت هي بعينها أوروبا تجزي الدولة العلية باسم هذا المبدأ المقدس نفسه . وقد كان العاملون على تقويض أركان الدولة وحلها عديدين أقوياء . ومع ذلك كله لا تزال الدولة العلية حماها الله قوية ثابتة الاركان تخافها أقوى الدول ويخطب ودها أمبراطور شهد العالم كله بقوته وعظمته وبأسه

ولقد يندهش الانسان غاية الاندهاش عند ما يقرأ ما كان يكتب من

نحو مائة وعشرين سنة عن الدولة العلية ، فقد كان الكتاب والسياسيون يتناقشون في مشروعات تقسيمها فالبعض كان يريد ان يؤسس مكان الدولة العلية دولة « الاتحاد البلقاني » والبعض الآخر كان يريد اعادة ملك بيزانتان وكان سياسيو روسيا والنمسا يتباحثون في مشروع تقسيم الدولة بين دولتيهما فكل كان يضع مشروعا والجميع كانوا متفقين على ان الدولة قصيرة الاجل واكثرهم أملا في حياتها كان يجوز عليها في مشروعه بعشرة من السنين أو عشرين عاما . ولو بعث اليوم من القبور كتاب أو اخر القرن الماضي وسواسه ورأوا الدولة العلية قائمة عزيزة تحارب في آخر القرن التاسع عشر وتنتصر وتجتاز العقبات عقبه بعد عقبه وتصرف المصائب مصيبة بعد أخرى لكذبوا أعينهم وما صدقوا بالحقيقة

ولكن الحقيقة هي ان بقاء الدولة العلية ضروري للنوع البشرى وان في بقاء سلطانها سلامة أمم الغرب وأمم الشرق . وان الله جل شأنه أراد حفظ بنى الانسان من تدمير بعضهم البعض ومن حروب دينية طويلة بحفظ سياج الدولة العلية وبقاء السلطنة العثمانية . فقد لاقت هذه الدولة العثمانية في حياتها الطويلة اخطارا هائلة كانت تكفي لتداعي بنيان أقوى الممالك . وصرت عليها ملات كانت تنسك لها الدول القوية والممالك القاهرة بدون ان تمس حياتها الحقيقية بسوء بل بقيت حية تدهش العالم بشيبتها

وقد أحس الكثيرون في أوروبا من رجال السياسة ومن رجال الاقلام أن بقاء الدولة العلية أمر لازم للتوازن العام وان زوالها (لا قدر الله)

يكون مجلبة للاخطار أكبر الاخطار ومشعلة ليران يمتد لها بالارض شرقها
وغربها شمالها وجنوبها . وان هدم هذه المملكة القائمة بأمر الاسلام يكون
داعية لثورة عامة من المسلمين وحرب دموية لا تعد بعدها الحروب الصليبية
الا معارك صليانية

وان الذين يدعون العمل لخير النصرانية في الشرق يعلمون قبل كل
انسان أن تقسيم الدولة العلية أو حلها يكون الضربة القاضية على مسيحي
الشرق عموما قبل مسلميه . فقد أجمع العقلاء والبصيرون بعواقب الامور
على أن دولة آل عثمان لا تزول من الوجود الا ودماء المسلمين والمسيحيين
تجري كالانهار والبحار في كل واد

وهي الملمة التي يجب على محبي الانسانية الصادقين في محبتهم العمل لمنع
وقوعها ودفعا بتعزيد الدولة العلية وتقوية سلطانها

ولقد اعتقدت الآن روسيا كما اعتقدت النمسا — وقد كانتا العدوتين
القديمتين للدولة العلية — بأن تقسيم الدولة العلية أمر مستحيل فعملت
كلتاها على المحافظة على السلام العام بالمحافظة على سياج الدولة العثمانية

فقد رأت النمسا ان حروبها مع الدولة العلية أضرت لها ضررا بليغا وظهرت
النتائج المشؤومة لهذه الحروب . فقد ضعفت النمسا من حروبها مع الدولة
العلية وانتهى بها الامر ان فقدت أملاكها الايطالية التي تكونت منها
ايطاليا الحالية وفقدت كذلك امام بروسيا جزءا عظيما من مقاطعاتها الالمانية
ولقد عملت النمسا في عهد عدائها للدولة العلية على تهيج أمم البلقان
ضد السلطنة السنية باسم مبدأ الجنسيات لانها بصفتها دولة كاثوليكية كان

لا يمكنها ان تهيج هذه الامم الارثوذكسية باسم الدين . فكانت نتيجة تهيج النمسا لامم البلقان باسم الجنسيات وبالاعليها . وذلك ان مبدأ الجنسيات نفسه وجد أنصارا كبارا في قلب المملكة النمساوية فقامت الحرب ونالت حريتها واستقلالها النوعي باسم مبدأ الجنسية المجرية . وهاهي أمة البوهيم قائمة اليوم بالمطالبة باستقلالها النوعي باسم مبدأ الجنسية البوهيمية . وقد أصبح من الظاهر للعيان ان دولة النمسا تنازع نزاع الموت في الايام الحالية بفضل مبدأ الجنسية

أما روسيا فقد قامت دائماً في المسئلة الشرقية باسم الدين الارثوذكسي فعملت لاخراج الرومانيين واليونانيين والصربيين والبلغاريين وأهل الجبل الاسود من تحت سلطة الدولة العلية باسم الدين الارثوذكسي . فنشأ عن ذلك مع استقلال هذه الامم الصغيرة عداوة شديدة بينها وبين بعضها لما وجدت في نفسها من الطمع لتوسيع دائرة أراضيها . ذلك فضلا عن ان الكنيسة اليونانية التي هي أم الكنائس الارثوذكسية أصبحت غير معتبرة عند البلغاريين والصربيين . والنزاع القائم بين هذه الجنسيات المختلفة في مقدونيا بين جيادا درجة عداوتها لبعضها ودرجة الخطر الذي صارت اليه بلاد البلقان بسبب مسئلة الجنس والدين

واذا بحثنا فيما اكتسبته روسيا من حروبها مع الدولة العلية نجد انها عادت تركيا قرنا ونصف قرن وحاربتها المرار العديدة وفقدت الرجال والمال بكثرة عظيمة في كل حرب . ولم تنل في الحقيقة من كل حروبها الا بلاد القرم والقوقاز . وقد رأيت روسيا مالم تكن تظنه أبدا وهو

على كل حال
فقدنا قسماً
من أمة الدولة

ان بعض البلاد الصغيرة التي حررتها كصربيا وبلغاريا واليونان ورومانيا عادت لها أشد العداة . ولا تزال صربيا ورومانيا واليونان سائرة في سياسة لا ترضى الروسية . وعلى الاخص رومانيا التي تمكن بينها وبين المانيا والنمسا والدولة العلية الصفاء والوداد . ولم تعدل بلغاريا نفسها في سياستها مع روسيا الا في هذه السنين الاخيرة من يوم اعتناق البرنس بوريس ولي عهد بلغاريا للدين الارثوذكسي

وقد رأت روسيا من جهة ان حروبها مع الدولة العلية لا تفيد غير انكسار التي قوى مركزها في آسيا وفي الشرق الاقصى والتي لها أعظم مصاحبة في اضعاف قوة روسيا واطاعتها الوقت والمال والرجال في حروبها مع الدولة العلية . ورأت كذلك من جهة أخرى انه يستحيل عليها أن تأخذ الاستانة وتنفذ وصية بطرس الاكبر لما تلاقيه في القيام بهذا الأمر من قبل الدولة العلية ومن دول اوربا نفسها وفي مقدمتها فرنسا حليفها . ولذا فضلت روسيا الاهتمام بمسائل الشرق الاقصى ومسألة تركيا . وقد تحقق العثمانيون من هذه المسألة في المسئلة الارمنية وفي مسألة الحرب الاخيرة

نظم جريده

وقد شهد السياسيون بأنه لا يوجد في تاريخ علاقات الدولة العلية مع روسيا مثال للمسالمة والصدقة مثل التلغراف الذي بعث به جلالة القيصر الى جلالة السلطان يرجوه فيه أن يصدر أمره بايقاف الحرب مع اليونان أما الدولة التي أصبحت في هذه السنين الاخيرة حاملة لراية الغدوان ضد الدولة العلية فهي انكسار عدوة الاسلام وعدوة مصر

فلقد قضت هذه الدولة أزمانا طويلة ظهرت فيها للدولة العلية بمظهر الصديقة الوفية والخليفة الامينة . وكانت تكسب من هذه الصداقة الكاذبة بقدر ما كانت تخسر تركيا . فان لانكترامصلحة عظمى دائمة في ان روسيا تحارب تركيا لتضعف قواها فلا تستطيع مطاردة الانكيز في الهند والشرق الاقصى وتضعف تركيا فتستولى انكتر على شيء من أملاكها بحجة الدفاع عنها . وفوق ذلك فان انكتر اكسبت كثيرا من صداقة تركيا لها — بقطع النظر عن المكاسب المادية والتجارية والصناعية — بما كانت تتيها هذه الصداقة من النفوذ عند المسلمين ومن السلطة التامة على مسلمي الهند . فلقد كاد أهل الهند يطردون الانكيز من بلادهم في ثورة سييبي الشهيرة لولا صداقة تركيا لهم هذه الصداقة التي حملت المرحوم السلطان (عبدالمجيد) على اصدار منشور لمسلمي الهند أمرهم فيه بالركون الي السكينة والهدوء وعدم القيام باحداث الاضطرابات ضد حكومة صديقتهم « ملكة بريطانيا »

فاذا كان الانكيز في الهند قد عاشوا طويلا آمنين ثمر المسلمين فالفضل في ذلك الالدولة العلية . وهامهم اليوم يدعون ان تركيا « عدوتهم الحالية » وصديقتهم القديمة أو عزت الي الهنود المسلمين بالثورة فثاروا ولا يزالون ثأرين . وسواء كانت ثورتهم بايعاز من تركيا — وهو مالا أظنه لان الثورة قائمة بها قبائل معلومة ولو كانت الدولة العلية أو عزت بالثورة لثار مساهو الهند جميعا — أو بايعاز من ضمائرهم ونفوسهم . فدعواهم هذه دليل ساطع على انهم استفادوا كثيرا من تظاهرهم بالصداقة للدولة

العلية . وان اشهارهم العداوة لتركيا لا يضر الابهم
ولقد أدركت الحكومة العثمانية من يوم ان تولي أمور الدولة العلية
جلالة السلطان الاعظم (عبد الحميد الثاني) ان انكلترا خداعة في ودها وانها
تضر بمن تتظاهر لهم بالصدائة أكثر مما تضر باعدائها الظاهرين . فقد
أخذت من الدولة العلية قبرص بدعوى مساعدتها ضد روسيا في مؤتمر
برلين ثم دخلت المؤتمر وخرجت منه بدون ان تستفيد تركيا من هذه
المودة الانكليزية الكاذبة أقل فائدة . بل ان الدولة العلية فقدت في هذا
المؤتمر مالم تفقده قط في مؤتمر آخر

وقد شعرت روسيا كذلك بعد حرب سنة ١٨٧٧ انها لا تستفيد من
حروبها مع تركيا ما يعوض عليها خسارها العظيمة في هذه الحروب ففضلت
سياسة مسالمة الدولة على سياسة العدا . فكان هذا التاريخ مبدأ للشقاق
والعداوة بين الدولة العلية وبين انكلترا . وقد ظهرت هذه العداوة بمظهرها
التام الواضح بعد احتلال الانكليز لمصر . حيث رأى جلالة السلطان في
هذا الاحتلال وفي خطة الانكليز فيه وفي خداعهم لجلالته ما علم منه ان
الانكليز لا يصدقون لهم وانهم أكبر أعداء تركيا وان صداقتهم القديمة
المزعومة لم تكن الا حجابا ستروا وراءه عداوتهم المرة وأطماعهم الشديدة
ضد دولة آل عثمان

ومن ذلك الحين عملت انكلترا على دس الدسائس ضد السلطنة السنية في
كل أنحاء الاملاك المحروسة فأهاجت الارمن واللكريديين والدروز . ولكن
دسائسها لم تأت بغير نتيجة واحدة . وهي اضعاف هذه العناصر التي اتخذتها

انكتر الآت لها واطهار قوة الدولة العلية أمام الملائكة. وقد علمت اليوم كل العناصر على اختلافها وجميع الامم صغيرة كانت أو كبيرة ان عدو اليونان الحقيقي ليس بتركيا التي صبرت على رذائلها طويلا بل انكتر التي شجعتهما على الحرب وساعدتها في السر والجهر وملاّت مقدونيا من الاسلحة والدنانير الانكليزية مؤملة قيامها في وجه تركيا أثناء الحرب فخابت آمالها وحبطت مساعيها ورجعت مخذولة خذلانا سياسيا دونه خذلان اليونان الحربي

وقد حسب الانكليز أنهم يبلغون متمناهم من مصر ووادي النيل ويضعون بذلك أيديهم على الحجر الاساسي للخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية. ولكن مالا ريب فيه هو أن نصيهم في مصر الفشل عاجلا أو آجلا. ولا يغرن القراء سيرهم الحالي في بلاد وادي النيل فانما هو نتيجة ضعف رجال مصر الذين سلمت اليهم مقاليد الامور. واستيلاء الانكليز على الادارات المصرية لا يؤثر مطلقا على جوهر المسئلة نفسها. وحيث فشل نابليون الاول يفشل الانكليز ولا محالة

وقد علمت انكترا ان احتلالها لمصر كان ولا يزال ويكون مادام قائما سببا لعداوة بينها وبين الدولة العلية وان المملكة العثمانية لا تقبل مطاقا الاتفاق مع انكترا على بقلها في مصر. اذ ان مسئلة مصر بالنسبة لتركيا والخلافة تعد مسئلة حيوية. ولذلك رأت انكترا أن بقاء السلطنة العثمانية يكون عقبة أبدية في طريقها ومنشأ للمشاكل والعقبات في سبيل امتلاكها مصر. وان خير وسيلة تضمن لها البقاء في مصر ووضع يدها على وادي النيل هي هدم السلطنة العثمانية ونقل الخلافة الاسلامية الى أيدي رجل

غور ويا
لوحت

يكون تحت وصاية الانكليز وبمثابة آلة في أيديهم .. ولذلك أخرج
 سياسة بريطانيا مشروع الخلافة العربية مؤملين به استمالة العرب لهم
 وقيامهم بالعصيان في وجه الدولة العلية . ولكن العرب وغير العرب من
 المسلمين أرشد من أن يخذعهم الانكليز بعدما صر من الامور وما جرى
 من الحوادث . ولذلك أيضا كنت تري الانكليز ينشرون في جرائدهم
 أيام الحوادث الارمنية مشروع تقسيم الدولة العلية حماها الله جاعلين
 لانفسهم من الاملاك المحروسة مصر وبلاد العرب أي السلطة العامة
 علي المسلمين

سلام فارغ
 ابعدها كله
 لم يخذعوا

والذي يبغض الانكليز علي الخصوص في جلالة السلطان الحالي هو
 ميله الشديد الى جمع كلمة المسلمين حول راية الخلافة الاسلامية . وهو
 أمر يحول بينهم وبين أسمي أمانتهم أي إيجاد الشقاق بين المسلمين
 وبعضهم وخروج بعض المسلمين علي السلطنة العمانية . ومن ذلك يفهم
 القاري سبب اهتمام الانكليز بالافراد القليلين الذين قاموا من المسلمين
 ضد جلالة السلطان الاعظم وسبب مساعدتهم لهم بكل مافي وسعهم
 وان انكثرا تعلم علم اليقين انها لو استطاعت أن تجعل خليفة المسلمين
 تحت وصايتها أي آلة لها يكون لها سلطة هائلة ونفوذ لاحدله في سائر
 انحاء المعمورة . فانها تستطيع عندئذ (لا قدر الله) ان تنفذ رغائبها عند
 المسلمين التابعين لها وغير التابعين بواسطة هذا الخليفة . ولذلك فهي
 بعملها علي هدم السلطنة العمانية تعمل علي تحقيق غرض بعيد هو اكبر اغراضها
 وأمنية سياسية دونها كل الاماني

وكما ان مشروع الاستيلاء على السودان بواسطة مصر هو من
 المشروعات القديمة عند الانكليز - ويثبت ذلك ارسال غوردون وسامويل
 باكر الى آخر السودان بواسطة حكومة مصر التي أحسنت الظن بالانكليز -
 فان مشروع جعل الخلافة الاسلامية تحت وصاية الانكليز وحمايتهم
 هو مشروع أتكره الكثيرون من سواسهم منذ عهد بعيد. وقد كتب
 كتاب الانكليز في هذا الموضوع ومنهم المستر بلانت المعروف في مصر
 فقد كتب كتابا قبل احتلال الانكليز لمصر في هذا المعنى سماه { مستقبل
 الاسلام } وأبان فيه أغراض حكومة بلاده وأمانى الانكليز في مستقبل
 الاسلام وقد كتب في فاتحة كتابه

لا تقنطوا الدر ينثر عقده ليعود أحسن في النظام وأجملا

أى ان هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين بل ان هذا العقد
 العثماني ينثر ليعود عقدا عربيا أحسن وأجمل ! - ولكن ما لم يقله المستر
 بلانت هو ان قومه يريدون هذا العقد العربي في جيد بريطانيا
 لا في جيد الاسلام !!

ويبين المستر بلانت في كتابه هذا قوة العالم الاسلامي وكيف ان
 المدير لاموره يكون قويا واسع السلطنة ويبين كذلك مشروع نابليون الاول
 وكيف انه أراد ان يكون خليفة المسلمين وان يقود قواهم - وهو يريد
 بذلك استلقات أنظار قومه الى مشروع هم القائلون به الآن ويبين المستر بلانت
 أيضاً ان مركز الخلافة الاسلامية يجب ان يكون مكة وان الخليفة في
 المستقبل يجب ان يكون رئيسا دينيا لا ملكا دنيويا ، أى ان الامور الدنيوية

خرجت من كتابه يوم
 الخ

هذا ارجح
 ازعل المعروف
 او ارجح من
 الخيانة به
 ما عملوه بقران
 خردوا انكار
 بلانت

تترك لانكترا تدبر أمورها كيف تشاء ! ويعقب المستر بلانت ذلك بقوله « ان خليفة كهذا يكون بالطبع محتاجا لحليف ينصره ويساعده وما ذلك الحليف الا انكترا ! » وبالجملة فحضرة المؤلف لكتاب مستقبل الاسلام يرى - وما هو الا مترجم عن آمال أبناء جنسه - أن الاليق بالاسلام أن ينصب انكترا دولة له ولم يبق للمستر بلانت الا ان يقول بان الخليفة يجب أن يكون انكليزيا !!

يتضح جليا للقارئ مما قدمناه ان ليس للسلطنة العثمانية وبالطبع للخلافة الاسلامية في هذه الايام عدو يجاهر بالعدوان لها ويعمل على دك أركانها وتقويض بنيانها غير انكترا . ويمكن تعريف المسئلة الشرقية اليوم بانها مسئلة النزاع القائم بين انكترا وبين بقية دول أوربا بما فيها الدولة العلية . فان معاداة انكترا للدولة العلية هي في الحقيقة معاداة لكل المسيحيين ولكل المسلمين أي للعالمين الغربي والشرقي

هدد بالكل
دولة وتناهي
ضامها بالمال
انظر بقورها
طحا الى توسع
انظر باية دولة

وان واجب أوربا أمام هذه الحرب السياسية حرب الدسائس والاكاذيب القائمة بها انكترا ضد الدولة العلية واضح جلي . فحتم عليها اذا كانت تعمل للمحافظة على السلام العام وعلى أرواح البشر أن تحبط مساعي انكترا في الشرق وان تقف لها بالمرصاد . ومن العدل ان نقول ان حكومتى فرنسا والروسيا قامتتا في المسئلة الارمنية بابطال الدسائس الانكليزية واحباط مساعي سواس انكترا . وأظن انه لم ينب عن ذهن انسان ان انكترا عرضت رسميا على الدول الاوربية خلع جلالة السلطان الاعظم فرفضت الروسي وفرنسا طلب انكترا قبل كل الدول . وقد قامت

المانيا في الحرب الاخيرة بواجب أوروبا كلها ضد انكلترا فتم للدولة العلية
 الظفر والنصر وتم لبريطانيا الفشل والخذلان
 أما واجب العثمانيين والمسلمين أمام عداوة انكلترا للدولة العلية فيمن
 لا ينكره الاخونة والخوارج والدخلاء . فواجب العثمانيين ان يجتمعوا
 جميعا حول راية السلطنة السنية وان يدافعوا عن ملك بلادهم بكل قواهم
 ولو تقاني الكثيرون منهم في هذا الغرض الشريف حتي يعيشوا أبد الدهر
 سادة لاعبيدا . وواجب المسلمين أن يلتفتوا أجمعين حول راية الخلافة
 الاسلامية المقدسة وان يعززوها بالاموال والارواح في حفظها حفظ
 كرامتهم وشرفهم وفي بقاء مجدها رفعتهم ورفع العقيدة الاسلامية
 المقدسة



كذا
 ومن الذي
 يطلب اليوم
 بتعيين الرئيس
 جورج اليوناني
 وابنا للكرسي
 المانيا

المسئلة الشرقية

في

القرن الثامن عشر

لقد حدثت في القرن الثامن عشر أزمة شديدة مهمة للمسئلة الشرقية هي الحرب بين الدولة العلية والروسيا التي طالت من أواخر عام ١٧٦٨ الى أوائل عام ١٧٧٥ . وهذه الازمة كانت شديدة غزيرة النتائج وأصلا لتداخل أوروبا في أمور الدولة العثمانية باسم الدين

وقد كانت روسيا حليفة للبروسيا في ذلك العهد مخالفة أمضي عليها فرديريك الكبير ملك بروسيا وكاترينا أمبراطورة البروسيا يوم ١١ ابريل سنة ١٧٦٤ وكان أجلها ثمان سنوات . وسبب تداخل البروسيا في المسائل الشرقية هو تحالفها مع البروسيا نحو قرن . وداعية هذا التحالف هي العداوة الشديدة التي كانت بين النمسا والبروسيا في المانيا وبين النمسا والروسيا في مسائل الشرق . وقد كان يعقد أحيانا اتفاق بين هذه الدول الثلاث وليكن العداوة بقيت طويلا بالرغم عن ذلك شديدة بينها وبين بعضها

ومن أسباب تحالف البروسيا والبروسيا غير ما ذكرناه اشتراكها في المصلحة ضد بولونيا التي كانت جمهورية وقتئذ وفي حالة من الفوضى عظيمة . وقد كان يروق للروسيا والبروسيا بقاء نفوذها قويا في بولونيا والعمل على زيادة الفوضى فيها لتمكننا من تقسيمها والاستيلاء عليها

وكان قد عقد بين فرنسا والنمسا عام ١٧٥٦ تحالف يضمن للنمسا مساعدة فرنسا الحربية والسياسية في كل أوروبا ويضمن لفرنسا عدم تداخل

النمسا ضدها في حالة قيام الحرب بينها وبين انكلترا . وقد حصل وقتئذ ان (أوجست الثالث) ملك جمهورية بولونيا توفي وأرادت الروسية بالاتفاق مع البروسيا أن تعين بدلا عنه (ستانيسلاس أوجست بونيا توفسكى) الذي كان محبوبا عند كاترينا أمبراطورة روسيا وعاشقا من أكبر عشاقها وكانت ترمي روسيا بهذا التعيين الى القاء بذور الشقاق والشحناء بين البولونيين واحداث الاضطرابات في بلادهم بواسطة هذا الملك الجديد فعلم عندئذ الوطنيون البولونيون لدى الباب العالي مستفيثين به لاجباط مساعي الروسية في تعيين (ستانيسلاس) ولكن سفير روسيا والبروسيا بالاستانة بدلا ضد هؤلاء الوطنيين كل جهدهم

وكان من صالح النمسا وفرنسا عدم نجاح روسيا والبروسيا في مساعهما لتعيين (ستانيسلاس) فخرضتا الدولة العلية ضد روسيا والبروسيا وأظهرتا لها فائدة تداخلها في صالح البولونيين . ولكن المرحوم السلطان (مصطفى الثالث) كان يعجب بفريدريك ملك البروسيا اعجابا زائدا فلم يرض لذلك العمل ضده . سيما وان تعيين (ستانيسلاس) كان لا يضر بمصالح الدولة مطلقا . فتم تعيين هذا الرجل ملكا لبولونيا يوم ٧ سبتمبر

سنة ١٧٦٤

وما استقر هذا الرجل على كرسي ملك بولونيا حتى خلق فيها المشاكل والاضطرابات طبقا لرغائب كاترينا وسهل لها التداخل في شؤونها الداخلية . فطلب عندئذ بتاريخ ٢٥ نوفمبر من السنة نفسها سفيرا روسيا والبروسيا من حكومة بولونيا جملة طلبات تحالف المصلحة البولونية

فرفضها مجلس نواب بولونيا وكان رفضه هذا سببا لتداخل روسيا
فدخلت بولونيا بجيوشها الجارية وأسالت الدماء وأنحت على الكثيرين من
الابرياء واستمرت الثورات في بولونيا تباعا والعالم كله ناظر اليها بلا حراك
حتى بلغت روسيا مرامها من هذه الديار التعيسة وصارت بولونيا
مستقلة في الظاهر محكومة في الباطن باهواء روسيا وأغراضها

وفي هذه الاثناء تعين المسيو (شوازيل) وزيرا لخارجية فرنسا وكان
ألد أعداء روسيا. وعلى الخصوص كان عدوا شخصيا لكاترينا فكتب
الي المسيو «دي فرجين» سفير فرنسا من الاستانة يأمره بعمل كل ما في
سعته لحلق المشكلات بين الدولة العلية وروسيا وأرسل اليه ثلاثة ملايين
من الفرنكات ليشتري بها ذمم بعض رجال الدولة. وكان الوطنيون
البولونيون حين ذاك يستغيثون بالدولة ليلا ونهارا

وحصل ان بعض قبوس روسيا جاؤا بلاد الدولة وأخذوا يهيجون
أهالي اليونان وكريد والجليل الاسود باسم الدين حاملين بأيديهم وعلى
صدورهم الصليب. وقام وقتئذ قسيس اسمه «ستيفانو بيكولو» في شهر
أكتوبر عام ١٧٦٧ يدعو أهالي الجبل الاسود للقيام ضد المسلمين فهاجت
الاهالي هياجا شديدا

فلما رأت الدولة ذلك ووقفت على الفظائع العديدة التي جرت في
بولونيا أنذرت الدولة الروسية بالخرج من بولونيا فرفضت وكان
ذلك سبب الحرب

وقد كانت الامة العثمانية ميالة الي البولونيين حتى ان المسيو «زيجلين»

سفير بروسيا بالاستانة كتب الي حكومته بتاريخ ٢٦ يوليو سنة ١٧٦٨ يقول « انه وان كانت الحكومة العثمانية مطلقا النفوذ والسلطة في بلادها ولكن للرأي العام صوتا اذا ارتفع لا تقدر الحكومة على مخالفته »

وعند ما علمت روسيا باستعداد الدولة العلية للحرب أرسلت عساكرها واحتلت « كاركوفيا ». وقد أعلنت الحرب يوم ٦ اكتوبر سنة ١٧٦٨ وكان ذلك بالقاء الدولة العلية سفير روسيا في القصر المعروف (بقصر السبعة ابراج) وبهذه الصورة كانت تعلن الحرب في القرن الماضي

وقد أرسلت الدولة عندئذ منشورا للدول الأوروبية بتاريخ ٣٠ اكتوبر سنة ١٧٦٨ أبانت فيه أسباب اعلانها الحرب للدولة الروسية قائلة « لقد تجاسرت روسيا وقضت على حرية بولونيا وأجبرتها على قبول ملك ليس من عائلة ملوكية ولم تنتخبه الامة ملكا عليها طبقا لقوانينها وشرائعها. وأسالت روسيا الدماء وذبحت كل من خالف سياستها واغراضها وخربت الاراضي والاملاك »

وقد أدهش اعلان الحرب بهذه الصورة كل رجال السياسة الأوروبية وجعل كل همهم الانتفاع منها. أما المسيو (دي فرجين) سفير فرنسا فقد أعاد الى حكومته الثلاثة ملايين وكتب اليها « ان رجال تركيا لا يشتري ذممهم ولكنهم يعملون بمقتضى مصلحة بلادهم وشرف دولتهم »

ومضت أشهر طويلة اشتغل كل خصم بالتجهيز والتحضير ولم تقم الحرب الحقيقية الا في شهر يوليو عام ١٧٦٩ على شواطئ نهر (الدينستر)

وقد اقتتل الجيشان طويلا حول (خوتين) واختلف المؤرخون في اثبات وجود فرق بروسية بين الجيش الروسي فقال بعضهم بوجودها بمقتضى المعاهدة التي بين روسيا والبروسيا وأنكر البعض الآخر وجودها. ولكن الرأي الاول أقرب الي العقل والحقيقة

وفي يوم ١٦ سبتمبر هجم الجيش العثماني على الجيش الروسي ووقعت بينهما معركة هائلة انتهت بانتصار الروسيين واستيلائهم على مقاطعة (البغدان) . وأخذوا بعد هذه الواقعة قلاع خوتين وأزوف وتاجازوج . ثم احتلت العساكر الروسية يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٧٦٩ مدينة (بوخارست) التي هي عاصمة رومانيا الحالية . أما مقاطعة البغدان فهي تكون مع مقاطعة الافلاق مملكة رومانيا نفسها

وقد اغترت روسيا بهذا الانتصار وأرادت فصل اليونان من أملاك تركيا — وكانت أرسلت من قبل بطلا اسمه { أورلوف } ليهيج اليونانيين ضد الدولة العلية — فأرسلت في البحر الابيض المتوسط في آخر سنة ١٧٧٠ أسطولين الاول تحت قيادة { سيروتوف } الروسي والثاني تحت قيادة (ألفنستون) الانكليزي وقد تجمعت عندئذ جماعات اليونان وتظاهرت بالقيام في وجه الدولة ولكنها تفرقت شذرا منذر عند تقدم لاتراك والالبانيين . فرجعت روسيا بخفي حنين ويئست من تخليص اليونان في ذلك الحين

ثم أرادت روسيا أن تنتقم من الدولة العلية لفشل مساعيها في اليونان فعما كست مرابها وأسطولها ولم تأخذ بعد حرب وقتال

عنيفين الا بعض السفن العثمانية في « تشسمه »

*

* *

وقد كانت سياسة كل دولة من الدول الاوربية في هذه الحرب مختلفة عن الاخرى. فكانت فرنسا مصادقة للدولة العلية ومعادية لروسيا. وكانت الدولة الوحيدة المنتصرة لبولونيا. ولكن صداقتها للدولة العلية وانتصارها لبولونيا لم ينتجا أقل نتيجة لان الدول الثلاث الروسية والبروسية والنمسا اتفقت في آخر الامر كما سيراه القارىء على تجزئة بولونيا فكان من المستحيل على فرنسا مساعدة تركيا مساعدة فعلية خوفا من اشتعال نار الحرب بينها وبين الدول الاوربية. ولكن ما كانت تخافه لنفسها تشجع الدولة العلية على الاتيان به فهي كانت تخشي الحرب ولكنها كانت أول محرصة للدولة العلية عليها. وهكذا الدول كلها والامم جميعها متي رأت في عمل من الاعمال احتمال الخير والشر تفضل أن يقوم به غيرها فان أنتج خيرا استفادت منه وان أنتج شرا اجتنبت اضراره وكان « شوازيل » وزير فرنسا الاكبر ذا سياسة خرقاء حيث كانت النمسا ساخرة من تحالفها مع فرنسا لا تقبل منها نصيحة ولا تتبع لها رأيا. وكانت سياسة « شوازيل » ترمي الي اضعاف روسيا وتركيا في آن واحد كما يتضح ذلك جليا من مذكرة رسمية أرسل بها في شهر ديسمبر عام ١٧٦٩ الى البرنس (كونيترز) وزير النمسا الاكبر وجاء فيها (وترى فرنسا أن أحسن شيء يعود على تحالفنا « أي تحالف فرنسا والنمسا » بالفائدة هو ان تستمر الحرب بين روسيا وتركيا مع انتصارات متبادلة من الجانبين حتى يضعف

الحصان بدرجة واحدة . واذا ساعدتنا الايام تكون لنا الصدف كلها
والفوائد أجمعها)

أما النمسا فكانت قد عقدت مع روسيا في عام ١٧٥٣ معاهدة ضد
الدولة العلية ولكنها بطلت عام ١٧٦٢ بسبب تحالف الروسي مع البروسيا
ولما أعلنت الحرب بين الدولة العلية والروسيا عام ١٧٦٨ اتبعت النمسا
في بادىء الامر سياسة الحيادة مع مسالمة الدولة العلية

وفي ختام عام ١٧٦٩ كلفت النمسا سفيرها في الدولة العلية المسيو (توجوت)
أن يعرض على وزراء جلالة السلطان رغبة النمسا للتداخل في عقد الصلح
بين المتحاربين . ولم تكن رغبة النمسا الحقيقية من هذا التداخل عقد
الصلح بل كان غرضها الوصول الي امتلاك مقاطعة من أملاك تركيا
وتوسيع نطاق المملكة النمساوية

وسيجد القارى في خلال هذا الفصل الخطة التي جرت عليها النمسا
مع الدولة العلية وكيف انها حالقتها ضد روسيا وعملت في الوقت نفسه
على الاتفاق مع روسيا ضد تركيا !!!

وأما البروسيا فقد كان ملكها وقتئذ « فريدريك الكبير » المشهور
بدهائه السياسي وقدرته الفائقة على الاستفادة من كل حادث أوروبي
وقد جعل سياسته في المسئلة الشرقية الاستفادة من الحرب بين الدولة
العلية والروسيا مع المحافظة على استقلال الدولة العلية . وكتب في مذاكراته
السياسية الشهيرة « انه يوجد لنا طريقان امام تقدم الروسيا واتساع
أملاكها . الاولى ايقافها في تقدمها وفتوحاتها والثانية - وهي أحكم

طريقة — الاستفادة من تقدمها واتساع أملاكها وقوتها بمهارة «
وقد اتبع فريدريك الكبير الطريقة الثانية كما كتب في مذكراته فكان
متحالفا مع روسيا وعلى تمام الصفاء مع تركيا وبذلك كان يستفيد
أكثر من غيره

ولما قامت الحرب بين الدولة العلية وروسيا كان اشتغال فريدريك
الكبير منحصرًا في الوقوف على الخطة التي ستجري عليها النمسا . هل
تبقى وفيه لفرنسا حليفها أي مصافية لتركيا وبولونيا أو تتخدد للروسيا
فيفقد التحالف الروسي البروسي أهميته الأولى . وقد وجد عند فريدريك
بدهائه الغريب وذكاؤه العالى طريقة مثل لفصل النمسا من فرنسا ومنعها
من معاداة روسيا في الشرق وفي بولونيا ولبقاء التحالف الروسي البروسي
باهيمته الأولى . فوضع لذلك مشروع تحالف ثلاثي بين روسيا وبروسيا
والنمسا يكون غرضه حل المسئلة الشرقية لاني تركيا نفسها بل في بولونيا
بان تقسم هذه المملكة بين هاته الدول الثلاث

وهذه الامنية كانت أكبر أمانى فريدريك الكبير أيام حكمه لانه كان
يري في تقسيم بولونيا ربحا كبيرا للبروسيا واتساعا لنطاقها بضم بولونيا
البروسية لها

وأول مرة فاتح المسيو (سولس) سفير بروسيا في سان بطرسبورغ
المسيو (باين) وزير روسيا الا كبر في مسئلة تقسيم بولونيا كان جواب
الوزير الروسي ان تحالف الدول الثلاث يجب أن يرمي أيضا الى تقسيم
الدولة العلية . فلما سمع فريدريك هذا الجواب تخوف منه وأهمل أمر

التحالف الثلاثي في الظاهر

وقد قلنا ان فريديك الكبير كان يرى في بقاء الدولة العلية فائدة عظيمة لبروسيا وكان يستطلع بحدة ذهنه وقوة بصيرته من خلال الايام الآتية ان مودة الروسيا للبروسيا لا تدوم أبد الدهر وان بقاء الدولة العلية قوية يكون كحاجز حصين امام الروسيا وكصخرة عالية واقفة امامها وبالجملة تكون للبروسيا قوة عظيمة يمكن الاعتماد عليها حسب مقتضى الحوادث وقد برهنت الايام على ان فريديك الكبير — وهو أول عامل على توسيع نطاق بروسيا وأول واضع لمشروع الوحدة الألمانية الذي تم على يدي غليوم الاول وبسمارك — نظر نظرة بصير فجاء من سلالاته جلالة الامبراطور غليوم الثاني مدركا أهمية التوحد للدولة العلية وتوثيق الروابط بينه وبينها فاستفاد العالم من هذه المودة المزدوجة واستفادت ألمانيا منها كثيرا

ولما علم فريديك الكبير بجواب وزير الروسيا تخوف منه كما قدمنا ولكنه لم يرجع عن عزمه الاول وهو العمل على تقسيم بولونيا . فرأى لنوال هذه البغية ان يتجسس الى النمسا ويتحد معها اتحادا سريا يوقع الروسيا في الارتباك والبلبال فتضطر الى قبول آرائه وتدرك فائدة التحالف معه والعمل بنصائحه . وبالفعل تقابل في مدينة (نيس) مع (جوزيف الثاني) امبراطور النمسا وابن (ماري تيريزيا) الشهيرة وتوصل الى عقد اتفاقية ودية معه في شهر أغسطس عام ١٧٦٩

فكانت نتيجة هذه الاتفاقية ان الروسيا صارت في بلبال زائد كما اراد

فريدريك . فانها كانت تجهل مضمونها وكانت تظن انها اتفاقية تقدمت
 للعمل ضدها في المسئلة الشرقية فاضطرت الى تجديد مخالفتها مع البروسيا
 يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٧٦٩ واشترط جعل أجلها ممتدا الي غاية عام
 ١٧٨٠ فنالت بذلك البروسيا ما كانت تتمناه وهو ان الروسية عرفت مقدار
 تحالفها معها وصار لا رأيا عندها تقدير القبول والرضى وباتفاقها مع النمسا
 اتفاقية ودية صارت حليفة الروسية وصديقة النمسا ووضعت بذلك
 الاساس لمشروعها العظيم . أي مشروع تقسيم بولونيا بين الدول الثلاث
 وقد بعث فريدريك الكبير بأخيه البرنس هنرى الي سان بطرسبورغ
 لزيارة القيصرة فوصل عاصمة الروسية يوم ١٢ اكتوبر سنة ١٧٧٠ وقد
 تحدث كثيرا مدة وجوده في بطرسبورغ مع القيصرة ورجال السياسة
 الروسية في مشروع عقد تحالف ثلاثي بين الروسية والبروسيا والنمسا
 بقصد تقسيم بولونيا . فوجد لهذا المشروع قبولا عند الروسيين لم يكن
 عندهم من قبل

وقد بذلت البروسيا في ذلك الحين جهدها في اقتناع الدولة العلية
 بضرورة ايقاف الحرب والتوسط في الصلح حتي رضيت الدولة العلية
 وطلبت بمذكرة تاريخها ١٢ أغسطس سنة ١٧٧٠ من بروسيا والنمسا
 التوسط بينهما وبين الروسية في أمر عقد الصلح

يرى القارىء مما تقدم سياسة كل من دول فرنسا والنمسا والبروسيا
 في المسئلة الشرقية في القرن الثامن عشر . أما انكلترا فقد جرت في هذا
 القرن الماضي على سياسة مزدوجة . فكانت تساعد الروسية في الحرب

كل المساعدة وتظهر للدولة العلية بمظهر الصديقة لتقف على أسرارها حيث تطلع روسيا عليها . ولما قامت الحرب بين الدولتين العلية والروسية كانت انكلترا مشغولة بأمور الهند التي كانت استولت عليها بضع سنين من قبل

ولما كانت روسيا ماصافية لانكلترا وغير ميالة وقتئذ للاستيلاء على الهند وسلبها من أيدي الانكليز وكانت فرنسا هي العدو اللدود لانكلترا والدولة الوحيدة التي كانت تخاف منها انكلترا على الهند - وقد كانت الهند من قبل ملكا لفرنسا ومستعمرة من مستعمراتها - اتبع الانكليز سياسة التقرب من روسيا والتودد اليها ومعاداة فرنسا والدولة العلية وفضلا عن الاسباب السياسية الداعية لذلك فهناك اسباب تجارية دفعت الانكليز لمحاربة روسيا فقد كانت انكلترا تتاجر وحدها في الشمال وكانت واردات روسيا كلها من انكلترا . وكان الكثير من البحارة الانكليز موظفين في المراكب الروسية . وقد اراد (شوزيل) وزير فرنسا الاكبر أن يضرب المراكب الروسية بالعمارة الفرنسية وقدم بذلك مذكرة لمجلس نظار فرنسا ولكنها رفضت وقبل رفضها أعلنت وزارة لندره ان كل عمل يعمل ضد روسيا يعد اهانة لانكلترا واعتداء عليها . وهو قول يبين مقدار ميل الانكليز للدولة الروسية في ذلك الحين أو بعبارة اصح يبين مقدار المكاسب العظيمة التي كانت تكسبها انكلترا من روسيا ومن أكبر الاسباب التي جعلت انكلترا ضعيفة الصوت في مسائل الشرق في هذا الحين هو اضطراباتها الداخلية وقيام الامريكيين بالثورة

ضدها مطالبين بالاستقلال الذي نالوه بدماء أبطالهم أي بأعز الأثمان
ومن غريب أمر السياسة الانكليزية انها مع محباتها للروسية كل
المحابة أرادت ان تظهر لتركيا بمظهر الصداقة كما قدمنا فعرضت عليها في
صيف عام ١٧٧٠ ان تتدخل بينها وبين روسيا لعقد الصلح فأجابت
الدولة العلية سفير انكلترا بالاستانة (السير موري) بمذكرة حكيمة جاء
فيها « انه لمن الامور المدهشة الخارقة للعادة ان انكلترا تعرض على الباب
العالى توسطها في الحرب مع ان لها سفنا في الاسطول الروسي حاربت
ضدنا . ولذلك نحن نعتقد ان طلبها التوسط في الحرب ليس الاستارا
لاغراض أخري ينويها العدو { أى روسيا } . فلتعلن انكلترا خطتها
وسلو كما بدون مراوغة حتى يعلم الباب العالى مع أى المتحاربين هى أمعه أو
ضده » . وقد أحدثت هذه المذكرة الحكيمة تأثيرا شديدا لدى الانكليز
وأفهمتهم ان الاتراك خيرون بسياستهم وبما فيها من الغش والنفاق
فاضطروا لسحب ضباطهم وعساكرهم من الاساطيل والجيوش الروسية
ولكن ذلك جاء بعد ان قضت الحرب معظمها

ولما طلبت الدولة العلية من بروسيا والنمسا التوسط في أمر الصلح
أبلغت انكلترا روسيا هذا الطلب لتأخذ حذرهما فكانت وظيفة انكلترا
في هذه المسئلة أشبه بوظيفة جاسوس على الدولة العلية للدولة الروسية

*
* *

ولما علمت روسيا بواسطة الانكليز بأمر طلب الصلح أرادت
ان تعرفل مساعى البروسيا والنمسا فأمرت الجنرال رومانستوف بتاريخ

٢٦ سبتمبر سنة ١٧٧٠ ان يكتب الى الصدر الاعظم بأن روسيا مستعدة للمناقشة مع الباب العالي مباشرة في أمر الصلح متى أطاق سراح (أوبرسكوف) سفير روسيا في الاستانة . وبذلك منعت روسيا البروسيا والنمسا من التداخل في أمر الصلح مدعية بان تداخل هاتين الدولتين يدعو لتداخل فرنسا . وهو الامر الذي ترفضه القيصرية رفضا باتا وفي هذه الاثناء استولى الجيش الروسى على مدينة بندر واكرمان وبرايلا . ولما طال أمر المراسلات بشأن الصلح بين فريدريك وكاترينا كتبت قيصرية الروس الي ملك بروسيا بتاريخ ٢٠ سبتمبر من السنة نفسها توضح له الشروط التي تشرطها لعقد الصلح . وهي الاستيلاء على أزوف وكباردا مع استقلال البغدان والافلاق أو بقاء هاتين المقاطعتين تحت حكم روسيا مدة ربع قرن كغرامة حربية . واستقلال ترنار البسراي والقرم وحرية الملاحة في البحر الاسود والتنازل عن جزيرة للروسيا في الارخيسيل وعفو عام عن كل اليونانيين الذين ثاروا ضد الدولة العلية أثناء الحرب

فلما أطلع فريدريك على هذه الشروط اندهش غاية الاندهاش من مطالب روسيا وأطماعها . وقد حصل وقتئذ أن رئيس أفندي (وهي وظيفة كانت في الدولة العلية بمثابة وظيفة ناظر الخارجية) أخبر سفيرا النمسا وبروسيا ان الدولة العلية لا تقبل المخاطرة مع روسيا مباشرة بشأن الصلح ولكنها تقبل توسط النمسا والبروسيا . وأبلغهما انه اعلن ذلك للجنرال رومانسوف

وقد كتب فريديريك لما اطاع على شروط الصلح المبعوثة اليه من القيصرة الى أخيه البرنس هنرى - الذى كان لا يزال بسان بطرسبورغ - بتاريخ ٣ يناير سنة ١٧٧١ « لقد اندهشت اندهاشا عظيما لما اطلمت على الشروط التى تقدمها روسيا للصلح وانه يستحيل على أن أقدمها للاتراك أو للنمساويين لانها شروط لا يمكن قبولها » وأبان فريديريك في كتابه لآخيه أن هذه الشروط لا يمكن لدول أوروبا قبولها وانها تعتبر اعلان حرب للنمسا . وقد كتب بنفسه للقيصرة بتاريخ ٥ يناير سنة ١٧٧١ انها اذا كانت تريد اجتناب الحرب مع النمسا يجب عليها أن تكتفي بأخذ أزوف والكاباردا وبحرية الملاحة في البحر الاسود

وفى أثناء ذلك كانت القيصرة كاترينا تتحدث مع البرنس هنرى بسان بطرسبورغ فى أمر تقسيم بولونيا . فلما كتب البرنس هنرى الى أخيه بذلك سر ملك بروسيا حيث جاء هذا الامر موافقا لرغائبه . واجتهد فى جعل حل المسئلة الشرقية فى بولونيا فقط لعامه بما ابقاء الدولة العلية من اللزوم والاهمية . فأراد تقسيم بولونيا على شرط ان روسيا لا تأخذ البغدان والافلاق

وقد جرى عندئذ ان النمسا طمحت لمخالفة تركيا ضد روسيا والعمل للاستفادة من هذه المحالفة ولو ضد تركيا نفسها . فبعث { كونيتر } رئيس الوزارة النمساوية الى المسيو (توجوت) سفير النمسا فى الاستانة يأمره بمخاطبة رجال الدولة العلية فى أمر عقد محالفة بين النمسا و تركيا يشترط فيها ان تركيا تدفع سنويا للنمسا ٣٤ مليوناً من الفلورينو أى فوق

الثلاثة ملايين من الجنهات . وان تتنازل لها عن (الافلاق) ومدينة بلغراد وان تجعل للنمساويين في ممالك الدولة العلية أهم الامتيازات التجارية . وفضلا عن كل هذه الشروط تقدم للنمسا في حالة الحرب من خمسين الى ستين ألف مقاتل . وتشتترط النمسا على نفسها مقابل ذلك أن تحارب الروسيةا مع تركيا اذا لم ترض القيصرية بطريق المخبرات اعادة البلاد التي استولت عليها الى الدولة العلية

وقد سعى (كونيترز) عندئذ لدى فريديريك ملك بروسيا أن يبقى على الحيادة اذا قامت الحرب بين النمسا والروسيا ولكن فريديريك اتبع طريق المراوغة فلم يجب بجواب صريح

أما فرنسا حليفة النمسا فكانت تعمل في هذا الحين على مساعدة تركيا باسطولها مقابل عوض مالي . ولكن (توجوت) سفير النمسا (الذي كان يكتب سرا الحكومة الفرنسية كجاسوس لها مقابل أجره شهريه وكان في الحقيقة يغشها ولا يخدم الا مصلحة النمسا وطنه) بذل أقصى جهده من حين ما علم بهذا المشروع على احباط مسعى فرنسا فابان لرجال الدولة العلية ان مساعدة الاسطول لا تفيد شيأ ما لان الحرب برية محضة لاجرية . وان قصد فرنسا ليس مساعدة الدولة العلية بل معاداة الروسيةا ومد أمد الحرب الي ماشاء الله . فأفلح (توجوت) واقنع رجال الدولة بصدق أقواله وصحة أفكاره ورفضوا مشروع فرنسا

وقد كان رجال الدولة العلية يؤملون ان اتفاق فرنسا مع الدولة يحمل النمسا (حليفة فرنسا) على مساعدة تركيا . ولكن النمسا كانت تخشي

هذا الامر لما فيه من التقييد لها واعلمها بانها لا تستطيع أن تخدع تركيا اذا كانت فرنسا متحدة معها بخلاف ما اذا كانت هي المتحدة مع الدولة العلية دون غيرها . ولذلك كان فشل مشروع فرنسا مضر بالدولة العلية مفيدا للنمسا حليفة فرنسا !!!

ولما فشل مسعى فرنسا عمل (توجوت) على عقد التحالف بين النمسا وتركيا . ومن حسن حظ النمسا وقتئذ ان خضعت تاتار بلاد القرم للروسيا وصارت كتاتار البسرابي فاضطرت الدولة بهذا السبب لتعجيل الاتفاق مع النمسا وقبول معاهدة التحالف . فأمضت المعاهدة مساء يوم ٦ يوليو سنة ١٧٧١ . وشروط هذه المعاهدة ان النمسا تتعهد بمساعدة تركيا ضد روسيا وعدم سلخ أى جزء من الاملاك العثمانية . والمحافظة على استقلال بولونيا مراعاة لشرف الدولة العلية . وان تركيا تتعهد بدفع مبلغ ١١٢٥٠٠٠٠ فلورينو للنمسا (لا ٣٤ مليون كما طلبت النمسا أولا) أى نحو المليون جنيه وبالتنازل للنمسا عن أراضي (الافلاق) . وبمساعدة الرعايا النمساويين في بلاد الدولة العلية على ترويج تجارتهم وصنائعهم . واشترط بين الدولتين المتعاهدتين ان هذه المعاهدة يكتم أمرها خصوصا على فرنسا حليفة النمسا اذ ذلك !

وقد رفع (توجوت) صورة هذه المعاهدة الى حكومة دولته وطلب التوقيع عليها

فلما وصلت صورة المعاهدة الى (كونيتز) اطمأن من جهة الدولة العلية وأخذ يهدد روسيا مؤملا بهذا التهديد حملها على مخابرة في شأن

تقسيم الدولة العلية ، وقد كان ذلك وأرسلت روسيا الكونت (ماسين)
 حاملا لجملة مشروعات تخص بالدولة العثمانية ومكافئا من قبل القيصرية
 بعرضها على (كونيتر) . ومن ضمن المشروعات مشروعان يشتملان على
 عقد اتحاد بين النمسا وروسيا يكون غرضه الوحيد اخراج الاتراك من
 أوروبا وتقسيم الدولة العلية . فالمشروع الاول يبين صورة تقسيمها بين
 الدولتين بان تأخذ النمسا صربيا والبوسنة والهرسك والباينا ومقدونيه
 ويترك لروسيا بقية أملاك الدولة العلية بما فيها الاستانة . وفي المشروع
 الثاني تأخذ النمسا الافلاق و صربيا وبلغاريا والهرسك وتأخذ روسيا
 مقدونيه والباينا ورومانيا وقسما عظيم من الارخبيل وآسيا الصغرى
 والاستانة . وتأخذ كذلك روسيا الاراضي الواقعة على شمال الدانوب
 وشواطئ البحر الاسود . أما بلاد القرم والموره فبقي مستقلة
 والمشروع الثالث يتضمن بقاء الترك على الشاطئ الشمالي للدانوب
 واعطاء صربيا والبوسنة والهرسك للنمسا وما على شواطئ البحر الاسود
 لروسيا مع استقلال التاتار . وقدم الكونت (ماسين) غير ذلك مشروعات
 أخرى تتعلق بتقسيم بولونيا بين روسيا والنمسا والبروسيا
 وقد اطلعت النمسا على هذه المشروعات كلها وتباحثت فيها واحدا
 بعد آخر في وقت كانت تعد فيه متحالفة مع تركيا تحالفا يقتضي رد
 روسيا عن أملاك الدولة العلية وبقاء تركيا سليمة كما كانت قبل الجرب
 والمحافظة على استقلال بولونيا

وبينما كانت النمسا تتباحث في هذه المشروعات الغربية كان فريديريك

الكبير ملك بروسيا يسمي لتقسيم بولونيا مع بقاء مقاطعات الدانوب تحت سلطة الدولة العلية . أى لحل المسئلة الشرقية في بولونيا كما قدمنا أما الدولة العلية فقد قامت بما تعهدت به نحو النمسا وأرسلت الي حكومة فيينا بتاريخ ٢٥ يوليو سنة ١٧٧١ جانباً من مبلغ المليون جنيه الذي فرضته على نفسها . وقد طلبت الدولة العلية جملة صرعات التوقيع على معاهدة التحالف غير ان النمسا كانت تهمل طلب الدولة رغبة منها في الوصول الي نوال مآربها واغراضها بدون حرب وقتال . وقد كانت سياسة (كونيتر) ترمي الي عقد اتفاق يفيد النمسا فائدة عظيمة اما مع الزوسيا ضد تركيا أو مع تركيا ضد الروسيا . فلذلك كان يؤجل كل مرة أمر التوقيع على معاهدة التحالف مع تركيا أملاً منه في الوصول الي عقد اتفاق مع الروسيا يكون أكبر فائدة وأعظم نفعاً . وكان يخشى (كونيتر) انه اذا مضى على معاهدة الاتحاد مع تركيا تقسم الروسيا والبروسيا بلاد بولونيا بين دولتيهما بدون أن تأخذ النمسا شيئاً منها

ولم أرى كونيتر ان الدولة العلية تلح كثيراً في أمر التوقيع على عهدة التحالف كتب الي الحكومة العثمانية بتاريخ ١٤ اكتوبر سنة ١٧٧١ كتاب صدق واخلاص قال لهافيه « ان دولته محافظة على عهودها وفيه في تحالفها » ولكنه لم يرسل مع ذلك بالعهد موقعا عليها

وفي هذه الاثناء علم سفير انكلترا بالاستانة اللورد (موري) بأمر المبلغ الذي أرسلته الدولة العلية للنمسا فأخبر سفير دولته في باريس وهذا أخبر سفير البروسيا بها . فلما علم فريدريك الكبير بهذا الخبر بعث به في

الحال الى القيصرية وكتب الى سفيره بالاستانة يأمره بأن يرشد وزراء الدولة العلية الى حقيقة اغراض النمساويين ويبين لهم انها تعمل للاضرار بمصالح حكومة جلالة السلطان . وكتب كذلك فريدريك الى سفيره بباريس يأمره أن يعرض على الوزارة الفرنسية أن تطلب عقد مؤتمر بالاستانة لعقد الصلح بين روسيا وتركيا . كل ذلك قصد به فريدريك الكبير أن يظهر النمسا لدول أوروبا بمظهر الدولة الخداعة في ودها الخائنة لعهودها مع تركيا وفرنسا في آن واحد

وقد كانت الحرب مع تركيا أضعفت الجيوش الروسية كثيرا وقتالها في بولونيا جعلها في أشد حاجة للراحة والسكينة فضلا عن ان المال كان ينقص وقتئذ الدولة الروسية . فكتبت { كاترينا } امبراطورة روسيا بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ١٧٧١ الي فريدريك الكبير ملك بروسيا تخبره انها تنازلت عن مطالبها بشأن « البغدان والافلاق » ولكنها تطلب من تركيا التنازل لها عن بعض مدائن منها « بندر » و « اوتشا كوف » . وتعلمه بأنها قبلت تقسيم بولونيا واعطاء البروسيا ما طلبته منها أي بولونيا البروسية و (فارميا) . وتطلب القيصرية مقابل ذلك من ملك بروسيا ان يسير عشرين ألف جندي على مقاطعتي (الافلاق والبغدان) اذا قامت النمسا بمحاربة روسيا

وعند وصول هذا الكتاب الى فريدريك الكبير ملك البروسيا كان همه موجها الى تقسيم بولونيا وتوسيع دائرة أملاك بلاده ففرح غاية الفرح بكتاب القيصرية . وانتهى الامر باتفاق روسيا والبروسيا على تقسيم بلاد بولونيا التعيسة . وصارت النمسا بهذا الاتفاق بين أمرين أما

الوفاء بالعهد لتركيافرنساومعارضة مشروع تقسيم بولونيا . وأما الاتفاق مع
الروسيا والبروسيا وعدم احترام عهودها نحو تركيا وفرنسا . فاختار
كونيتز الامر الثاني عاملا بالمبدأ السياسي القائل « بأن لا عهد ولا شرف
في السياسة » . ووافق الامبراطور جوزيف والامبراطورة ماري تيريزيا
والدته على خطة كونيتز . وكان ذلك في أوائل عام ١٧٧٢

وفي يوم ٢٨ يناير سنة ١٧٧٢ كتب (كونيتز) الي حكومة روسيا
يبلغها قبول النمسا لمشروع تقسيم بولونيا ولطالب القيصرية نحو الدولة
العلية . مظهراً أمله وأمل حكومته في أن النمسا تأخذ من أملاك الدولة العلية
شيئاً كما أخذت من بلاد بولونيا أي ان تقسم الدولة العثمانية كما قسمت
بولونيا ! !

وبذلك يرى القارىء ان النمسا بعد ان تحالفت مع تركيا على ان ترد
الروسيا عن أملاكها بواسطة المخبرات السياسية أو بواسطة الحرب وان
تدافع عن استقلال بولونيا . وبعد ان قدمت اليها الدولة العلية ماطلبت
من المال . عرضت بنفسها على روسيا والبروسيا في يناير عام ١٧٧٢
تقسيم بولونيا وتجزئة الدولة العلية ! !

وهي نتيجة اعترفت (ماري تيريزيا) نفسها بانها لا تشرف المملكة
النمساوية . وقالت عنها في رسائلها السياسية « انها سياسة جرت عليها النمسا
ضد الشرف وضد مجد المملكة وضد الذمة والعقيدة » .

وقدم اتفاق روسيا والبروسيا والنمسا على تقسيم بولونيا وانتهى الامر بتقسيم
هذه المملكة بفضل دسائس الدخلاء وانقسام أهلها على بعضهم . وذهبت

هذه الامة البولونية الشريفة المشهورة بالوطنية الفائقة والشهامة العظيمة
 ضحية مطامع الدول الثلاث وفريسة الدسائس الاجنبية والشقاق الاهلي
 وقد امتنعت الدولة العلية عن ارسال المدد المالي للنمسا لما رأت
 تلاعبها معها وتلونها في سياستها . فجعل (كونيتر) عدم ارسال المدد
 المالي سبباً لحل التحالف بين دولته وتركيها !

ولما علمت الدولة العلية بان روسيا قابلة لعقد الصلح بدون استيلائها
 على مقاطعتي (البغدان والافلاق) رضيت بالصلح وعقدت مع حكومة
 روسيا هدنة بتاريخ ١٠ يونيو سنة ١٧٧٢ . واتفق رجال الدولتين على
 اجتماع مندوبين من قبليهما بمدينة « فوكتشان » للمناقشة في شروط
 الصلح . فاجتمع المندوبون ولبثوا مجتمعين عشرين يوماً اتفقوا فيها على
 سائر الشروط الاعلى شرط استقلال الترتار . فقد طلب مندوبو تركيا
 بقاء الترتار تحت سلطة الدولة العلية لان جلالة السلطان بصفته خليفة
 المسلمين لا يمكنه التنازل عن السلطة عليهم . فرفض الروسيون هذا الطلب
 وبذلك انحل المؤتمر . وبعد انحلاله بزمن عرضت روسيا على الدولة
 العلية عقد مؤتمر آخر فقبلت الدولة وعقد المؤتمر بمدينة (بوخارست)
 بعد ان عقدت هدنة ثانية جعل آخر أجلها ٢١ مارس سنة ١٧٧٣ . وقد
 اتفق مندوبو روسيا وتركيها في هذا المؤتمر على مسألة الترتار فرضيت
 الروسية ببقائهم تحت سلطة جلالة السلطان . ولكنها طلبت من تركيا
 التنازل لها عن (كرتش) و (بني قلعة) . فلم تقبل تركيا ذلك وانحل
 هذا المؤتمر — كما انحل المؤتمر الاول بغير نتيجة — في أوائل يناير

وقد عادت المحادثات مرة أخرى بين الدولتين بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٧٧٣ ولكن الاتفاق كان مستحيلا لان روسيا كانت تطالب بعزم ثابت بكرتش وبنى قلعة وساسة الدولة العلية كانوا يرفضون طلب روسيا أشد الرفض لانهم كانوا يرون - والحق معهم - ان أخذ هذين الموقعين يجعل الاستانة في خطر مستمر من جهة روسيا . ولذلك أقفل باب المحادثات وعادت الحرب بين الدولتين . فأمرت القيصرية (رومانتسوف) جنرال الجيش الروسي بأن يسير وراء الدانوب ويحمل على العثمانيين فسار بأمرها الجيش الروسي يوم ١٣ يونيو سنة ١٧٧٣ وحمل على (سيلستريا) وهي مدينة ببلاد البلغار) . ولكن الجيش العثماني انتصر عليه انتصارا عظيما وقطع عليه خط الرجعة حتى فقد الجيش الروسي معظم رجاله . فقام عندئذ الجنرال فيسمان الروسي بعمل جملة مناورات اضطرت الاتراك للرجوع الى الورا . وقد مات في هذه المناورات الجنرال فيسمان نفسه ولكنه أعاد للجيش الروسي بعض قوته وقد رأت روسيا عندئذ ان مصلحتها تقضي عليها بعقد الصلح مع الدولة العلية خصوصا وان جيوشها انهزمت هزيمة شديدة بالقرب من (وارنا) وان أهل القرم أظهروا ميلهم للانضمام مع جلالة السلطان ضد روسيا . فضلا عن ان ثورة أهلية قامت في روسيا تحت قيادة رجل اسمه (بوجا تشيف) كانت تهدد القيصرية وملكها . فلذلك طلبت روسيا من النمسا التوسط بينها وبين الدولة العلية في أمر الصلح مقابل جزء تعطاه من أملاك تركيا نفسها !

وفي ذلك الحين توفي المرحوم السلطان (مصطفى الثالث) وتولي بعده السلطان (عبد الحميد الأول) فأمر باستمرار الحرب ولكنها عادت بخسائر جمة على الدولة لأن الجيش كان غير مستعد للقتال بعد الحروب الطويلة التي قام بها. فاضطر الصدر الاعظم الي عرض الصلح على الجنرال { رومانسوف } . وتم الاتفاق بينهما في ١٠ يوليو سنة ١٧٧٤ وأمضيا بعد ذلك في ٢١ يوليو سنة ١٧٧٤ على عهدة الصلح بمدينة { كوتشك قاينارجه } . وهي أشهر عهدة أمضت عليها الدولة العلية والحجر الأول للمسئلة الشرقية وعنوان النزاع بين المسيحية والاسلام وأصل الحروب الطويلة التي وجهت ضد الدولة في القرن التاسع عشر والازمات الشداد التي وقعت فيها

وشروط هذه المعاهدة ان الدولة العلية تتنازل للروسيا عن الكباردا وتضع مقاطعات الدانوب تحت حمايتها وتعلن استقلال بلاد القرم تحت ضمانتها وتتنازل لها عن (ازوف) { وكرتش } { وبي قلعة } . وتعطيها حق الملاحة في البحر الاسود وشبه حماية معنوية على رعايا الدولة العلية المسيحيين عموما والارثوذكسيين منهم خصوصا

وهذا الشرط الاخير كان ولا يزال آفة الدولة العلية في علاقتها مع دول أوروبا فكما تتداخل في شؤون الدولة باسم المسيحية واذا قامت الحرب بينها وبين احدى الدول كانت العلة المسيحية وحقوقها . وان سياسة روسيا مع الدولة العلية في القرن الثامن عشر كانت كسياستها مع مملكة بولونيا التعيسة تخلق لنفسها حزبا في قلب المملكة يخلق لها الاضطرابات والمشاكل عند

الحاجة لتداخل في شؤون المملكة الداخلية باسم هذا الحزب وبمجة نصرته. ولكن هذه السياسة التي أفلحت في بولونيا تماماً بفضل النمسا والبروسيا لم تفلح في تركيا تماماً كما كانت تؤمله روسيا المعاند العثمانيين من الشهامة الحقيقية ولما لجيشهم من القوة الهائلة ولما بين الدول الأوروبية من الشقاق والاختلاف بشأن أمور تركيا ومسائل الشرق أما النمسا فقد انتهزت فرصة اشتغال روسيا وتركيا بأمر الصلح ووضعت يدها على جزء مهم من البغدان وعرضت على روسيا مقابل ذلك مشروعاً يتضمن تحالفها معها ضد الدولة العلية!

ولم توقع الحكومة العثمانية نهائياً على معاهدة (قائنا رجة) الا يوم

٢٤ يناير سنة ١٧٧٥

ولم يمض على هذه المعاهدة زمن يسير حتى أحدثت الروسية في بلاد القرم الاضطرابات بفضل الدخلاء العاملين بأمرها وأرسلت جيشاً جراراً الى داخل البلاد بدعوى تسكين الاضطرابات. ولكن غرضها الحقيقي كان الاستيلاء على بلاد القرم وبالفعل استولت عليها وظهر للعيان ان روسيا انما كانت تعمل لاجراج هذه البلاد من حوزة الدولة العلية وان بذل جهدها في سبيل اعلان استقلالها لم يكن الا ليسهل لها الاستيلاء عليها. وقد احتجت الدولة العلية ضد هذا العمل المخالف لشروط معاهدة (قائنا رجة) وأرادت اعلان الحرب ضد روسيا ولكنها رجعت عن عزيمتها بنصائح فرنسا التي كانت تعلم ان روسيا والنمسا متفقتان على تقويض أركان السلطنة العثمانية

ولكن روسيا كانت تبذل أقصى الجهد للوصول الي اعلان الحرب بينها وبين تركيا فأرسلت مبعوثين من عندها تهيبج بلاد اليونان والافلاق والبغدان ضد السلطنة السنية ونشرت الجواسيس في انحاء الدولة العلية ليحدثوا فيها القلاقل ويخلقوا الاضطرابات. فلما رأَت الدولة العلية ذلك وأن لا مناص لها من الحرب طلبت من سفير روسيا بالاستانة ان يخبر دولته في تسليم حاكم الافلاق الذي عصي أمر الدولة والتجأ الي روسيا وفي عزل قناصل روسيا المهيجين للاهالي في بلاد الدولة وفي منح الدولة العلية حق تفتيش مراكز روسيا التجارية التي تمر من بوغاز الاستانة

فرفضت روسيا هذه الطلبات وكان ذلك الرفض اعلانا للحرب بينها وبين الدولة العلية

ولما كانت النمسا متفقة مع روسيا على مساعدتها ضد تركيا أرسل جوزيف الثاني امبراطور النمسا جيشا عظيما لمحاربة الاتراك والاستيلاء على مدينة (بلغراد) فانهزم جيشه أمام العثمانيين واضطر للعودة الي مدينة {تمسوار} ببلاد المجر حيث اقتفى أثره الجيش التركي وهزمه هزيمة عظيمة أما الجيش الروسي فقد استولى في هذه الاثناء على مدينة « أوزى » وبينما الجيش العثماني يقاوم جيش روسيا والنمسا اذ مات المرحوم السلطان (عبد الحميد الاول) في ٧ ابريل سنة ١٧٨٩ وتولى بعده السلطان الغازي (سليم خان الثالث) حيث أمور الدولة مرتبكة والحرب قائمة على قدم وساق . وقد انتهز الروسيون فرصة انتقال الملك في الدولة العلية واتحدوا

مع النمساويين في الحركات العسكرية وتولي القيادة العامة قائد واحد ،
فانتصر الجيشان على جيش الدولة واستولى الروسيون على مدينة « بندر »
واحتلوا جزءاً عظيماً من بلاد الافلاق والبغدان وبسارابيا ودخل النمساويون
بلاد الصرب ومدينة بلغراد

وقد مات حينذاك جوزيف الثاني امبراطور النمسا وأعقبه على سرير
المملكة النمساوية ليوبولد الثاني فسعى في عقد الصلح مع الدولة العلية
تخوفاً من قيام النمساويين بالثورة ضده تقيداً للامة الفرنسية التي
كانت ثائرة وقتئذ ثورتها الاولى الكبيرة ضد لويس السادس عشر .
فمقدت عهدة الصلح بين النمسا والدولة العلية في أغسطس سنة ١٧٩١
بمدينة « زشتوى » وقدرت النمسا الى الدولة العلية بمقتضى هذه المعاهدة
بلاد الصرب وبلغراد التي كانت في قبضتها ولم تخسر الدولة العلية من
هذه الحرب مع النمسا خسارة تذكر

أما روسيا فقد استمرت بمفردها على محاربة الدولة العلية حتى توسطت
بينهما البروسيا وانكلترا وهولانده فأمضيت بينهما معاهدة بمدينة
« ياش » أخذت روسيا بمقتضاها بلاد القرم نهانيا وبسارابيا والبلاد
الواقعة بين نهري بوج دنيستر ومدينة « أوتشا كوف »
وبذلك انتهت هذه الازمة الشديدة التي جاءت في أواخر القرن
الثامن عشر وكانت عنواناً لازمة شداد توالى بعد بعضها في القرن
التاسع عشر . نأتى عليها الواحدة بعد الاخرى

المسئلة الشرقية

في

(القرن التاسع عشر)

ليس غرضنا ان نأتي في هذا الفصل على تاريخ الدولة العلية في القرن
الحاضر بل على أشهر وأهم أزمات المسئلة الشرقية. فذلك نهمل الحوادث
الصغار ونفصل الازمات الشداد أزمة بعد أخرى

﴿ الازمة الاولى ﴾

(استقلال اليونان)

كل من قرأ تاريخ الدولة العلية يعلم أن المرحوم السلطان الغازي محمد
الثاني (لما فتح الاستانة أمن الناس على اختلاف عقادهم ومذاهبهم
على أموالهم وأرواحهم وديانلتهم وتقاليدهم حيث اتبع أوامر الشرع
الشريف ونشر راية الاعتدال الديني . فنال اليونانيون من هذه المعاملة
الحسنة ما لم يكن يخطر لهم على بال من السعادة والرفاهية ورأوا من سلطان
آل عثمان اكراماً لهم واحتراماً لدينهم ولرجال دينهم حتى انه لما انتخب
بطريقهم بعد فتح الاستانة قال له المرحوم السلطان محمد الثاني : « كن
بطريقاً ليونان والله يحميك ! وفي كل الاحوال والظروف اعتمد على
مساعدتي وتمتع بكل الامتيازات التي كانت لاسلافك من قبل ،

وقد كانت هذه المعاملة الاسلامية فريدة في نوعها غريبة في بابها
فان الكاثوليكين أنفسهم كانوا يعاملون اليونانيين بالاحترار والازدراء
. ويستحيل على المؤرخين أن ينكروا على محمد الفاتح وعلى المسلمين هذه

الصفات العالية والمكارم الجليلة التي ظهرت في الاستانة بعد الفتح كشمس
تبدد الظلمات وآية من أكبر آيات الدين الاسلامي الباهر
وقد أدى هذا الاعتدال الديني الي نمو التجارة في أيدي اليونانيين
فصاروا بفضل الدولة العلية وبفضل تساهلها الديني أغنياء اثرياء عالّشين
في أتم الراحة والهناء ولكنهم لم يحفظوا للدولة العلية عهدا ولم يرعوا لها
نعمة بل أنكروا المعروف والجميل وصاروا في الصف الاول من أرباب
الدسائس العاملين ضد السلطنة العثمانية وأضر الآلات لاعداء الدولة
في قلبها

وقد بلغت ثقة الدولة العلية برعاياها على اختلاف دياناتهم وأجناسهم
وحسن نواياها نحو المسيحيين المحكومين بها انها عنت لمقاطعات صربيا
والافلاق والبغدان حكاما من اليونانيين مؤمنة انهم يخدمونها بصدق
وأمانة كما اكرمهم وأكرمت أمتهم فكانوا الاعداء الالداء في ثياب
الاصدقاء الامناء . وعوضا عن أن يقوموا بالواجب عليهم نحو دولة
رفعتهم الي أسمى المناصب استعملوا سلطتهم ونفوذهم في تهيج أهالي
هذه البلاد ضد الدولة العلية والقاء بذور الثورات والاضطرابات فيها

*
* *

وقد أسس المهيجون من اليونانيين جمعية في بلاد الروسيا اسمها
(هيتري) — أي الجمعية اليونانية الوطنية — غرضها استقلال اليونان
والانتقام من الدين الاسلامي ، وقد ساعد القيصر هذه الجمعية كل المساعدة
فأخذت تنمو وتنتشر وأخذ الكثير من أعضائها يقتلون ويسلبون باسمها

و بدعوى المطالبة باستقلال اليونان . وكان (اسكندر ايبسيلاتى) و {ديمتريوس ايبسيلاتى} أهم أعضاء الهيترى في خدمة القيصر الشخصية . وكان {كابو ديستريا} زعيم الثورة اليونانية أحد وزراء القيصر اسكندر الاول

وكان ابتداء الثورة اليونانية دخول { ايبسيلاتى } فى المقاطعات اليونانية فى عام ١٨٢١ محرزا على الثورة بلاد اليونان كلها . وقد اعتبر هذا العمل بايعاز من روسيا . وكان من البديهيات ان (ايبسيلاتى) الذى كان ضابطا بمعية القيصر عمل ماعمل بأمر القيصر أو برضاه . وقد أتى { ايبسيلاتى } نفسه بما يدل على ذلك حيث كتب فى دعوته للثورة « واذا اعتدى أحد من الاتراك على أراضى بلادكم فلا تحشوا له بأسا فان دولة عظيمة مستعدة لمعاقة المعتدين عليكم »

ولم يكن بين دول أوربا دولة تعارض هذه الحركة اليونانية مثل دولة النمسا فانها كانت تحيط الباب العالى علما بكل دسائس ثوروي اليونان وبكل تشجيعات روسيا لهم وأعمالها السرية

أما انكلترا فكانت خطتها فى بادئ الامر التظاهر بمساعدة تركيا ضد روسيا ومقاومة الحركة اليونانية أشد المقاومة . ولكن الدولة العلية أظهرت شكها فى نوايا بريطانيا لعلها بطمعها وجشعها وكرهتها الحقيقية للإسلام . خصوصا وان سوء قصدها كان قد ظهر باستيلائها على الجزائر اليونانية . وقد جاءت الايام مبرهنة بأسطع برهان على ان الدولة العلية كانت مصيبة فى سوء ظنها بالانكليز فقد انقلبت انكلترافى مسألة الثورة اليونانية ضد الدولة العلية كل الانقلاب وغيرت كراهتها الاولي

ليونانيين بالمحبة العلية والمساعدة الظاهرة

ولما علمت النمسا باعمال الروسي ومساعداتها لليونانيين بذل وزيرها الاول (مترنيخ) الشهير أقصى جهده لدى القيصر اسكندر الاول ليعيد السكون الى بلاد اليونان ويأمر الثوريين بعدم القيام في وجه حكومة المرحوم السلطان محمود والامثال والخضوع لاوامر الدولة . وقد أظهر مترنيخ للقيصر اسكندر الاول مقدار الخطر الذي ينتج عن اشتعال نار الفتنة والثورة في بلاد اليونان مينا له ان تعضيده لثورة اليونان يكون داعيا لانتشار الثورة في كل انحاء أوربا ضد الملوك . فآثرت هذه الاقوال على القيصر اسكندر الاول وأعلن رسميا غضبه وسخطه على ايبسيلاتى ووجه ملامه لليونانيين ناصحاً لهم بالسكينة والانصياع لحكم الدولة العلية ولكن هذه التصريحات العلية لم تكن الا ترضية وقتية للنمسا التى كانت مضطربة الاحوال لاشتغالها بقمع الثورة الايطالية التى قامت وقتئذ في وجهها . ولم يرجع القيصر اسكندر الاول عن عزمه بل صار يتظاهر علنا بمحبة السلم والميل الى الانصاف مع الدولة العلية وهو يكمن لها في الباطن السوء والضرر منتظرا القرص المناسبة

أما ايبسيلاتى فقد هزمتها الدولة هو ورجاله شر هزيمة واضطر الى الهروب في ترانسلفانيا حيث قبضت عليه النمسا وسجنته لغاية عام ١٨٢٧ . وقد أسس ثوار اليونان بالرغم عن سقوط ايبسيلاتى في قبضة النمسا مجالس أهلية ومجالس عمومية لهم كبرلمان يوناني

* *

*

وما انتشر في أوروبا خبر قيام اليونانيين بالثورة ضد الدولة العلية حتى تظاهر الكثيرون من الكتاب والشعراء بتعضيدهم والانتصار لثورتهم ضد المسلمين . وأول من جاهر بالانتصار لليونانيين وبالنداء باستقلالهم هو اللورد (بيرون) الشاعر الانكليزي . فقد هاجر من بلاده وعاش غربياً ينشد مجد اليونان السالف وينادي أوروبا بمساعدة أبناء اليونان ونصرتهم . وقد أثرت كتاباته وأشعاره في أغلب بلاد أوروبا وجرى على سنته الكثير من شعراء فرنسا وكتابتها وفي مقدمتهم { فيكتور هوغو } الشاعر الشهير . وأسست اللجان المختلفة في فرنسا وانكلترا لمساعدة اليونانيين بالمال والرجال . وسافر المتطوعون من كل بلد في أوروبا ومن كل جانب

وقد قامت الحركة كلها في بلاد أوروبا باسم معارف اليونان وأنوارها القديمة وباسم الدين المسيحي . فكنت تجد الكتاب الذين لا دين لهم ولا عقيدة في أفئدتهم يدافعون عن اليونانيين باسم الدين المسيحي ويوجهون الي الاسلام أقبح السباب وأدنى الشتائم

وكان أنصار اليونانيين يحسبونهم كأبنائهم الأواين متى نالوا حريتهم واستقلالهم بزغت شمس المعارف والآداب والفلسفة من بلادهم وعادت أئينا مشرقاً لانوار الحكمة والعرفان . والذين كانوا ينتصرون لليونانيين مؤملين هذا الأمل كانوا أما معتصمين في الدين ضد المسلمين يحملهم بغضهم على اعتقاد فاسد كهذا أو كانوا سليمي الية . فلقد برهن اليونانيون بعد استقلالهم على ان بينهم وبين اليونانيين القدماء بون بعيد

وفرق عظيم

ولاريب ان اولئك الذين كانوا ينتظرون شروق انوار الحكمة والفلسفة العالية من أبناء أثينا الخالين تحسروا طويلا واندھشوا منتهي الاندھاش من خطئهم في آمالهم هذا الخطأ الكبير واعتدأهم بغير حق على السلطنة السنية التي كانوا يقولون عنها انها المانعة لترقي اليونان والواقعة في سبيل « شروق شمس الحكمة والعرفان من آثينا »

ومن الغريب ان أغلب أنصار اليونانيين ان لم نقل كلهم كانوا يجهلون تمام الجهل بلاد اليونان وأهلها . على أنهم لو كانوا أرسلوا بعض الوفود لزيارة هذه البلاد والوقوف على حقيقتها وحقيقة أهلها لكانوا أدركوا أنهم مخطئون خطأ كبيرا وان آمالهم البعيدة حلم لاحتمية له ويستحيل ان يكون له وجود

وقد أنصف بعض الكتاب الأوربيين الدولة العلية وأظهروا للعالم المتمدن الحقيقة التي لامراء فيها وفضحو الأعمال اليونانيين حتى خجل أنصارهم . وفي مقدمة هؤلاء الكتاب الفضلاء المسيو (الفريد ليتر) الفرنسي ساوى فقد وضع كتابا على استقلال اليونان كشف فيه الغطاء عن أمور عديدة تشرف الدولة العلية وترفع من مقامها امام التاريخ وتشهر أكاذيب أنصار اليونان الجمحة

ومن المستندات الرسمية العديدة التي أوردتها حضرة المؤلف السالف الذكركر عريضة رفعها جماعة من الفرنسيين كانوا سافروا الى بلاد اليونان لنصرة الثائرين فيها الى أميرال البحرية الفرنسية بالبحر الابيض المتوسط

يسألونه فيها أن يردهم الى فرنسا . وهذه العريضة تترجم للقارىء عن الحقيقة وعن أكاذيب أنصار اليونان فقد جاء فيها : « وقد وصفوا الناليونانيين قبل سفرنا من فرنسا بشجعان وابطال يفوقون آباءهم الاولين شهامة ومجدا . فما وجدنا هنا الا رجلا يحملهم حب المال على حب الجرائم وانا - الايزالون في ظلمات الجهالة والوحشية »

وقد كتب القومندان (بوجول) في مذكراته عن ثورة اليونان بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٢٧ ما تعريبه :

« وقد جئت الشرق وانا من أكبر انصار هذه الامة (اليونانية) ولم يتغير اعتقادي فيها واحساسني نحوها الا بالتجربة . فهي مجردة عن الوطنية والشجاعة والاتحاد وهم كل رئيس من رؤسائها ان يكون غنيا وقد بلغت الفوضى حدها في بلاد اليونان . وأغلب اعضاء حكومتها - وكلهم محققون اشد الاحتقار - معروفون من الجميع بانهم المسلحون للصمص البجار ، ولولا تدخل الدول لخصع اليونانيون جميعا هذا العام . واعترافا بالجميل نحو الأمم اوروبا الايزال اللصوص اليونانيون يعتقدون على تجارة هذه الامة نفسها ! »

وكتب الاميرال (ريني) أميرال الاساطيل الفرنسية بالبحر الابيض المتوسط من أزمير بتاريخ ٢٣ مارث سنة ١٨٢٦ ما تعريبه :

« لقد نقش أوروبا بشأن كل ما يختص بثورة اليونانيين ضد تركيا . فقد تنقص المستندات الرسمية وليس من عادة الاتراك ان ينشروها . والتقارير اليونانية ليست الا مراسلات خصوصية تجسم فيها الامور وتمر على (زانت) و (كورفو) والنمسا قبل ان تلونها الجرائد في لوندرد »

وباريس بالالوان الساطعة البهية . ولكنها في أغلب الاحيان ألوان كاذبة .
ولاشك ان هذا هو اللازم للتأثير على أفكار العالم . ولكن هذا لا يكفي
لانارة أفكار الذين يقودون زمام الامور ،

*

* *

وقد انتهز اليونانيون فرصة قيام (على باشا) والي يانيه ضد الدولة
العلية لاحداث الاضطرابات والهيجان في كل انحاء بلاد اليونان . فقد
طغى هذا الباشا وعصى الدولة العلية وأراد الاستقلال والخروج من تحت
السلطة الشرعية فصار يعمل لاستمالة اليونانيين اليه ضد الدولة العثمانية .
ولكن أطماعه الشديدة واخلاقه الشرسة أكثرت من أعدائه بالرغم عن
تلقفه لليونانيين ونفاقه

وسبب عصيانه على الدولة ان اسماعيل باشا اكبر أصدقائه وأول
المقربين اليه وقع بينه وبينه خلاف شديد أدى الى هروب اسماعيل باشا
الى الاستانة حيث تعين فيها بالحرس السلطاني وأبلغ رجال الدولة أعمال
هذا الرجل وسوء نواياه . فقررت الدولة عزل ابنه الذي كان حاكما
لتساليا . فاعتاظ على باشا من ذلك وأرسل أحد اتباعه من الالبانيين الى
الاستانة لقتل اسماعيل باشا . وبالفعل قتله هذا الالباني عند ذهابه للصلاة
وقد علمت الدولة وقتئذ بان الانكليز يشجعون على باشا على رفع
لواء العصيان ضد الدولة العلية ووقفت على كل مراسلاته مع اليونانيين
فامتلات غيظا منه واعتبر خائنا للدولة والملة وأصدر شيخ الاسلام
منشورا للمسلمين باعتبار دخار جاعلى الدولة كافرا بنعمتها .

وقد أمرته الدولة بالحضور الى الاستانة في ظرف أربعين يوما
فخالف أمرها وصمم على معاداتها والقيام في وجهها. وصار يجتهد في استماله
المسلمين اليه فلما لم يفلح لانهم جميعا اعتبروه خائنا وخارجا من دين الاسلام
مال الى اليونانيين وصار يتقرب منهم ويستنصر بهم ضد الدولة ويوزع
الاموال عليهم. ولما أراد الانتفاع بهذا الود سألهم بتاريخ ٢٤ مايو سنة
١٨٢٠ تكوين جيش ينصره ضد الدولة. ولكن اليونانيين الذين كانوا
يعرفون أخذ الاموال وسماع المدائح وبدائع الاقوال من هذا الطاغية
كانوا يعرفون من أنفسهم انهم عاجزون عن تقديم الاسلحة والرجال فلم
يجيبوا للعاصي طلبا ولم يلبوا له نداء بل بقي يناذيرهم وهم صامتون حتي
اقترب منه الجيش العثماني. فلم يجد له مخرجا من ورطته الا حرق مدينة
«يانينا» والاتجاء الى جزيرة كان بني فيها قلعة حصينة جمع فيها كل ذخائره
وأمواله

وقد كان يقود الجيش العثماني ضده خورشيد باشا حاكم الموره فوصل
بمهارته وحكمته الى دخول القلعة التي كان ملتجئا بها هذا المتمرده ولمالم
يجد على باشا لنفسه سبيلا غير التسليم سلم نفسه لخورشيد باشا الذي
أنفذ أمر الدولة بقتله عقابا له على تمرده وعصيانه. وفي أوائل فبراير سنة
١٨٢٢ أرسل برأسه الى الاستانة لتعلق في مكان عام انذارا لكل عدو
للدولة ولكل خان

وقد انتهز اليونانيون فرصة عصيان علي باشا والى يانينا وأخذوا

يسلبون وينهبون في كل أنحاء اليونان وجعلوا المورة منبع الثورات والاضطرابات لخلوها من العدد الكافي من الجنود العثمانية. وفي ٥ مارس عام ١٨٢١ دخل من يدعى { كارافيا } وهو يوناني تعلم الجندية في روسيا في ميناء (جالاتز) - وهي ميناء من رومانيا على الدانوب - وهجم على قلعتها برجاله العديدين حيث نهبوا وسلبوا وقتلوا من في المدينة كلها وأسالوا الدماء وخربوا المنازل. وقد أشاع اليونانيون عندئذ في كل اصقاع العالم ان مأتوه في هذه الميناء الصغيرة التي يكاد لا يوجد بها جنود يعد انتصارا كبيرا على الدولة العثمانية وعملا عظيما. وهاج كذلك أعضاء الهيئتي بمدينة { ياسي } واحتالوا على حرسها وكان مكونا من خمسين رجلا فأفهموهم ان الاهالي عازمة على الثورة وقطع دابر الاتراك ولكنهم ان تجردوا من أسلحتهم وبنادقهم توطد الامن في المدينة وعادت الامور الي السكينة والسلام فاعتز رئيس الحرس وظن ان أعضاء الهيئتي صادقون في أقوالهم فأجاب طلبهم وأمر الجنود بالتجرد من السلاح والذخائر الحربية. فقابل اليونانيون هذا العمل بأن نشروا لواء النهب والسلب في المدينة ورفعوا راية القنك بالمسلمين فقتلوا الكثير منهم بلا تمييز بين الرجال والنساء والاطفال. ولما جاء (ايسيلاتي) زعيم جمعية الهيئتي استحسنت هذه الفظائع والمنكرات ووافق عليها باسم الانتقام من الاسلام والمطالبة بالحرية!

وقد كانت جمعية الهيئتي تهدد الاغنياء من اليونانيين بالقتل ان لم يساعدها بالمال - وقد اتبعت هذه الخطة نفسها جمعية ثوار الأرمن

مع أغنياء الطائفة الارمنية - وحصل ان { ايبسيلانتى } المذكور لما جاء مدينة (ياسى) علم بوجود يونانى عظيم الثروة اسمه (بول اندرياس) فألقى القبض عليه بدعوى انه اختلس أموالا كثيرة من اموال الهيترى فادرك الرجل ان هذه التهمة القيت عليه ليقدم لايبسيلانتى شيئا من المال ففعل ذلك وكان في فعله نجاته

وقد احدثت هذه الفظائع التي جرت فى (ياسى) فى كل بلاد اليونان فرحا شديدا واشتاقا نفوس اهلها للسلب والنهب وذبح المسلمين باسم الحرية والدين !

وقد يجد الانسان فى بعض الكتب المنتصر أصحابها لليونان فصولا طويلة على هذه المذابح المختلفة والجرائم العديدة ومن هذه المؤلفات أشهرها مؤلف المسيو (بو كفىل) المسمى (محطة الشرق) فقد جاء بالرغم عن شدة تعصب المؤلف ضد المسلمين بمحققا يخجل منها كل انسان يحترم الانسانية ويحبها

ولما كانت المورة كما قدمنا منبعا للثورات والاضطرابات حاصر اليونانيون مدينة { مونبازيا } فقاوم أهلها الحصار طويلا حتى فقدوا كل الذخائر والمأكولات . وكان يقود اليونانيين وقتئذ (ديمترىوس ايبسيلانتى) فاستعمل الخداع للاستيلاء على هذه المدينة وأعلن أهلها بانه يحترم أملاكهم وأموالهم ويحترم قبل كل شيء ارواحهم اذا سلموا المدينة وانه يساعدهم على الرحيل منها اذا أرادوا ذلك . فصدق أهل هذه المدينة الشقية كلام (ايبسيلانتى) وسلموا القلعة والأسلحة . فدخل

اليونانيون المدينة وأول شيء قاموا به هو انهم لم يحترموا لرئيسهم قولاً ولا عهداً بل هتكوا الاعراض ونهبوا الاموال وقتلوا النساء والاطفال قبل الرجال

وانه ليس هناك على القاريء أن يمثل قوماً لاسلح بأيديهم ولا قوة تحميهم يهجم عليهم جماعة من اشرار اليونانيين مسلحون بأنواع السلاح ويمثل مناظر المعارك الدموية التي تجرى بينهم ودفاع الموت الذي يدافع به المسلمون عن نسلهم وأطفالهم

وقد كتب الكونت راميال الفرنسي (هالجان) في عام ١٨٢١

تقريراً عن دخول اليونانيين الى { مونيباريا } جاء فيه

« وقد وجد في قلعة مونيباريا ثلاثمائة يوناني لم يكتف الاثراك أيام الحصار بمعاملتهم بالحسني بل عاملوهم كاخوتهم الحقيقيين أثناء المجاعة واحترموا كنائسهم كل الاحترام . ولكن يوناني الموره لم يعاملوا الاثراك بنفس هذه المعاملة عند ما أخذوا المدينة . بل أتوا بأشنع القبائح وأفظعها في مساجد الاثراك

« أما المسجونون فقد أرسلوا بغير زاد الى « كاسوميس » . ووجدت

على الارض العائلات الاسلامية التعيسة تنازع نزاع الموت من الجوع والعطش ونائمة على الاحجار . وحوالي الجزيرة وجدت جثث القتلى . وبالرغم عن ذلك كله فقد أراد اليونانيون ضرب هاته العائلات بالرصاص . ولم تنج من أيديهم الا بفضل المسيو « دي بونفور » الذي هدد اليونانيين وأخذ كل الاثراك الموجودين بهذه الجهة في سفينة مخاطباً ضباط اليونانيين

بأن ما عملوه هم ورجالهم لا يأتي به الا لصوص البحار !
وهذا التقرير وحده يشهد بأبدع بيان على أن أنصار اليونان في
أوروبا كذبوا على العالم كله الا كاذيب الشنيعة وان الجرائم والفظائع
الدموية التي جرت في بلاد اليونان لم يأتها الا اليونانيون ضد المسلمين
وان الفيلسوف ليقف مندهشا امام هذه الدنيا والجرائم ويعجب كيف
ان شعراء أوروبا وكتابها كانوا ينتصرون لقوم لا تتغذى أرواحهم الا بدمج
الابرياء ولا تستريح نفوسهم الا الى الجرائم . فهل كان ينتظر شعراء أوروبا
وكتابها من هؤلاء القوم الذين كتب عنهم ضباط أوروبا نفسها وبعض
من أفضل كتابها ما قرأه القارئ أن يعيدوا الربوع اليونان مجددا السالف
وأن يردوا للوجود أثينا مشرقا لانوار الحكمة والعرفان ؟
وقد استولي ثوار اليونان في ١٩ أغسطس سنة ١٨٢١ على مدينة
(ناورين) الشهيرة وأتوا فيها من الفظائع ما لم تره عين ولم تسمع به أذن
وكتب عن هذه الفظائع القس الارثوذكسي (فرانتزيس) ما ترجمته
« وكانت البنات التي تريد الهروب من ايدي القتل تجرى نحو شاطئ
البحر وعلى أجسادها اثر الرصاص . ومع ذلك كانت ترمى وتقتل
. وكانت النساء يحمل أكثرهن الاطفال على الذراع فيمزق المعتدون
ملابسهن . واللواتي كانت تلقى بانفسهن الي البحر لتستر عوراتهن كانت
ترمى كذلك بالرصاص وتقتل . وقد هشمت رؤوس بعض الاطفال التي
اختطفت من أمهاتها . وألقى اليونانيون في عميق البحار بنات واطفالا لم
يتجاوز أغلبهم الرابعة أو الخامسة من العمر كأنهم قطع من لحوم الكلاب »

وفي ٥ أكتوبر من السنة نفسها استولى ثوار اليونان بعد حصار طويل على مدينة (تريبوليتزا) . وانه يستحيل على كاتب شرقي أو غربي مهما كانت بلاغته وقوة انشائه وعظيم تأثيره ان يصف المذابح الهائلة البهيمية — أو التي لا اسم لها — التي اتاها اليونانيون . بل يكفي القاريء ان يعلم ان اليونانيين ذبحوا في (تريبوليتزا) ثمانية الف من الرجال وفوق ذلك من النساء وان المذابح استمرت ثلاثة ايام كاملات حتى فسد الجو وتغير الهواء وانتشر من بعدها الوباء حيث عم كل بلاد اليونان وجاء من المنتقم الجبار منتقما للابرياء الشهداء من الظالمين المحرمين السافكين للدماء وقد كتب أغلب كتاب أوروبا الا من أعماهم الغرض والتمصب على هذه الفظائع ووصفوها كما تستحق فقال عنها الكاتب الانكليزي (فني) المشهور — وكان قد شهد الحادثة بعينه — في كتابه (تاريخ اليونان) :
« ان منظر هذه المذابح لا يعادله منظر في تاريخ البشر لا في فظاعته ولا في طول مدته »

وقد أحدثت هذه الفظائع في الاستانة تأثيرا شديدا جدا وهاج الاهالي طالبين عقاب اليونانيين الذين لهم يد في جمعية الهيترى . فقام عندئذ شيخ الاسلام ونصح المسلمين بالسكينة والاعتدال وعدم الاعتداء على الابرياء انتقاما من الآفكين (وسيرى القاريء ان اليونانيين كافأوا شيخ الاسلام هذا بأن قتلوه هو وعائلته شهرا كاملا بعد نذائه في صالح الابرياء منهم)

فلما علم المرحوم (السلطان محمود) بما عمله اليونانيون بدسائس جمعية الهيترى

أمر بتفتيش منازل بعض اليونانيين المشتبه فيهم وعمل تحقيق تام على كل الذين اشتبه في أمرهم . فأبان التحقيق اداة الكثيرين من اليونانيين ومنهم (موروزي) الذي كان للسلطان به ثقة عظيمة فاستعملها في تبليغ أعضاء الهيئتي أسرار السياسة العثمانية . وبالطريق { جريجوريوس } فأمر السلطان باعدام الجميع عبرة لغيرهم من المفسدين والثوار أما في أثينا فقد اتبع اليونانيون خطتهم الدموية بنفسها فأسالوا الدماء بكثرة عظيمة ولم يرحموا أحدا من المسلمين

وقد انتشر بعض أعضاء الهيئتي في أزمير وجعلوا غايتهم جمع الأموال بأدنى الوسائل وأسفل الطرق وألقاء الخوف والرعب في نفوس اليونانيين المقيمين بأزمير . فأشاعوا الاشاعات المختلفة عن نوايا الدولة العلية نحو اليونانيين حتى اضطرت العائلات اليونانية كلها الى المهاجرة من أزمير فاستفاد أعضاء الهيئتي من هذه المهاجرة انهم جمعوا أموالا كثيرة وأوهموا أوروبا بأن سبب هذه المهاجرة ظلم الدولة العلية وسوء معاملتها لليونانيين !!!

ومما يؤكده ذلك ان أحد رجال فرنسا بعث من أزمير بكتاب الى وزير البحرية الفرنسية في ذلك الحين جاء فيه :

« وقد أشاع في كل أنحاء المدينة رجال يعملون على جمع الأموال بكل الوسائل الدنيئة الاشاعات المزعجة للخواطر بشأن نوايا الأتراك . فمتي علم الأهل بأن أحدبواخرنا تقصد ميناء الأرخييل تأتيني العائلات اليونانية وتسالني من كل جانب السفر على هذه البواخر . وقد يطول بي الامر

اذا أردت أن أشرح لسمعادكم كل الوسائل التي يملئها الشره وسوء القصد على رجال يعملون لجمع الأموال بدعوى الانسانية وانه يجب ان يكون الانسان هنا ليعتد ذلك »

وقد استعملت هذه الوسائل في جهات مختلفة وأهاج ثوار اليونان كل المسيحيين في البلاد اليونانية اما بدعوى الدين واما بالتهديدات والاندازات أما في الارخبيل فقد جعل اليونانيون همهم الاكبر السرفة والاصوصية والقتل والسلب والنهب . وقد كانت الدولة العلية استخدمت الكثيرين من أبناء اليونان في بحريتها ثقة منها بهم كشقها بكل رعاياها على اختلاف دياناتهم وأجناسهم . فلما قامت الثورة اليونانية ترك البحرية العثمانية كل اليونانيين الموظفين بها فأعاق ذلك الدولة العلية عن قمع الثورة في الارخبيل كما قمعها بعد في بلاد اليونان نفسها

وقد قدمنا فيما سبق ان شيخ الاسلام أصدر منشورا بالاستتانة نصح فيه المسلمين بالسكينة وعدم الاعتداء على الابرياء من اليونانيين وقتلنا ان مكافأته من هؤلاء كانت القتل . وذلك ان المرحوم السلطان (محمود) عزله من منصبه لهياج الشعب ضده . فغادر الاستتانة على باخرة عثمانية قاصدا بلاد الحجاز . ولما وصلت الباخرة الارخبيل هجمت عليها بعض السفن اليونانية وضايقتها من كل جانب حتى أسرتها وأخذت ما فيها من الاموال والخيرات . ولما رأى البحارة اليونانيون ان شيخ الاسلام وعائلته بين ركاب السفينة قبضوا على بناته وذبحوها أمامه وألقوا بها الي البحر ثم قتلوا كل من بالسفينة على مشهد منه حتى صار وحده أمامهم

فقتلوه شر قتلة جزاء له على نصحه المسلمين بالسكينة وعدم الاعتداء
على الابرياء من بني اليونان :: !

*
* *

وقد أحدثت مذابح اليونان تأثيراً شديداً في روسيا فقام القسس
ورجال الدين يحرزون الاهالي ورجال الحكومة على أن يطلبوا من
القيصر الانتقام من الهلال للصليب وطرده الاتراك المسلمين من بلاد
اليونان المسيحية. ومع ان اليونانيين هم الذين اعتدوا على المسلمين وأتوا
الفضائع الجسام فان أنصار اليونان في أوربا ملؤا الارض بكاء وعويلا
وآتموا الدولة العلية بانها تذبح الابرياء وتسفك الدماء . فارسل عندئذ
القيصر { اسكندر } انذارا للدولة العلية على يد سفيره بالاستانة المسيو
(ستروجونوف) جاء فيه

« ان الباب العالي يجبر المسيحية على أن تتساءل اذا كانت تستطيع أن
تنظر بغير حراك الى اباداة أمة مسيحية وترضى بهذه الاهانات الموجهة
للدين المسيحي » . وطاب القيصر من الدولة العلية في مذكرته هذه
طلبات ملؤها التهديد والوعيد

وفي الوقت نفسه أرسل الى الدول الاوربية مذكرة يفسر فيها لها
خطته وسلوكه ويسألها عن الحطة التي تنوي كل واحدة منها اتباعها اذا
قامت الحرب بين روسيا والدولة العلية . وعلى أى صورة ترضي كل
منها تقسيم الدولة العلية

فكان القيصر اسكندر الأول يريد بثورة اليونان تقسيم الدولة العلية

و بلوغ امانيه من الاستانه والبوسفور

أما الدولة العلية فقد أجابت على انذار روسيا بغاية الشرف والشهامة غير خائفة تهديها ووعيدها . فترك عندئذ سفير روسيا الاستانه وأعلن في ٨ أغسطس سنة ١٨٢١ انقطاع العلاقات السياسية بين الدولتين فلما رأت النمسا ذلك خافت النتائج الهائلة والعواقب الوخيمة التي تنتج عن الحرب بين تركيا والروسيا وافقت مع انكترا على مقاومة روسيا ومعارضة أغراضها واتحدت معها على منع الحرب بين الدولة العلية وبينها بكل الوسائل فكتبت وزارة لوندرد كما كتبت وزارة فينالي القيصر تعارض مشروعاته وتعدده بالتوسط مع النمسا لذي الباب العالي لنوال ترضية لروسيا . فقبل القيصر توسط النمسا وانكترا ورضخ لنصائحهما . وبالفعل توصل ساسة النمسا وانكترا الى منع الحرب بين روسيا وتركيا

ولا يحسبن القارىء ان توسط انكترا مع النمسا لمنع الحرب بين الدولة العلية والروسيا كانت تقصده انكترا خدمة تركيا أو مساعدتها . بل الحقيقة ان الانكيز لما رأوا روسيا تسعى لجعل بلاد اليونان تحت حمايتها المعنوية واستخدمها في سبيل سياستها قاموا في وجهها ووردوها عن محاربة تركيا ثم تظاهروا وابتدئ بنصرة اليونان أكثر منها حتى حول اليونانيون انظارهم الى بريطانيا وصار للانكيز النفوذ الأول في اليونان . حيث شككوا في لوندرد الجمعيات العديدة لمساعدة اليونان ونصرتهم ولم يتأخر مالىو انكترا عن تسليف مبالغ طائلة لحكومة اليونان الثورية . فصارت انكترا

بذلك أول عدوة للدولة العلية وأول دولة منتصرة لليونان .
وفي أوائل عام ١٨٢٣ صار حاكم الجزائر اليونانية الانكليزي الذي
كان يعامل قبل هذا الحين ثوار اليونان بغاية القساوة والشدة يحميمهم
ويساعدتهم ويتركهم يتآمرون في جزأره ضد الدولة العلية .
ولما رأات الدولة ان الاضطرابات قد كثرت في بلاد اليونان وان
الثورة قد عمت كل انحاءها طلبت من المرحوم (محمد علي باشا) عزيز مصر
ان يمددها بالرجال فأجاب الطلب وأرسل جيشا جرارا على أساطيل مصر
تحت قيادة ابنه المرحوم (ابراهيم باشا)
وفي أثناء تأهب المصريين للدخول في بلاد اليونان كانت الدول
الاوروبية تتناقش في سان بطرسبورغ في أمر المسئلة اليونانية . ولكن
انكلترا كانت تعمل على عدم نجاح المؤتمر حتى يكون لها حرية تامة في
العمل . وغاية ما أقر عليه هذا المؤتمر هو ان الدول الاوروبية تطلب
من الباب العالي ان يعطى أمة اليونان شيأ من الحرية والاستقلال في
ادارتها . وقد أجاب الباب العالي على هذا الطلب بانه لا يهب اليونانيين
حقا جديدا الا بعد تمام خضوعهم وانه لا يقبل مطلقا تدخل أية دولة
أوروبية أو كل الدول بينه وبين رعاياه .

*

**

أما المصريون فقد أتوا في بلاد اليونان من الاعمال الجليلة ما يخلده لهم
التاريخ وما يحق لمصر ان تفتخر به في كل آن وفي كل زمان . فانهم خدموا
الدولة العلية أكبر الخدم وأجلها وبرهنوا على ان المصري اذا تعلم وتربي

يقوم بأشرف الاعمال وأعظمها . فقد هزم المصريون اليونانيين شر هزيمة واستولوا على كل بلادهم حتى ارتفعت أصوات أنصار اليونان في أوروبا ضدّهم وسموا بطل مصر المرحوم (ابراهيم باشا) بالسفاح اظهارا لغيظهم من رجل قام بالواجب عليه نحو دولته وأمته ومملته .

وقد قدمنا فيما سبق ان البحرية العثمانية كان أغلب عملها من اليونانيين وكانت غير قادرة على قطع دابر اللصوص من الارخبيل وحدها . فلما طلب المرحوم السلطان (محمود) من عزيز مصر ان يمدّه برجاله وسفنه أمر المرحوم {محمد علي باشا} بارسال أساطيل مصر الفخيمة الى مياه الارخبيل فاستعدت البواخر في الاسكندرية . ورأت عندئذ هذه الميناء الزاهرة مظهر جلال مصر وقوتها في البحر مما لم تره في طول حياتها مثيلا . وكان الرأي المنتشر حين ذلك بين قناصل دول أوروبا في مصر ان مصر بقوتها وسلطتها تقهر وحدها بلاد اليونان وتعيدها خاضعة للدولة العلية قبل تمام ستة أشهر .

وقد أتمت مصر تجهيزاتها الحربية في ٩ يونيو سنة ١٨٢٤ . وكان الاسطول المصري مركبا من ثلاث وستين مركبا حربية عظيمة ومن ثمانية الف جندي مصري من خيرة الرجال . وكان مع الاسطول والجيش ذخيرة سنتين كاملتين

وبعد مبارحة الجنود المصرية لشغور الاسكندرية ووقفت بجزيرة (كاكسوس) وأخضعها وقهرت أهلها الذين كان أغلبهم يعيش من النهب والسلب . وبعد ذلك بقليل استولى الاميرال التركي خسرو باشا على « ايسارا » التي أتى

أهلها من قبل اخضاع الدولة لها من الفظائع ما يعجز القلم عن وصفه حتي
انهم قتلوا الكثيرين من أهل ساموس لعدم رضاهم بدفع شبه
جزية لهم

وما أخذ المصريون والأتراك هذين الموقمين المهمين حتي نادى أنصار
اليونان في أوروبا بالويل والثبور ونشروا الاكاذيب والمفتريات عن دخول
العثمانيين في هذين البلدين مدعين انهم ذبحوا الابرياء وقتلوا الاطفال
والنساء. هذه العبارات نفسها التي تذكر في كل خلاف يقع بين المسلمين
والمسيحيين في الدولة العلية والتي لا تتغير وان تغيرت الظروف
والحوادث.....

وفي أول سبتمبر عام ١٨٢٤ اجتمع المصريون والأتراك في خليج
(بودرون) تحت القيادة العامة لحسرو باشا. فلما علم (مياوليس) رئيس
بحرية ثوار اليونان باجتماع هذه القوى العظيمة جمع سفن الثوار كلها بين
{كوس} وجزيرة (كباري). فوجه عندئذ (ابراهيم باشا) أسطوله الى جزيرة
كريد حيث كان وصلها من الاسكندرية جنود أخري وأسلحة وذخائر
جديدة. وجري حين ذلك ان البحارة اليونانيين الذين كانوا تحت قيادة
(مياوليس) طالبوه بما هيأتهم ومصر تباتهم الماضية وأنذروه بانهم يعودون
الى جزأرهم ولا يبقون بسفنه اذا لم يعطهم هذه المرتبات. فخار (مياوليس)
في أمره مع هؤلاء القوم الذين كان يظنهم شجعانا ابطالا وخداما لوطن
اليوناني والذين كان يسميهم انصار اليونان في أوروبا رجال الحرية والاستقلال
وبودثة اليونانيين القداماء

فاضطر عندئذ (مياوليس) الي الذهاب الي مدينة (نوبلي) . وقد كانت هذه المدينة مركز حكومة اليونان الثورية
 أما (ابراهيم باشا) فقد أتم كل تجهيزاته ومعداته وسار باسطوله وجنوده قاصدا (مودون) بالمورة حيث وصلها في ٢٤ فبراير سنة ١٨٢٥ . وما استقر بها حتى أخذ يهيء الجيش للقتال والحرب . وفي ٢٥ مارس من السنة نفسها بدأ المصريون بمحاصرة مدينة { ناورين } الشهيرة ومدينة { بيلوس }
 ولا يسيل القارىء عن مقدار الاحتقار والارذراء الذي كان يظهره اليونانيون نحو الجنود المصرية المظفرة فقد كانوا يظنونهم نساء في الحرب يهربون من ساحة القتال لاول طلقة نارية . ولكنهم لما اقتربوا منهم عرفوا أن امامهم شجعانا كبارا وأبطالا يحق لمصر على مدي الدهر أن تفتخر بهم كل الفخار وحق لمحمد علي ولابنه الكريم وقتئذ ويحق لسلاطنتهم ان بعد ان تفاخر بهم جنود أعظم الامم المتمدنة

وفي كل واقعة حدثت بين المصريين واليونانيين كان اليونانيون يولون الادبار ويهربون مسامحين البلاد والمواقع !

وقدرأي (ابراهيم باشا) ان الاستيلاء على (ناورين) لا يكون الا بالاستيلاء على جزيرة (سفاكتيريا) فأرسل اليها حسين بك الجريدلي المشهور بشهامته العظيمة ونظره الصائب في مسائل الاستحكامات العسكرية . فقهر جنود هذه الجزيرة اليونانية واستولى عليها . وما مضى الا ثلاثة أيام على استيلائه عليها حتى فتح أهالي (بيلوس) ابوابها وسألوا (ابراهيم باشا) أن يتركهم يهربون بدون ان يلحق بهم الاذى . فقبل ذلك (ابراهيم باشا) وكانت نتيجة

تساعده الجليل ان أهالى { ناورين } لما تضايقوا من طول الحصار وياسوا من الأمر خاروه في أمر تسليم المدينة اليه بعين الشروط التي سلمت بها { بيلوس } فرضي ابن عزيز مصر بطلبهم وسقطت (ناورين) في أيدي المصريين في شهر مايو سنة ١٨٢٥

ولما رأى (ابراهيم باشا) ان اليونانيين امتلات قلوبهم بالخوف منه ومن جنوده الاعزاء شرع في مهاجمة مدائن الموره ومعاقبتها فاستولى بدون صعوبه تذكر على (نيزى) و (كالاماتا) وبلغ (تريبوليتسا) التي تركها اليونانيون وتركوا فيها ذخائرهم من شدة تسرعهم في الهروب منها . وفي ٢٦ يونيو من سنة ١٨٢٥ استولى (ابراهيم باشا) على مدينة { أرجوس }

وقد جعل اليونانيون دأبهم وقتئذ حرق مساكنهم ومعاقبتهم ومنازلهم وتخريب المدائن والقرى . وكان أنصار اليونان في أوروبا يكذبون على العالم كله ويدعون ان ابراهيم باشا هو الذي يخرب مدائن اليونان . وقد بلغت قحة بعضهم ان سماه بالسفاح !

اما خسرو باشا فقد صدرت اليه أوامر الدولة بأن يسافر باسطوله الي الاسكندرية حيث يستعد المرحوم (محمد علي باشا) لارسال مدد جديد . فسافر اليها وكان المرحوم (ابراهيم باشا) أرسل كذلك باسطوله اليها وبقي هو وجنوده في الموره . فاهتم أمير مصر رحمه الله بتجنيده الجنود حتى تهيؤا جميعا وكان عددهم احدى عشر ألف مقاتل وسافروا من الاسكندرية بتاريخ ١٢٣ أكتوبر سنة ١٨٢٥ . وكان في ذلك الحين (رشيد باشا) محاصرا المدينة

« ميسولونجى » التى كان المدد يصلها من اليونانيين من جهة البر وكانت محاطة ببرك عفنة انتشرت منها الامراض والحميات فى جيش رشيد باشا مما أطال الحصار وأضر بالجيش العثمانى ضررا بليغا. ولما علم بذلك (ابراهيم باشا) سافر بجنوده الي (ميسولونجى) . وكانت الجنود المصرية وصلت عندئذ من مصر برفقة خسرو باشا فقوى عدد الجيش المصرى التركى المحاصر لهذه المدينة . وفى ٩ مارس سنة ١٨٢٦ استولى الجيش على قلعة (فازيلياى) وفى ١٣ منه سقطت (انتاليكون) فى أيدي العثمانيين ولما رأى قواد الجيش المصرى التركى ان (ميسولونجى) واقعة فى أيديهم لاحالة وانها ان وقعت بغير التسليم من سكانها أسيلت فيها الدماء كتبوا الي أهلها بتسليم المدينة والاسلحة وخروج من يشاء الخروج منها وأعلنوا كل من يريد البقاء فيها انه يبق آمننا مطمئنا وقد جاء عندئذ (مياوليس) باسطوله ووقف فى خليج (بائراس) ولكن الاسطول المصرى التركى هزمه شر هزيمة وقضى بهذه الهزيمة على كل آمال اليونانيين

وقد أراد اليونانيون المقيمون بميسولونجى الهجوم على الجيش المصرى التركى فى مساء ٢٢ ابريل سنة ١٨٢٦ ولكن (ابراهيم باشا) و جنوده تنهوا للامر وأطلقوا الرصاص عليهم فحصل بين اليونانيين فزع شديد وولوا الادبار وفى فجر يوم ٢٣ ابريل من السنة نفسها أى فى اليوم التالى سقطت مدينة (ميسولونجى) فى أيدي الجيوش العثمانية وفى شهر يونيو سنة ١٨٢٧ استولى الجيش العثمانى على مدينة { آتينا }

عاصمة اليونان الحالية . وقد أعجب كل منصف محب للإنسانية بالحطة التي جري عليها العثمانيون في دخولهم آتينا حيث عاملوا أهلها بالرفق ولم يقتلوا بل ولم يهينوا أحدا ما بخلاف ما عمله اليونانيون مع المسلمين عند استيلائهم في أول الثورة اليونانية على المدائن والقري

وتفصيل أخذ آتينا بالعثمانيين ان اليونانيين استدعوا اليهم اللورد (كوشران) والسير {روبرشرش} الانكليزيان ليقودا جيوشهم وعصاباتهم فأجابا الطلب وسافرا الى اليونان وتونيا رئاسة الجيش اليوناني المحاصر في آتينا

وقد أبدى الجيش العثماني بقيادة {رشيد باشا} في محاصرة آتينا من المهارة والشهامة ما أبقى له ذكرا عاطرا في التاريخ . فقد جمع هذا القائد العثماني الجليل بين منتهى الشهامة العثمانية ومنتهى الانسانية التي أمر بها الشرع الشريف

وان انتصار جيش {رشيد باشا} على ثوار اليونان في آتينا لمن الانتصارات المعدودة في تاريخ الحروب البشرية . فقد كاد السير {روبرشرش} نفسه أن يقع أسيرا في قبضة العثمانيين لولا انه عند الهزيمة التي بنفسه الى البحر حتى أدرك مركبا كانت بالقرب من الشاطئ

ولما رأي القائد الانكليزيان ان لا مناص من التسليم وسقوط آتينا وقلاعها في أيدي العثمانيين سألا قومندان مركب {جومون} الفرنسي ان يتوسط بين اليونانيين والعثمانيين في أمر الصلح فاجاب سؤلهما وكتب بذلك الى {رشيد باشا} فقبل القائد العثماني الشروط التي عرضها

عليه المسيو { لوبلان } قومندان مركب (جومون) وهي نزع السلاح من الجنود اليونانية وترك الحرية المطلقة لكل من يرغب السفر من أثينا ومعاملة الذين يرغبون البقاء فيها بالحسني وعلى الخصوص الجرحى منهم . ولما علم السير (شرش) بقبول (رشيد باشا) لهذه الشروط فرح كثيرا واندعش غاية الاندهاش من هذا الاعتدال العظيم الذي أظهره ظافر كبير كرشيد باشا

ولكن ثوار اليونان أرادوا أن يظهروا شيئاً من الشهامة التي كان يتزعم بها أنصارهم في أوروبا فرفضوا هذه الشروط وأبوا تسليم قلاع أثينا . ولو كان { رشيد باشا } رجلاً وحشياً كما قال عنه ذلك كذاباً أنصار اليونان في أوروبا لكان دخل أثينا جواباً على وقاحة ثوار اليونان وشهامتهم الكاذبة وقضى عليهم وعلى جنودهم وضباطهم شر قضاء ولكنه تأنى في الأمر واستعمل الدعة التي جبل عليها رعاية للبرياء من سكان أثينا

الآن (رشيد باشا) أنذر السير (شرش) بأنه إذا لم تسلّم أثينا وقلاعها للجيش العثماني في أقرب زمن هاجم المدينة وكان حراً في عمله غير ملوم . فارسل السير { شرش } بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٨٢٧ إعلاناً لثوار أثينا وضباطها أمرهم فيه بوجوب التسليم وأنذرهم بسوء العاقبة إن خالفوا أمره

ولكن ثوار أثينا جروا على خطتهم الأولى ورفضوا الانصياع لأوامر السير (شرش) أي لأوامر قائدهم ورئيسهم فلما رأى ذلك (رشيد باشا) كتب إلى المسيو (لوبلان) قومندان

مركب (جومون) كتبنا في غاية اللطف والرفقة أظهر فيه انه عمل كل ما في وسعه للمحافظة على أرواح الابرياء من اليونانيين القاطنين بأثينا ولكن خطة ثوارهم تحملهم على اتخاذ طريقة أخرى للاستيلاء على أثينا . وعندئذ أعلن السير (شرش) ثوار أثينا بانه يتركهم وأنفسهم لعدم انصياعهم لأوامره . فوقعوا في حيص بيص وارتبكوا أشد الارتباك وانتهزوا فرصة وجود مركب نمساوية في الميناء فسألوا قومندانها التوسط بينهم وبين (رشيد باشا) في أمر تسليم المدينة وقلاعها بطريقة سلمية . فسلم هذا الغضابط النمساوي طلبهم للمسيو (دي ريني) قومندان مركب (سيرين) الفرنسية فاستلم هذا الأخير الطلب وأخذ يخبر { رشيد باشا } مدة ثلاثة أيام حتي قبل القائد العثماني دخول آثينا بالسلم وعدم سفك الدماء . وفي يوم ٥ يونيو سنة ١٨٢٧ أمضي زعماء الثورة اليونانية بأثينا على شروط تسليم المدينة ورحلوا جميعا عنها بعد ذلك .

وقد كتب المؤرخ الانكليزي (فنلي) في كتابه { تاريخ اليونان } عن خطة (رشيد باشا) ودخوله آثينا ما تعريبه :

« لقد اكتسب { رشيد باشا } في سقوط آثينا بخطة التي جرى عليها شرفاً أديا . وظهر فوق السير { روبر شرش } شهامة في الحرب ورأيا في السلم . ولم يترك العثمانيون وسيلة من وسائل الاحتراس الا وأتوها . ولم ينتقموا أقل انتقام من اليونانيين »

*
* *

وقد توفي في أول ديسمبر عام ١٨٢٥ القيصر اسكندر الاول وتولي

بعده (نيقولا الاول) . وما جلس هذا القيصر على أريكة الملك حتى أعلن عداؤه لتركيا وأرسل للحكومة العثمانية بتاريخ ١٧ مارس سنة ١٨٢٦ إنذارا طلب منها فيه جملة طلبات مختصة بالأفلاق والبغدان وبلاد الصرب وترك لها مهلة ستة أسابيع لقبول طلباته وأنذر بها بأنها إن لم تقبل هذه الطلبات انقطعت العلاقات السياسية بين الدولتين واشتعلت نيران الحرب

فانهزت انكلترا هذه الفرصة للتقرب من روسيا وأرسلت في بادئ الامر الى بلاد اليونان ثم الى الاستانة سفيرا يعرض توسط انكلترا بين الدولة العلية واليونان فرفضت الدولة طلبه بعد ان قبله اليونانيون الذين كانوا في أسوأ الحالات بفضل (ابراهيم باشا) بطل مصر وابن عزيزها فاغتاضت انكلترا من الدولة وعمت على الاضرار بمصالحها والا ستقام منها وأرسلت (والنجتون) الشهير — بطل وائرلو التي هزم فيها نابليون — الى سان بطرسبورغ ليتفق مع القيصر على المسئلة اليونانية ضد الدولة العلية وبالفعل اتفق معه وأمضى بينهما اتفاق يتضمن ان روسيا تقبل توسط انكلترا بين الدولة العلية واليونان وان بلاد اليونان تصير مستقلة استقلالاً نوعياً وانها تختار بنفسها حاكماً عليها

ومن الغريب ان انكلترا لما لم تفلح في أمر التوسط بين الدولة العلية واليونان أرادت أن تتوسط بالقوة والقهر وبالرغم عن الدولة العلية نفسها مستعينة في ذلك بالروسيا . وهكذا كانت انكلترا تفهم معنى صداقتها لتركيا ومعنى اخلاصها لملك آل عثمان .

ولما رأى المرحوم السلطان (محمود الثاني) ان انكلترا والروسيا متفتقتان
ضده اضطر الي قبول مطالب روسيا منتظرا الفرص المناسبة . وأرسل
مندوبين من قبله للمخاطبة مع مندوبي روسيا في أمر عقد معاهدة بين
الدولتين ، وقد اجتمع المندوبون في (آق كرمان) ووضعوا بها في سبتمبر
عام ١٨٢٦ عهدة سميت باسم هذه المدينة تضمنت ان يكون للروسيا حق
الملاحة في البحر الأسود والمرور من البوغازين بدون ان تفتش الدولة
سفنها وأن تكون بلاد الصرب مستقلة تقريبا وتضمنت كذلك بعض
شروط مختصة بامتيازات الافلاق والبغدان

ويقول بعض المؤرخين ان الذي حمل تركيا على قبول هذه المعاهدة
غير اتفاق انكلترا والروسيا ضدها هو تعهد روسيا صريحا للحكومة
العثمانية بعدم التداخل في صالح اليونان

وقد اجتهدت انكلترا بعد عقد هذه المعاهدة في استماله فرنسا لها
والروسيا وتوصلت الى عقد اتفاق بينها وبين الدولتين لمساعدة اليونان
ضد تركيا أمضي عليه في لوندرة بتاريخ ٦ يوليوسنة ١٨٢٧

*
* *

وقد كان هذا الاتفاق أساسا لواقعة (ناورين) الشهيرة فان الدول
الثلاث لما رأته ان إبراهيم باشا فاز في المورة وانتصر نصر اميننا واخضع
اليونانيين كافة وان الثورة قاربت الانتهاء وأخذ لهيها في الانطفاء أمرت
كتابها أميرال أسطولها بان يندرج (إبراهيم باشا) بالوقوف عن كل عمل عدائي
ضد اليونانيين وبالعودة الى الاسكندرية مع رجاله وأسطوله . فرفض

{ ابراهيم باشا } هذا الطلب أو هذا الانذار قائل لكل أميرال انه لا يتبع غير أوامر أبيه وأوامر الدولة العلية . ولكنه لما رأى من قواد الاساطيل الاوربية استعدادهم لاشهار الحرب لاسطوله وعدهم برفع بلاغهم الي الاستانة والي والده الجليل . واتفق معهم على هدنة وقتية حين ورود أوامر الدولة وأوامر أبيه

ولكن قواد الاساطيل لم يعملوا باتفاقهم مع (ابراهيم باشا) بل اخذوا يراقبون حركاته وسكناته ويشجعون خلافا لشروط الهدنة كل ضابط يوناني أو أوربي في خدمة اليونان على مهاجمة المدائن والمواقع التي وقعت في قبضة (ابراهيم باشا) وجنوده فشجعوا اللورد كوشران على مهاجمة قلعة (فازيلادي) كما شجعوا غيره من الضباط . وقد احتج (ابراهيم باشا) على هذه الأعمال ولما رأى ان احتجاجه لدى قواد الاساطيل الاوربية لم يقد شيئاً وتحقق من تشجيعهم اللورد كوشران على مهاجمة مدينة { باتراس } خرج من ميناء (ناورين) مع بعض مرابكه لأتقاذ تلك المدينة التي كان بها فوق الألف مصرى . ولكن الاسطول الانكليزي أنذر { ابراهيم باشا } بالعودة الى { ناورين } فعاد هو وأسطوله احتراماً للهدنة التي كان يذكره بها قواد الاساطيل الاوربية وكانوا لا يذكرون بها أنفسهم

وجرى عندئذ ان { ابراهيم باشا } نزل الي البروتوغل في المورة فاتهمز قواد الاساطيل الدولية فرصة غيابه عن الاساطيل المصرية العثمانية وأجمعوا على تدميرها . فأصدر الاميرال { كودرنجتون } الانكليزي — الذي كانت

له القيادة العامة على الاساطيل الفرنسية والروسية والانكليزية —
أمره باستعداد السفن الدولية وعين لكل سفينة مكانها وألقى التعليمات
اللازمة لكل ضابط يقود مركبا . وفي يوم ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٢٧
أدعى الاميرال (كودرنجتون) ان مركبا من المراكب المصرية قتل
أحد بحارته انكليزيا من مركب انكليزية . وجعل هذه الجريمة المختلقة
سببا لتدمير المراكب المصرية والتركية فسلط عليها الاساطيل المتحدة
الدولية حتى دمرتها عن آخرها وزالت هذه الاساطيل الفخيمة في يوم
واحد حيث كان قومندانها الاول وأميرها الاعظم (ابراهيم باشا)
متغيبا عنها ظانا أن قواد الاساطيل الاوربية يحترمون كلامهم وعهودهم !
ويقدر المؤرخون عدد الذين ماتوا من بحارة مصر في هذه المذبحة
الشهيرة بستة ألف بحرى ، وقد عد أنصار اليونان مذبحة (ناورين)
بواقعة المجد والفخار . أما أنصار الحقيقة فقد قضوا عليها شر قضاء ووجهوا
نلام أشد اللام الى حكومات فرنسا والروسيا وانكلترا التي قامت
باسم المدينة باصر ليس فيه الا العار والشنار . وقد قال امبراطور النمسا
وقشذ عن حادثة « ناورين » بانها « مذبحة » !! ونعم التسمية . وقال عنها
جورج الرابع نفسه ملك انكلترا انها « حادثة شهوومة »
وقد تهيج الاحرار في انكلترا ضد الاميرال « كودرنجيون »
واعتبروا عمله وحشيا لا شرف فيه ولا فخار فاضطرت الحكومة الانكليزية
لان تعلن عدم موافقتها على عمل « كودرنجتون » . ولكنهما لم تعلن عدم
موافقتها على هذا العمل الفظيع الوحشي الا بعد حدوثه ويتضح

من المستندات الرسمية التي لا تزال باقية في وزارة البحرية الفرنسية والتي أتى على بعضها المسيو « الفريدلتر » في كتابه عن استقلال اليونان ان حكومات فرنسا والروسيا وانكتر اكانت متفقة من قبل على كل ما أتاه قواد أساطيلها . وقد قال الاميرال « كودرنجتون » لما علم بعدم موافقة حكومته على مذبحته « ناورين » : « ان الوزراء يضحونني ليحفظوا مراكزهم »

أما { ابراهيم باشا } فقد عاد بعد المذبحة ولا يسألن القارىء عن تحسره الشديد على أسطوله العظيم الذي تركه زاهيا قويا وعاد فوجده أثرا بعد عين وعن عظيم اندهاشه من هذا العمل الفظيع الذي قام به دعاة المدينة وأنصار الحرية والانسانية . وقد احتج { ابراهيم باشا } أشد الاحتجاج على هذا العمل الوحشي وزاد احتجاجه واندهاشه عند ما علم بالمطاعن السافلة التي كان يوجهها اليه الاميرال (كودرنجتون) وبان هذا الانكليزي الذي دمر الاساطيل المصرية والتركية بأسفل الطرق وأدنى الوسائل ادعى انه - اى ابراهيم باشا - هو الخائن للعهد الناكث لشرط الهدنة وانه المسبب لواقعة (ناورين)

وقد كتب الضابط الفرنسي المسيو { بوجول } تاريخ مذبحة « ناورين » وأتى فيها على كل مقاله له (ابراهيم باشا) عقب المذبحة . وانا نأتى هنا على ترجمة فصل يتضمن تصريحات « ابراهيم باشا » بشأن تهم الاميرال كودرنجتون . كتب المسيو بوجول ما ترجمته :

« قال لي (ابراهيم باشا) عند زيارتي اليه : انهم يتهمون ابراهيم بأنه

خان العهد ولم يحترم كلامه ولكنني مستعد لان أسافر لباريس وللو ندره اذا اقتضي الحال ذلك لاطهر الحقيقة ولكي يحمل الذين اسالوا دماء الابرياء وحدهم الفضيحة والملامة . وما أنشئت السفن الا لتكون فريسة النار أو البحار فلذلك لست اليوم آسفا عليها . ولكن اتهاى باني خنت عهدى هو وشاية سافلة . واني أعتد على شرفك يا حضرة الضابط لتبلغ كلمة بكلمة الي أميرالك ماقلتلك

فقل له ان ثاني يوم نواقعة د ناورين ، دعا الاميرال الانكليزي الاميرال التركي الى مركب انكليزية وأوشى له باني قدمت اليه . بالغ طائلة ليساعدني على الاستقلال بمصر من الدولة العلية ومن التابعة للحضرة السلطانية وقال له باني خان وأشار عليه بتبلغ ذلك للضباط والبحارة الاتراك . فماذا يقال عن هذا السلوك وعن هذا الغش ؟ أولم تبلغ الوقاحة بالاميرال الانكليزي انه طلب من الاميرال التركي ان يسلمه امرأة من نسائي ؟ ،
وانه ليسهل على القاري ان يحكم بعد اطلاعه على أقوال د ابراهيم باشا ، أي الرجاين صادق . ابراهيم ذلك البطل النادر المثال الذي عامل ثوار اليونان بعد انتصاره عليهم النصر المدين بالرافقة والرحمة وما سفك للابرياء دما . ذلك الذي احترم عهده . أم كدرنجتون الذي تولى أمر تدمير أساطيل لم تعاده أقل عداً وخان بذلك عهده وكلامه وشرفه بل لطح أوروبا والمدنية الغربية بدنس الفضيحة والعار .

*
* *

وبينا كانت الدول الثلاث تتداخل لصالح اليرانيين وتسفك دماء الابرياء

لاجلهم وتدمر الاساطيل غدرا لمساعدتهم ونصرتهم كان اليونانيون يهجمون على سفن التجارة الاوربية ويسرقون كل ما فيها من المتاجر والمصانع والاموال . وقد ايد هذه الحقيقة الاميرال الفرنساوى «دى رينى» نفسه وكتب جملة كتب على هذه السرقات الفظيعة والتعديت المتعددة الى وزارة البحرية الفرنساوية وقد قال في كتاب من كتبه (ان عدد السفن التي اعتدى اليونانيون عليها وسرقوا ملها بلغ في شهر واحد ستين سفينة) فليجب القارىء بقوم تحارب أوربا لاجلهم وتخون عهدا حبا فيهم ويلطخ قواد أساطيلها شرفهم وشرف دولهم بمذبحة (ناورين) وهم يجيئونها على هذا التناهي في الاحسان بالتناهي في اساءة رعاياها وسرقة أمتعتهم وأموالهم ومتاجرهم ومصر نعمهم !!!

*
* *

وقد طلبت الحكومة العثمانية من الدول الثلاث ترضية علمية لمذبحة «ناورين» فرفضت الدول طلبها ولم تكف برفضه فقط بل طلبت منها ان تقبل مطالبها المشتركة بشأن اليونان وان تعلن استقلالها فأجابت الدولة على هذا الطاب الغريب بالاندهاش والاستغراب والرفض . فبارح عندئذ سفراء انكترا والروسيا وفرنسا الاستانة بتاريخ ٨ ديسمبر

سنة ١٨٢٧

وفى ١٢ ديسمبر من السنة نفسها تجدد بين الدول الثلاث اتفاق لوندرة السالف الذكر . وأخذت روسيا من ذلك العهد تعمل لاعلان الحرب بينها وبين الدولة العلية . وبتاريخ ١٦ ابريل سنة ١٨٢٨ اشهرت بالفعل

اعلانها الحرب لتركيا . وفي ٧ مايو اجتازت الجنود الروسية نهر (بروث)
 ولا شك ان الدولة العلية كانت وقتئذ في أشد الاخطار وكانت
 أزمته شديدة قوية فان روسيا أظهرت عداها لها بأشهر الحرب عليهما
 . وانكلترا أظهرت عداها لها بمساعدة اليونانيين في السر والجهر وبترك
 أسطولها واقفا في مياه الشرق يهدد موانئها وبعقد المؤتمرات المختلفة
 لاعلان استقلال اليونان بالرغم عن اخضاع (ابراهيم باشا) لثورويهم
 وانطفاء نار الفتنة . وفرنسا اشتركت في هذه العداوة بارسال جيش
 جرار تحت قيادة الجنرال « ميزون » الى بلاد اليونان

وقد رأى عندئذ المرحوم « محمد علي باشا » بنظره الصائب ان الدول
 الثلاث متفقة كلها ضد الدولة العلية وأن مأمورية مصر قد انتهت بقمع
 الثورة اليونانية فأصدر أمره الى ابنه المرحوم (ابراهيم باشا) بالعودة هو
 وجنوده الى الوطن العزيز فصعد بامر والده وعاد لمصر . حيث احتلت
 الجنود الفرنسية المواقع والبلاد التي أخلتها جنود مصر

وبذلك يري القاريء ان الدول الثلاث كانت تعمل في آن واحد ضد
 الدولة العلية وكانت الدولة بلا نصير ينصرها ولا صديق يساعدها
 وكانت النمسا تعضدها بالقول في الباطن وتعلن في الظاهر صداقتها لروسيا
 شأنها في سياستها على الدوام . فضلا عن ان الجيش العثماني كان حديث
 التشكيل لان المرحوم السلطان { محمود } قد أنغي طائفة الانكشارية
 ومع ذلك فقد أظهرت الجنود العثمانية في الحرب مع روسيا من الشهامة
 والثبات ما حير رجال الحرب في أوربا وأدهش الروسيين ، فان الجيش

الروسي مع عظيم استعداده وكثرة عدده لم يستول على «وارنا» الا بعد صعوبات جمة ولم يستطع أخذ مدينة شوملا . واضطر للرجوع الى الوراء في شهرى اكتوبر ونوفمبر بعد ان خسر الخسائر الجمة . وقد قارن وقتئذ (مترنيخ) وزير النمسا الاول تقهقر الروسيين في هذه الحرب بتقهقر نابليون في عام ١٨١٢

وقد استمرت الحرب في عام ١٨٢٩ . ولكن الجنود العثمانية التي كانت مشكلة حديثا كما قدمنا لم تستطع مقاومة الجيش الروسي تمام المقاومة فاستولى هذا الجيش على مدينة (اسكي استانبول) واجتاز جبال البلقان وبلغ في ٢٠ أغسطس سنة ١٨٢٩ مدينة (أدرنه) . وبالرغم عن هذه الانتصارات فان القيصر نيقولا الاول كان يخاف الهزيمة لما رأى عند الجيش العثماني من الدراية والكفاءة في سنة ١٨٢٨ ولذلك سأل ملك بروسيا أن يتوسط في أمر الصلح بينه وبين الدولة العلية . فقبل ملك بروسيا ذلك وتوسط بالفعل في أمر الصلح وفي ٤ ستمبر من السنة نفسها أمضت روسيا والدولة العلية على معاهدة { أدرنه } . وهي تتضمن استيلاء الروس على جملة مواقع اسبوية وضمانة حقوق الافلاق والبغدان وصربيا وحرية مرور السفن الروسية من بوغازي الدردنيل والبوسفور وحرية التجارة للرعايا الروسيين وتتضمن أيضا ان الدولة العلية تدفع للروسيا غرامة حربية تبلغ الخمسة ملايين ونصف من الجنيهات . وان الدولة العلية تقبل ما اتفقت عليه الدول بشأن اليونان

وهذا الاتفاق بين الدول بشأن المسئلة اليونانية لم يكن مشتملا الاعلى

جعل بلاد اليونان مستقلة تمام الاستقلال ! وقد أمضت الدول في لوندريه
 بتاريخ ٣ فبراير سنة ١٨٣٠ على معاهدة بهذا المعنى
 وبذلك انتهت هذه الازمة الشديدة وتم استقلال اليونان. وأن القاريه
 يجد من خلال هذه السطور ومن مطالعة هذه الحوادث الحكم الصحيح
 على خطة الدول نحو الدولة العلية ويرى كيف انها أخرجت من تحت حكم
 الدولة بلاد اليونان بحجة المسيحية والمدنية مع ان روسيا جزأت من قبل
 مع البروسيا والنمسا بلاد بولونيا ولم ترع للمسيحية حرمة ولا للمدنية مقاما !
 وهكذا الغرض في كل الامور يعنى الدول كما يعنى الافراد

﴿ الازمة الثانية ﴾

(مسألة الشام)

(بين مصر والدولة العلية)

ان هذه الازمة هي الازمة التي اذا تذكرها العثمانيون والمسلمون امتلأوا حسرة وأسفا اكثر من كل أزمة سواها ، لانها أعظم شقاق وقع بين التابع والمتبوع وبين مصر والدولة العلية أي بين قلب الخلافة الاسلامية وهذه الخلافة نفسها وبين روح المملكة العثمانية وهذه المملكة وسيجد القارئ في هذا الفصل تفاصيل هذه الازمة المشؤمة وما جرّت على الدولة ومصر والاسلام من الاضرار والمصائب مما سبق أبد الدهر درسا للعثمانيين والمسلمين ونذيرا بأن الشقاق بين أعضاء مجموع واحد يعود على المجموع كله وعلى أعضائه عضوا عضوا بالمصائب العظام والبلايا الجسام

ابتدأت هذه الازمة بخلاف وقع بين عزيز مصر ووالي (عكا) بسبب مهاجرة بعض المصريين الي الشام حيث لم يرض والى (عكا) بأن يعيدهم الي مصر طبقا لرغائب المرحوم { محمد علي باشا } . فأمر عزيز مصر ابنه المرحوم (ابراهيم باشا) بالسفر الي بلاد الشام على رأس جيش جرار للانتقام من هذا الوالي فسافر واستولي في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ على (عكا) وبعد الاستيلاء عليها دخل هو وجيشه دمشق وحمص وعبر جبال طوروس بعد معارك مختلفة بين الجيش المصري والجيش التركي وقد انتهت سنة ١٨٣٢ بوصول المرحوم (ابراهيم باشا) الي قلب

آسيا الصغرى حيث وقعت بين عساكر مصر وعساكر الدولة واقعة
 {قونيه} الشهيرة التي انتهت بسقوط هذه المدينة في أيدي المرحوم
 « ابراهيم باشا ». وكان ذلك في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ - وقد وقع في هذه
 الواقعة أسيرا في أيدي المصريين المرحوم « رشيد باشا » الذي كان يقود
 الجيش التركي امام « ابراهيم باشا » والذي كان من قبل في بلاد اليونان
 مكلفا بقمع الثورة اليونانية

ولا شك ان هذه الانتصارات المتوالية تدل من جهة على ما كان لمصر
 وقتئذ من القوة الهائلة وتحمل الانسان من جهة أخرى على التساؤل كيف
 تقهر الأتراك الأبطال في هذه المواقع . فالجواب على ذلك ان المرحوم
 السلطان { محمود الثاني } كان قد ألغى طائفة الانكشارية كما قدمنا وكان
 مشتغلا بتنظيم جيش جديد عند ما قام المرحوم { محمد على باشا } باحداث
 هذه الازمة المشؤومة ولم يكن الجيش التركي الجديد مستعدا تمام
 الاستعداد للقتال

وكان من نتيجة هذا الخلاف المشؤوم بين مصر والدولة العلية ان
 المرحوم السلطان (محمود الثاني) اضطر للاستنصار بالدول الاوروبية .
 فانهزت روسيا هذه الفرصة لتقوية نفوذها في تركيا وجعل سيطرتها
 عظيمة على الباب العالي فظهرت للدولة العلية استعدادها لمساعدتها ضد
 عزيز مصر وأرسلت الى الاستانة الكونت (مورافيف) أحد ضباط
 القيصر الحصوصيين مكلفاً بتبليغ الباب العالي ان الحكومة الروسية تقدم
 اليه اذا أراد أسطولا قويا وجيشاً عظيماً لنصرة الدولة ضد عزيز مصر

ومكافئاً كذلك بالسفر الى الاسكندرية لاقتناع المرحوم (محمد علي باشا) بضرورة الاتفاق مع الدولة والرجوع عن نواياه ومشروعاته ضدها وبالفعل ذهب {مورافيف} الى الاستانة فاستقبل رجال الدولة بلاغه بالرضي مع الحزن الشديد على هذه الحالة التي وصلوا اليها بسبب الشقاق المشؤوم بين المتبوع الاعظم والتابع اى بين خليفة الاسلام وأكبر أمراءه وقد سافر الكونت (مورافيف) من الاستانة الى الاسكندرية في يناير عام ١٨٣٣ بقصد اقناع عزيز مصر بوجوب حل المشكلة حلا سلمياً هذه كانت سياسة روسيا وسيرى القارىء نتائجها السيئة على الدولة العثمانية . أما البروسيا فلم تتدخل في الامر بل تركت بقية الدول الأوروبية مشتغلة بالمسئلة وانتظرت النتيجة . وقد ودبض سواس النمسا أن تتدخل دولتهم في هذه الازمة المهمة لتحول دون أغراض روسيا ولكن القابضين على أمور المملكة النمساوية حيث ذرأوا ان الثورة تهدد دولتهم من كل جانب وانهم في حاجة شديدة لعضد روسيا ومساعدتها فالتزموا لهذا السبب الحيادة واختاروا سياسة مراقبة الحوادث والانتظار

أما انكترا فقد كانت أميالها من بادىء الامر ضد أميال عزيز مصر . ولكنها كانت تخاف أضاف نفوذها في تركيا بتقوية نفوذ روسيا فكانت تريد العمل ضد روسيا ومساعدة تركيا في آن واحد غير ان ايرلندا كانت في ذلك الحين قائمة بالثورة ضد بريطانيا رغبة في نوال حريتها واستقلالها فبقيت لذلك انكترا مترددة في سياستها

ولم يكن لعزيز مصر بين الدول الأوروبية دولة تريد نصرته في السر

والجهر غير فرنسا . فان الرأي العام فيها كان يحب (محمد علي باشا) حباً شديداً وكانت أعمال عزيز مصر ومجهوداته في سبيل رفع شأن مصر وتمدينها معروفة في فرنسا ومقدرة فيها حق قدرها لاسيما وان اغلب عمال عزيز مصر في تمدين مصر كانوا من الفرنسيين . وكان بين (لويس فيليب) ملك فرنسا وبين (محمد علي باشا) مودة شديدة وصداقة متينة

الا ان سفير فرنسا في الاستانة كان يخاف سقوط نفوذ دولته في المملكة العثمانية بقدر ارتفاعه وازدياده في مصر فعرض على الباب العالي ان يتوسط بينه وبين أمير مصر وكتب الى المرحوم « ابراهيم باشا » يرجوه باسم فرنسا ان لا يتقدم في فتوحاته وكتب الي المرحوم (محمد علي باشا) يسأله ان يقبل الشروط التي أرسل بها اليه المرحوم السلطان (محمود الثاني) مع خليل باشا . وهذه الشروط كانت تنحصر في تنازل الدولة لعزيز مصر عن ولايات (عكا و نابلس وصيدا وبيت المقدس) . ولكن (محمد علي باشا) كان يريد الاستيلاء على الشام كلها وكان قنصل فرنسا بمصر يشجعه على أمياله وأغراضه . فلذلك لم يقبل عزيز مصر الشروط السلطانية التي عرضها عليه خليل باشا ولم يلق رجاء سفير فرنسا بالاستانة عنده قبولاً لانه اعتبره بمجاملة لتركيا وغير صادر عن تعليمات سياسية واردة من الحكومة الفرنسية . وأمر ابنه المرحوم (ابراهيم باشا) بالتقدم في فتوحاته فصعد بالامر وتقدم الى ان وصل مدينة (كوتاهيه)

فلما علم المرحوم السلطان (محمود الثاني) بذلك سأل روسيا في آخر يناير سنة ١٨٣٣ أن ترسل اليه باسطولها فوعده بذلك . وفي هذه الاثناء عاد

« مورافيف » من الاسكندرية وكان قد نجح في مأموريته لدى (محمد على باشا) بعض النجاح فأعلن الباب العالي أن أمير مصر وعده وأصدر أمره لابنه بالوقوف عن التقدم في فتوحاته . فلما علمت الدول الأوروبية بذلك رأت أن مجيء الاسطول الروسي الي مياه البوسفور صار غير لازم فسألت الباب العالي ان يجعل وقوفه بلاد القرم والسكن الروسية كان يههما ان يظهر اسطولها في مياه الشرق ويعلم المسلمون قبل المسيحيين انها صارت حامية للمملكة العثمانية والامينة على مصالح دولة آل عثمان !!!

فجاء الاسطول الروسي الي مياه البوسفور وجعل مرساه امام سراي السلطان وبعد وصوله بأيام قليلة وصل جزء من الجيش الروسي الي الاستانة وأقام بها . فهاجت لذلك انكلترا والنمسا وفرنسا وطلبت من الدولة العلية الاسراع بالاتفاق مع عزيز مصر وابعاد العساكر الروسية عن أراضي الدولة . فقبل المرحوم السلطان (محمود الثاني) طلب الدول الثلاث وبعد مخبرات مختلفة أعلنت الدولة العلية في أوائل مايو سنة ١٨٣٣ بخطين شريفين أنها عينت أمير مصر واليا على الشام وعلى ولاية (أطنه) . وقد سمي هذا الاتفاق الذي صدر به الخطان الشريفان باتفاق (كوتاهية) نسبة الى المدينة التي كان محتلا لها (ابراهيم باشا) عند عقد هذا الاتفاق

ولما صدر هذان الخطان الشريفان سألت الدول الأوروبية الدولة الروسية ان تسحب أسطولها من مياه البوسفور وجنودها من أراضي الدولة فأجابت الطلب ولكنها لم تنفذه الا بعد ان أمضت مع الدولة

العلية على معاهدة (خونكار اسكاهسي) التي جعلت للروسيا في الدولة
العلية نفوذا قويا وسلطة عظيمة

ومضمون هذه المعاهدة ان الدولة العلية تتحالف مع روسيا تحالفاً
دفاعيا وان تتعهد كل واحدة منهما بمساعدة الاخرى في داخل بلادها أو
في خارجها حسب الظروف . ولاشك ان ظاهر هذه المعاهدة لا يفيد
شيأ غريبا ولكن المتأمل يرى ان الدولة الروسية كانت غير واقعة وقتئذ
تحت خطر . فكان من المستحيل ان ترسل الدولة العلية يوما ما جيشاً تركيا
لداخل البلاد الروسية بخلافها فانها كانت واقعة تحت خطر ظاهر وكان
احتمال دخول الجنود الروسية الى قلب المملكة العثمانية حاصلا . ذلك
فضلا عن ان روسيا كان في استطاعتها ان تحدث في قلب الدولة من
الاضطرابات ما تشاء لما كان لها فيها من الآلات القوية . أى انه كان يمكنها
ان ترسل بجنودها الى داخل الدولة في أى وقت تريد

والذي يثبت ان دخول الجيوش العثمانية الى قلب المملكة الروسية
كان مستحيلا حتى في حالة قيام الحرب بين روسيا وبين احدى الدول
خلافها لظاهر معاهدة (خونكار اسكاهسي) ان روسيا اشترطت في
آخر المعاهدة ان الدولة العلية غير ملزمة بارسال مدد عسكري اليها في حالة
وقوع الحرب بينها وبين احدى الدول بل يكفيتها عوضاً عن ارسال مدد
عسكري ان تقفل بوجاز الدردينيل أمام أساطيل الدولة أو الدول المحاربة
للروسيا

وقد علمت فرنسا وانكلترا بهذه المعاهدة وعلمت كلتاها على أبطالها

ولكن مسعاها لم ينجح وتكدرت بذلك علاقتهما مع روسيا

*

**

ولم ينسح حكم هذا الاتفاق طويلا فان انكثرا التي كان يسوءها استتباب السكينة والسلام في الشرق والتي اقتضت سياستها في كل أطوار المسئلة الشرقية اضعاف سلطة المسلمين عملت على تحريض الدولة العلية على الاخذ بالثار والانتقام من عزيز مصر . وقضلا عن اهتمام انكثرا باضعاف السلطة الاسلامية في الاستانة ومصر فانه كان يروق لها ان تأخذ المركز الاول في النفوذ لدى الباب العالي وتخفف من نفوذ روسيا وسلطتها . فلذلك استمرت تحرض الدولة على الانتقام من (محمد على باشا) ووجدت عند رجال الدولة أذانا صاغية لان قلوبهم كانت قد تغيرت من جهة مصر وأميرها وتركت فيها حوادث الشام آلاما كبيرا

وقد نجحت انكثرا في هذه السياسة وعقدت مع الباب العالي اتفاقا تجاريا يحول لها كل ما للروسيا من الحقوق والامتيازات وقابلت ثقة تركيا بها بان استعدت لاحتلال (عدن) كأنها أرادت ان تعرف الحكومة العثمانية مقدار ثمن المودة الانكليزية

ومع ذلك فقد اتبعت الدولة العلية آراء الانكليز ونصائحهم وسييرت جيشا جرارا الي آسيا تحت قيادة (حافظ باشا) . فعبر هذا الجيش نهر الفرات في ٢١ ابريل سنة ١٨٣٤ وفي ٧ يونيو من السنة نفسها أعلنت الدولة العلية الحرب على جيوش مصر . وقد كان المرحوم (محمد على باشا) علم من

قبل باستعداد الدولة لمحاربتة واخراجه من الشام فتأهب للقتال واستعد
أكمل استعداد

فلما عامت الدول الأوروبية باستعداد الدولة العلية للحرب اهتمت
كلها بالمسئلة وأخذت انكثرا تبذل الجهد في استماله فرنسا اليها والاتفاق
معها على مساعدة تركيا ضد { محمد علي باشا } واطراف نفوذ الروسيا في الدولة
العلية. ولكن فرنسا لم تقبل الاتفاق مع انكثرا ضد عزيز مصر لما كان
له عندها وعند الشعب الفرنسي من الاحترام العظيم والحكمة العلية
وقد قام وقتئذ الخطباء على منبر مجاس النواب الفرنسي بالقاء
الخطب البليغة دفاعا عن أميال عزيز مصر وأغراضه السياسية سائلين
حكومتهم مساعدته ومنع كل عمل عدائي ضده. ولم يظهر الرأي العام
الفرنساوي قوته وشدة تأثيره على حكومته في ظروف كثيرة مثل ما أظهر
في مسئلة الخلاف بين مصر والدولة العلية فانه كان منتصرا لعزيز مصر
أشد الانتصار

وقد أدى رفض فرنسا لطلب انكثرا الى اتفاق هذه الدولة مع
الروسيا اتفاقا مبدئيا ضد عزيز مصر

أما النمسا فقد عرضت على الدول مشروع عقد مؤتمر بفيينا لحل
المشكلة المصرية ، فلم تقبل الروسيا هذا الطلب خوفا من تداخل الدول
في شؤون تركيا الداخلية واطراف نفوذها بمثل هذا التداخل . ورفضت
فرنسا كذلك طلب النمسا منعا لاتفاق الدول ضد (محمد علي باشا)
وبينما الدول مشتغلة بهذا الخلاف الخطير اذ انتشر خبر واقعة (نصيبين)

أو « نزيب » التي انتصر فيها الجيش المصري بقيادة « ابراهيم باشا » على الجيش التركي في ٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ . وبعد هذه الواقعة بأسبوع واحد توفي المرحوم السلطان (محمود الثاني) ولم تكن وصلتته أخبار واقعة « نصيين » لعدم وجود الاسلاك البرقية وقتئذ . وتولي بعده على الاريكة العثمانية ابنه السلطان الغازي (عبد المجيد خان)

وفي ٤ يوليو من السنة نفسها شرع أحمد باشا القبودان الأول للأسطول العثماني في تسليم هذا الاسطول لعزير مصر وسبب ذلك انه كان يبغض خسرو باشا الصدر الاعظم بغضاً شديداً ويميل كثيراً الى عزير مصر . فلما علمت الدول الاوروبية بهذا النبأ الغريب أرسلت مذكرة الى الباب العالي بتاريخ ٢٧ يوايو سنة ١٨٣٩ تفيد انها متفقة كلها على مساعدته في هذه الازمة ودفع الخطر عن المملكة العثمانية . وقد اشتركت فرنسا مع بقية الدول في ارسال هذه المذكرة ولم يكن قصدها بذلك الاشتراك معها ضد (محمد علي باشا) بل منع اتفاقها ضده اتفاقاً حربياً وبناء على رجاء فرنسا لم يتقدم « ابراهيم باشا » بعد « نصيين » بل وقف عندها

وقد عرض وقتئذ بالمرستون وزير خارجية انكلترا على الدول الأوروبية ان ترسل جميعها انذاراً لعزير مصر تأمره فيه بسحب جنوده من الشام والاكتفاء بأمارته على مصر وتهده بانها تنفذ مطالبها بالقوة ان لم يرض بها ويدعن اليها . فعارضت فرنسا مطلب بالمرستون أشد امارضة وطلبت باسم (محمد علي باشا) تعيينه أميراً على مصر والشام وبلاد العرب

واستمر الجدل بين حكومتى باريس ولوندره طويلا واشتدت لهجة السياسيين من الجانبين كما اشتدت لهجة جرائد الدولتين وتكدرت عقب ذلك العلاقات بين الحكومتين . فسعت الروسية في ان تضم اليها انكلترا وتجعل ما بين هذه وفرنسا من الخلاف اساساً لوفاق يوضع بينها وبين انكلترا وأرسلت لهذا الغرض البارون دى (برونو) لوندوره . ولكن بعض وزراء الحكومة الانكليزية كانوا يخالفون بالمرستون رأياً وكانوا يودون الاتفاق مع فرنسا . فلم يتم لهذا السبب بين انكلترا والروسيا الاتفاق وعاد البارون دى (برونو) الى سان بطرسبورغ ليتلقى تعليمات جديدة وقد زاد وقتئذ تهيج الشعب الفرنسي في صالح عزيز مصر ازديادا هائلا وخاف { لويس فيليب } ملك فرنسا من عواقب هذا التهيج فأمر بارجاع بقايا { نابليون الأول } من جزيرة سانت هيلينه ودفنها بباريس في موكب حافل ليشتغل الشعب الفرنسي عن مصر وأميرها بذكرى نابليون الأول وذكرى فتوحاته وانتصاراته العديدة . وبالفعل جيء بجثة نابليون الأول وسارت في باريس في موكب لم ير له مثيل لاني جلاله ولا في نخامته . مما حول أنظار الشعب الفرنسي عن مصر قليلا كثيرا

أما انكلترا فقد اتفق سواها مع البارون دى { برونو } بعد عودته من روسيا ودعوا الدول الأوروبية لارسال مندوبين من قبلها لحضور مؤتمر يعقد بلوندره لحل المشككة المصرية . وقد اشتركت فرنسا في هذا المؤتمر غير ان سفيرها بلوندره المسيو { جيزو } الشهير وجه عنايته كلها

لمد أجل المؤتمر ومنع الدول من الوصول الى اتفاق نهائي لأن الحكومة الفرنسية كانت مشتتة سراً بالتوسط بين تركيا ومصر وكانت تؤمل بلوغ نتيجة مرضية لعزيم مصر بدون تداخل الدول الاخرى .

وقد نجحت فرنسا في مخابراتها السرية مع مصر والباب العالي بعض النجاح وتوصات الى عزل (خسرو باشا) المصدر الأعظم ، الا ان (بونسونبي) سفير انكترابالاستانة علم بمخبرات فرنسا السرية وأبلغ حكومته هذا الخبر العظيم الاهمية . فهاج { بلرستون } لذلك واعتناز كثيرا وصمم على الانتقام من فرنسا فندس الدسائس ضد { محمد علي باشا } في الشام وأقام أهلها ضده وعمل على عقد اتفاق بين انكترابالروسيا والنمسا والبروسيا أى بين كل دول أوروبا ماعدا فرنسا . وبالفعل عقد هذا الاتفاق وأمضي مندوبو الدول الاربع في لوندرة بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ على اتفاقية مخصصة بالشككة المصرية

وهذه الاتفاقية تضمنت ان { محمد علي باشا } يرد الى الدولة جزيرة كريد وبيت المقدس وأطنه وبلاد الشام الشمالية وازي يحفظ له ولائته من بعده مصر ويتولى ولاية (كاك) مدة حياته . وانه ان لم يخضع لاوامر الدول في مدة عشرة أيام من تاريخ ارسال الانذار الدولى اليه لاترك الدول له غير مصر وان لم يخضع في مدة عشرة أيام أخرى لاترك له مصر نفسها وتضمنت هذه الاتفاقية غير ذلك ان الدول تشترك في حماية بوغازى الاستانة والدردانيل ضد كل اعتداء

وقد اتفق مندوبو الدول في هذه الاتفاقية على انها تنفذ قبل توقيع

دولهم عليها اذا اقتضي الحال ذلك

وما علم (لويس فيليب) ملك فرنسا بهذه الاتفاقية حتى أعلن غضبه
وسخطه ووافق وزيره الاول (تيريس) على الاستعداد للحرب فوجد هذا
الاخير الجنود الفرنسية وجمع الرديف واشتغل بتحصين الحدود وساعد
الجراند على تهيجها الشعب ضد دول أوروبا. فتهيجت فرنسا كلها منادية
بالانتقام لها ولا أمير مصر من دول أوروبا

وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٤٠ ضرب الاميرال الانكليزي (ناييه) ثغر
بيروت وجبر (ابراهيم باشا) على اخلاء هذا الثغر. وبعد اخلائه بثلاثة
أيام أعلن الباب العالي عزل (محمد علي باشا) من أمارة مصر نفسها وكان
ذلك بناء على ايعاز (بونسوني) سفير انكلترا بالاستتانة. فحدثت
هاتان الحادثتان في فرنسا تأثيرا شديدا وهياجا عظيما مما جعل عناية
الحكومة الفرنسية بتتبع استعداداتها الحربية عزيمة شديدة وصير
الحرب قاب قوسين أو أدنى

وقد استعفى بعد ذلك بقليل المسيو (تيريس) من رئاسة الوزارة
الفرنساوية وعين مكانه المرشال (سولت) وتقلد المسيو (جيزو) سفير
فرنسا بانكلترا منصب وزارة الخارجية. فبذل أقصى جهده في تعديل
اتفاقية ١٥ يوليو التي عقدت بين الدول الاربع في لوندرة ولكنه لم يفلح
في مسعاه لشدة كراهة (المارستون) وزير خارجية انكلترا لفرنسا ولعزيم
مصر

وفي ذلك العهد جاءت الاخبار من الشام مؤيدة آمال المارستون فان

الاسطول الانكليزي والاسطول النمساوي استوليا على أهم الموانئ السورية وخرجت (عكا) نفسها من أيدي الجنود المصرية في ٢ نوفمبر سنة ١٨٤٠ - ولم يستطع المرحوم (محمد علي باشا) قمع الهيجان الذي أحدثته الدسائس الانكليزية ضده في الشام. فسر بالمرستون بهذه الاخبار وأراد ان يزيد الطين بلة ويجعل الاضطراب عاما في كل أنحاء أوروبا فاقترح على الدول الأوروبية عزل (محمد علي باشا) من أمانة مصر نفسها واخراجه هو وعائلته من الديار المصرية. فازداد لذلك الهياج في فرنسا ازديادا هائلا وحمل المسيو (تيرس) في مجلس النواب الفرنسي على الوزارة حملة شديدة متهما أياها بترك انكلترا تنتقم من { محمد علي باشا } صديق فرنسا الحميم فأجاب المسيو (جيزو) وزير خارجية فرنسا على اعتراضات { تيرس } وغيره من الخطباء بأن فرنسا لا تقبل أبداً نزع أمانة مصر من أيدي { محمد علي باشا } وأبنائه من بعده وأنها مستعدة للدفاع عن حقوقه في مصر ولو اضطرت الي الحرب. فأدركت أوروبا من لهجة الحكومة الفرنسية ان قبول اقتراح بالمرستون يكون داعية لحرب عامة وأصلا لمصائب حمة فرفضته إرضاء لفرنسا ومنعا للحرب وعواقبها الوخيمة

ولم يرضخ المرحوم (محمد علي باشا) لأوامر الدول الأوروبية الا عندما رأى ان فرنسا غير قادرة على مقاومة أوروبا كلها وان الأدميرال الانكليزي (نايبه) يهدد ثغر الاسكندرية ان بقي مستمرا على المقاومة وعدم الانصياع لأوامر الدول. فأمضى معه اتفاقية تعهد فيها

بسحب الجنود المصرية من الشام وتعهده فيها الاميرال (نابيه) بجعل اماره مصر له ولابنائه من بعده . وما وصل خبر هذه الاتفاقية الى الاستانة حتى أشار « بونسونبي » سفير انكلترا بها على الباب العالي برفضها فرفضها وصرح بأنه لايقبل جعل اماره مصر وراثية لعائلة (محمد على باشا) بل له وحده مدة حياته

فلما علمت فرنسا بذلك عرضت حكومتها على مجلس النواب مشروع تحصين مدينة باريس أى اتمام الاستعدادات الحربية فأقر المجلس على المشروع بارتياح تام وأيد الحكومة فى خطتها ودفاعها عن حقوق مؤسس العائلة الخديوية . فاضطرت حكومة النمسا وحكومة البروسيا عند ما تحققت ان استعدادات فرنسا للحرب حقيقة وان الاعتداء على حقوق (محمد على باشا) وسلالته فى مصر يكون سببا لحرب عمومية فى أوروبا . واتفقتا على منع الحرب بكل الوسائل وتأييد « محمد على باشا » وسلالته من بعده فى اماره مصر وجبرتا بالفعل انكلترا والروسيا على تقديم مذكرة مشتركة معهما للباب العالي طلبت فيها الدول الاربع جعل اماره مصر لمحمد على باشا وسلالته من بعده . وقد قدمت هذه المذكرة فى ٣١ يناير سنة ١٨٤١ وأخذت النمسا بعد تقديمها تجتهد فى استماله فرنسا للاشتراك مع بقية الدول فى أمر تسوية المسئلة المصرية . فقبلت فرنسا ذلك ولكنها اشترطت عدم التعرض لاتفاقية لوندرة التى أبرمت بالرغم عن معارضتها وتم مفعولها

وقد أقرت فرنسا مع الدول فى لوندرة على اتفاقية البوغازات التى

تضمنت قفل بوغاز الدردنيل والبوسفور لكل سفن الدول الحربية بلا استثناء

وقبل ان تمضي الدول على هذه الاتفاقية أصدر الباب العالي — متبعا في ذلك نصيحة السفير الانكليزي « بونسوني » — خطا شريفا أعلن فيه ان حكومة مصر تبقى وراثية لعائلة « محمد علي باشا » ولكن الدولة تحم انتخاب من تشاء من أعضاء العائلة لامارة مصر عند وفاة أميرها الحاكم وان لا تجند مصر اكثر من ثمانية عشر ألف عسكري وان تؤخذ الضرائب بنفس الطريقة التي تؤخذ بها في تركيا وأن يرسل للدولة منها الربع . فرفض عزيز مصر هذه القيود كما رفضتها فرنسا وعاد الهياج والاضطراب في فرنسا الي ما كانا عليه . فاهتم « مترنيخ » وزير النمسا الاول بالامر وسعى في عزل الصدر الاعظم « رشيد باشا » الذي كان يعمل بنصائح السفير الانكليزي فعزلته الدولة وعينت مكانه (رفعت باشا) وأصدرت ارادة جديدة بتعيين (محمد علي باشا) واليا على مصر وجعل امارة مصر لابنائه من بعده الأرشد فالارشد . وبان يتفق بعد بين مصر والباب العالي على مبلغ ترسله مصر سنويا للدولة العلية

فقبل المرحوم (محمد علي باشا) هذه الشروط في ١٠ مايو سنة ١٨٤١ ولم يعد لانكلترا وسفيرها بالاستانة حجة لخلق المشاكل ومد أجل الشقاق وبذلك أمضت الدول كلها في ثوندره بتاريخ ١٣ يوليو من السنة نفسها على اتفاقيتين الاولي معلنة قفل باب المسئلة المصرية (حين ذاك) والثانية متعلقة بقفل بوغازي الدردنيل والبوسفور أمام سفن الدول الحربية

وبذلك انتهت هذه الازمة المشؤمة

*
* *

لاريب ان المرحوم (محمد على باشا) كان يعمل لتوسيع نطاق مملكه وكان مولعاً بان يتولى اماره مصر والشام لتمام له الكلمه في الشرق وفي البحر الابيض المتوسط . وكأنه رأى مارآه قبله نابليون من ان صاحب مصر لا يهتأله عيش ولا تكمل له سعادة بغير الشام وكذلك صاحب الشام لا تؤيد امارته ولا تقوي سلطته الا باستلامه زمام أمور مصر فطمح لذلك مؤسس العائله الخديويه لجعل الشام تحت حكمه وانتهز فرصة رفض والي (عكا) قبول طابه بارجاع المصريين المهاجرين من مصر الى وطنهم لفتح الشام وتحقيق أمانيه . ومما سهل له ذلك علمه بارتباك أحوال الدولة عندئذواشتغال المرحوم السلطان (محمود الثاني) بتنظيم جيش جديد

وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان (محمد على باشا) كان يؤمل التقبض على زمام الخلافة الاسلاميه والسلطنة العثمانية والجلوس على أريكة تلك آل عثمان . ولكنى لست ممن يرون هذا الرأي بل ولا ممن يظنونه ظناً . فان (محمد على باشا) الذي وهبه الله من الذكاء النادر والفكر الخاد والنظر الصائب والبصيرة الصادقة ما جعله في نظر الكثيرين فوق « نابليون » رأياً وعملاً أبعد من أن يؤمل مثل هذا الامل المستحيل وان ذلك الذي سخرت له الرجال وذلت أمامه صعاب الاعمال كان بعلم أكثر من كل انسان ان زوال المملكة العثمانية أمر لا يكون الا اذا

زال هذا الوجود وان دولة روسيا القوية العظيمة لم تستطع بلوغ هذه
الغاية . فكيف به وما كان الا أمير مصر ؟

كلا . انى لست ممن يرون بان مؤسس العائلة الحديوية الكريمة كان
يؤمل أو يحلم ان يقبض على زمام الدولة العثمانية ولكنه كان يريد أن يحكم
الشام مع مصر . وهاهي رسائله الى { لويس فيليب } ملك فرنسا مدونة
في المستندات الرسمية والتاريخية تثبت ان غاية أمانيه كانت الاستيلاء
على الشام .

ولو كان يعلم عزيز مصر بالنتائج السيئة والعواقب الوخيمة التي تنشأ
عن دخوله الشام ووقوع الخلاف بينه وبين الدولة العلية لكان ولا محالة
عدل عن أمنيته وعمله . ولا جرم أن (محمد على باشا) تندم طويلا على هذا
الخلاف المشؤم وتحسر على ما فرط منه

وقد يذهب الانسان عند ما يقبل صحائف تاريخ هذه الازمة المشؤمة
الى ان هنالك أسراراً لم يكشفها لنا التاريخ دفعت بعزير مصر ضد الدولة
العلية . فان المرحوم (محمد على باشا) كان يعلم علم اليقين ان انكلترا هي
أول عدوة له ولمصر وانها لذلك تعاكسه بكل ما في وسعها . وكان لا يغيب
عنه ان روسيا لا يروق لها استيلاؤه على الشام وتأسيس دولة
اسلامية جديدة يكون لها من القوة والحول ما تستطيع معه الدولة العلية
يوما من الايام ان تقهر روسيا وتردها عن ديارها

وعلى أى حال فهذه الازمة المشؤمة يجب أن تكون درساً بديلاً للعثمانيين
والمصريين بل ولسائر المسلمين . فان هذا الخلاف القديم كان سبباً

لمصائب جمة تساقطت على مصر وعلى الدولة العلية . وفي أغلب الملمات التي نزلت بالدولة أو بمصر يري الانسان أثرا من آثار ذلك الشقاق المنحوس وقد يعمل بعض المفسدين على احياء الضغائن في صدور رجال الدولة العلية بأيامهم ان مصر طامحة الآن وفي كل آن الي ماطمح اليه مؤسس العائلة الخديوية . وهي دسيسة لا يقصد بها الا الاضرار بمصالح الدولة وبمصالح مصر

فاذا كان الخلاف القديم قد جرّ على الدولة وعلى مصر المصائب والبلايا فواجب على بني الدولة وبني مصر أن يعتبروا به وان يجمعوا الوفاق والاتفاق رأدهم في كل أعمالهم ، فمصر من الدولة روحها ومن الخلافة فؤادها ولا حياة لهذا الجسم العظيم الا بالاتفاق بين أعضائه في العمل واذا كانت دول أوروبا تتحد وتنفق مع قوتها وعظمتها عند ما يهيم المسيحية أمر فكيف لا تتحد معاشر المسلمين وبلادنا واقعة في أشد البلاء والاطار محدقة بها من كل جانب وأعداؤها يكيدون لها أعظم كيد كلما سئحت لهم الفرص

لاسلامة للدولة العلية ولمصر الا بالوفاق والاتحاد وقد أدرك هذه الحقيقة المصريون عن بكرة أبيهم مقتدين بالعباس أميرهم المحبوب فنقروا من الدولة العلية وجاهروا بمحبتها في السراء والضراء واعترف العالم كله بأن أهل مصر أصدق المخلصين للدولة العلية وللعرش الشاهاني اذ ثبت ذلك بأجلى بيان في الحرب الاخيرة . ولا ريب عندي ان أمة مصر العزيزة ثابتة في أميالها لا تتحول أبد الدهر عن اخلاصها للدولة العلية حماها الله

وأنه ليجب علي كل مصري صادق وعلى كل عثمانى يخلص الحب
لبلاده ان يحبط أعمال الذين يبشون الدسائس بين مصر والدولة العلية
ويلقون بذور الشقاق بين جلالة الخليفة الاعظم وسمو الخديوي الافخم
فان أولئك العاملين على خلق الشحناء والبغضاء بين المتبوع والتابع
لاشد خصوم الدولة وألد أعدائها

(كتاب)

من { محمد علي } أمير مصر

الي

{ لويس فيليب } ملك فرنسا

نأتى هنا على ترجمة كتاب ارسله عزيز مصر الي ملك فرنسا
بشأن حوادث الشام ومسئلة الخلاف بينه وبين الدولة العلية .
وكنا قد نشرناه في جريدة المؤيد الغراء عقب خطبة القاها بالاسكندرية
وأشرنا فيها اليه .

ومن هذا الكتاب يعرف القاريء حقيقة أفكار المرحوم (محمد علي

باشا) وأيماله وقت الازمة السالفة الذكر

القاهرة في ١٦ رمضان سنة ١٢٥٦ هجرية (نوفمبر سنة ١٨٤٥)

أيها الملك العظيم

انى أشعر بالحاجة لاطهار شكري لجلالتكم . ذلك الشكر الذي

يجيش في صدري

فلقد ألت نحوى حكومة جلالة الملك من أمد بعيد انظار رعايتها
واليوم تتوج جلالتمم ماثرها على باعلانها للدول ان وجودى السياسى
ضرورى للموازنة الاوربية

وان هذه العواطف الجديدة من شأنها ان تحددلى واجبات أعرف
القيام بها . وأول هذه الواجبات هو أن أوضم لملك فرنسا بكل صراحة
أسباب سلوكى الحالى واحداً بعد آخر

لقد كانت فى سائر الازمان سعادة الدولة العثمانية أصدق أمنية أتمناها
من صميم فؤادى حيث انا أود أن أراها دائماً سعيدة قوية آمنة . وكانت
قصارى آمالى ومرامى انظارى موجهة نحو مساعدتها على أعدائها أولاً
والمحافظة على كل ماملكته يدي بعد المجاهدات العظيمة فى سبيل الدفاع
عنها ثانياً

أما الذى حبينى نحو فرنسا — وأقول ذلك بكل صراحة — وحملنى
على اتباع نصائحها دائماً فهو ماتبيته من انها أكثر الحكومات رغبة فى
خير الدولة العثمانية بلا خديعة ولا مواربة ولا شائبة قصدسى . وكذلك
أرجو ان تعتقد جلالتمم ان حى لبلادى هو الذى كان دائماً الدافع لى
والقائد لزمامى

وعلى ذلك استطعت بعد المجاهدات العظيمة والاحوال المتناقضة تأييد
الامن فى الشام فحل فيها اليوم السلام محل الفوضى والاضطراب . واذا
كنت قد أظهرت عظيم رغبتى فى بقاء هذه البلاد تحت حكومتى فذلك
لانى معتقد بانها اذا نزعتم من يدي عادت اليها المصائب التى استأصلت

جرائمها منها. ومن جهة أخرى أرى ان الشام تصير اذا بقيت في يدي عنصر قوة أستطيع به وقتئذ مساعدة مولاي السلطان ودولتي العلية مساعدة فعلية حقيقية ولكنها لما كانت في يد الدولة العلية — وذلك ما أتجاسر على القول به — كان الاضطراب والفوضى والحروب الاهلية مستحكمة فيها. وما قد تحمقت اليوم شيئاً مما كنت أخافه. فاقد ساعد النفوذ الاجنبي عناصر الشقاق والاضطراب حيث لم يكن يفلح أول الامر مسعي الذين كانوا يهيجون الامة. ولكن مساعي أولئك الذين يظنون أنهم يخدمون استقلال تركيا باحداثهم الاضطراب في احدي ولاياتها نجحت هذه المرة لاني اهاجة خواطر البلاد فقط بل وفي اقامة الامة ضد بعضها فنارت بذلك الحروب الاهلية

وان دواعي المصلحة العمومية التي كانت ترغبني في المحافظة على الشام وجعلها تحت حكومتي زالت اليوم بالمرّة ولم تبق هنالك الا مصالح الخصوصية ومصالح عائلتي وانني مستعد لحياطة هذه المصالح بكل ما يصل اليه جهدي في سبيل سلامة العالم. فترك اذن الامر للحكمة العالية واضع بين يدي ملك فرنسا حظي فهو الذي يسوي كما تقتضيه رغبته الخلاف الحالي

واذا وافق ما عرض على جلالتيكم فاني أرضي من الشام بعك لانها البلد التي قاومت بكل الوسائل مساعي التهييج التي عملت لاثارتها ضدي. وقد يجوز ان جلالتيكم تري من العبد ان تترك لي جزيرة { قنديه } التي صارت تحت سلطة حكومتي حسنة زاوية من عهد بعيد.

ولكن اذا ارشدتكم حكمة جلالتكم العالية الى ان زمن التساهل والتنازل قد فات وان المحافظة الشديدة واجبة فاني مستعد لاكفاح الي آخر لحظة من حياتي أنا وسائر اولادي . وان جيشي في الشام لا يزال عظيما ودمشق وحلب وكل المدائن المهمة لا تزال تحت سلطتي وجيشي الذي في الحجاز هاهو عائد نحو مصر وقد وصل قسم منه الي القاهرة ويصل القسم الآخر قريبا . وبين يدي شيوخ ذوو نفوذ هم نازعون الآن الي جبل لبنان متعهدين بان يخضعوا السلطتي الدرروز والمارونيين . ولدي أربعون باخرة مستعدة للسفر لاول اشارة من جلالتكم

وعليه فأؤمل ان أسباب مسعاهي لا تبقى مجهولة بعد اليوم حتى لا يظن انسان ما أن الخوف صار قائدي الآن فان حياتي كلها براهين داحضة لمثل هذه الدعوي . ولو كان الخوف يقودني لجاز أن أرى ضميما واهنا ولكنك تنازلت منذ ١٥ يوما حيث كان وجودي مهددا بالاطار . ولكن اليوم وقد أنقذ وجودي السياسي باعلان فرنسا فاني لأخطر بشيء كبير ان طالت الحرب

كلا . وليست القوة التي يعدونها ضدي هي التي ترهبني . بل ان الذي يرهبني هو ان أكون سببا لحرب عمومية وأن أجز فرنسا التي أنا مدين لها كثيرا الي حرب لا يكون لها داع غير فوائدي ومصالح الشخصية

ولهذا فاني أعرض حقيقة الامر على انظار جلالتكم واعترافي لكم بالجميل يجعل ذلك فرضاً وواجباً عليّ فضلاً عن اني معجب وواثق بملك

فرنسا ذلك الإعجاب وهذه الثقة اللتين تحمل العالم كله عليهما حكمة جلالتهما
 وذاكاؤكم العالي . وانني بهما أضع حظي بين يديكم
 ومهما كان قرار الملك فاني أقبله بشكر وامتنان مادامت جلالتهما
 مشتركة في المعاهدة التي سيتفق عليها بين الدول العظيمة والتي تقرر
 حظي ومستقبلي

وأخيراً مهما وقع ومهما كان الامر فاني أرجو الملك أن يسمح لي
 بأن أقول له « ان اعترافي بالجميل نحوہ ونحو فرنسا سيأتي في قلبي الى
 الابدواني أتركه ارثاً لابنائي وأبناء أبنائي من بعدى كواجب مقدس »
 ولقد كنت أود أن أكلف أحد ضباطي العظام المعول عليهم بحمل
 هذا الكتاب الي أعتاب جلالتهما . ولكن الصعوبة وطول القورنتينة
 حملتاني على تكليف الكونت « والوسكي » بتوصيله الي جلالتهما
 (محمد علي)



— ❧ الازمة الثالثة ❧ —

— ❧ حرب القرم ❧ —

تبين للقارىء من الفصل السابق ان انكثرتا حلت محل روسيا في النفوذ لدي الباب العالي وصارت وحدها المسموعة الكلمة في الازمة الاخيرة عند رجال الدولة وانها توصلت الى ابطال معاهدة (خونكار اسكله سى) التي خولت للروسيا حق ارسال جيوشها الى قلب الدولة العلية عند الحاجة. فاستاءت الروسية لذلك وعقدت النية على الانتقام من الدولة العلية التي أحلت انكثرتا محلها وقد كان المرحوم السلطان الغازى (عبد المجيد خان) عاملا على اصلاح أحوال الدولة وتنظيم ادارتها فأصدر فرمان الكاخانة الشهير الذي اشتمل على اصلاحات عديدة كانت تكفي لتقويم أحوال الدولة وتقويتها في ظرف قليل من السنين. فساء ذلك القيصر (نيقولا الاول) لآز سياسته كانت تقتضي تقهقر الدولة على الدوام وعدم تمكنها من اصلاح شؤونها وتقويم المعوج في أحوالها. ولذلك أعزى الى المسيحيين الارثوذكس في الدولة بمعارضة «التنظيمات» والعمل على ايقاف تنفيذها. وبالرغم مما بذله الارثوذكس من معارضة التنظيمات الجديدة فان الحكومة العثمانية التي كان على رأسها وقتئذ (رشيد باشا) ابتدأت في تنفيذها واستبشر كل العثمانيين بقرب فلاحها تمام الفلاح ونيل ثمارها. الا ان ذلك كان من شأنه ازدياد حقد القيصر (نيقولا الاول) على الدولة العلية. فأمر باجراء التجهيزات الحربية اللازمة واستعد لمحاربة الدولة مؤملا اضعافها وايقافها في طريق الإصلاح

ولايجاد المشاكل بين روسيا والدولة العلية أو عز القيصر } نيقولا
الاول { الي القس « دانيلو » الذي كان حاكما على الجبل الاسود وتابعا
للدولة العلية بان يرفع راية العصيان في وجه الدولة ودعاه قبل ذلك للسفر
الى سان بطرسبورغ فسافر اليها وقوبل فيها باحتفاء عظيم وأهداه القيصر
المال والنياشين وحرّضه ضد الدولة بكل أنواع التحريضات حتى عاد الي
الجبل الاسود ونادي أهله باسم الصليب والدين الارثوذكسي بالقيام في
وجه الدولة فلبوا نداءه وثاروا أجمعين

فلما علمت الحكومة العثمانية بذلك سيرت جيشا عظيما بقيادة عمر باشا وهو
قائد عماني جليل اشتهر بقهر بلاد البوسنة { لقمع ثورة أهل الجبل الاسود
. فسار الجيش ووقعت بينه وبين الثوار مواقع دموية في جبال هذه
البلاد حتى قهر الثوار وتم له الظفر والنصر . وقد كان لهذه الحادثة تأثير
شديد في أوروبا فاهتمت كل الدول بالأمر وعلى الخصوص النمسا فانه
كان يهيمها عدم اضطراب الاحوال في البلقان ولكنها كانت مدينة لروسيا
بمساعدها في عام ١٨٤٩ في قمع الثورة المجرية فاضطرت للتظاهر بمساعدة
أهل الجبل الاسود لدي الباب العالي وكان غرضها الحقيقي توطيد السكينة
والسلام في البلقان واحباط مساعي روسيا . فسألت الباب العالي في آخر
عام ١٨٥٢ ان يعتدل في انتقامه من أهالي الجبل الاسود حتى لا تجرد روسيا
حجة لخلق مشاكل جديدة

وفي هذه السنة نفسها حدث خلاف عظيم بين روسيا وفرنسا بشأن
الاماكن المقدسة في الشام وذلك ان لفرنسا بمقتضى معاهدات قديمة

وحقوق ثابتة حماية معنوية على الكاثوليكين في الشرق . وقد توصلت
 بهذه الحماية الي جعل مفاتيح كنائس (أورشليم) بأيدي الكاثوليكين
 . فأرادت روسيا أن ترفع كلمة الدين الارثوذكسي بتسليم مفاتيح
 الكنائس بأورشليم الي القسس الارثوذكس ليزداد نفوذها في الشرق
 مما يخالف مصلحة فرنسا في الشرق وشرفها كل الخائفة لذلك احتجت
 الحكومة الفرنسية على رغبة روسيا وطلبت من الباب العالي ان
 يفصل في هذا الخلاف بمقتضى الحقوق والمعاهدات فعين الباب العالي
 لجنة للتحقيق . وبعد بحث طويل أقرت اللجنة على ان للكاثوليكين وحدهم
 الحق في امتلاك الكنائس بأورشليم . وبناء على هذا القرار أصدر
 الباب العالي فرمانا بذلك بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٨٥٢ . فاستاءت روسيا
 من هذا فرمان غاية الاستياء وألحت على الحكومة العثمانية بابطاله
 مدعية ان معاهدتي «قينارجة» و«ادرنه» تخولان لها هذا الحق ولكن
 الباب العالي أبقى فرمان ٩ فبراير بالرغم عن الحاح الروسي ومعارضتها
 وفي آخر عام ١٨٥٢ تعين لويس نابليون (نابليون الثالث) امبراطورا
 على فرنسا فعمل على رفع شأن بلاده في الشرق وسر لهذا الخلاف الناشى
 بين دولته وبين روسيا ليدافع فيه عن مصالح الكاثوليكية ويستميل بذلك
 رجال الدين اليه

وقد خافت النمسا وقتئذ ان يتسع الحرق على الراتق وتشتعل نيران
 الاضطرابات في البلقان ونيران الحرب بين روسيا والدولة العلية فبدلت
 جهودها في تسوية مسألة الجبل الاسود وأرسلت في يناير عام ١٨٥٣ الي

الاستانة الكونت دى { لينجن } يرجو الباب العالى باسم النمسا توطيد
السكينة فى هذه الجهات المضطربة والنفو عن ثوار الجبل الاسود ومكافأة
المسيحيين الذين لم يثوروا ولحقهم الضرر فى هذه الاضطرابات فأجاب
الباب العالى رجاء النمسا وتأييدت السكينة والطمانينة فى الربوع المضطربة .
اما ما يختص بمسئلة الاماكن المقدسة فقد أرادت فرنسا ان تتساهل مع
الروسيا خصوصا وانها بلغت مرامها واكتسب (نابليون الثالث) ميل
الكاثوليكين اليه فسألت الباب العالى ان يمنح القسوس الارثوذكس
بعض امتيازات فى كنائس أورشليم وخبرت الحكومة الروسية فى أمر
عقد لجنة بسان بطرسبورغ من مندوبى الحكومتين للنظر فى مسئلة
الاماكن المقدسة فقبلت الروسية وكان يخيل وقتئذ للعالم كله ان
الخلاف بين روسيا وفرنسا أوشك ان ينتهى بسلام

*

* *

غير ان القيصر (نيقولا الاول) أمر فى الوقت نفسه البرنس
(منشيكوف) بالسفر الى الاستانة ليخلق سببا لاعلان الحرب على الدولة
العلية . وكانت مأموريته ظاهرها انه مكلف بتسوية مسئلة الجبل الاسود
والاماكن المقدسة مع الباب العالى . وقد سافر (منشيكوف) من سان
بطرسبورغ فى ١٠ فبراير سنة ١٨٥٣ مصحوبا بضباط عديدين خلافا
للعادة الجارية عند سفر أحد السياسيين الى إحدى العواصم لخبرة حكومتها فى
أمر . وجمعت روسيا على نهر { بروث } جيشا مكونا من خمسين ألف
عسكري وبدأت جليا لكل أوربارغبة الروسيا فى الحرب بل عزمها على اعلانها

وكان يظن القيصر (نيقولا الاول) ان البروسيا والنمسا تساعدانه
 ضد الدولة العلية وان انكلترا لاتعارضه في شيء وكان لا يخاف مساعدة فرنسا
 لتركيا ولا يظن ان انكلترا وفرنسا تتحدان مع تركيا ضده . وكان سفيره
 بلوندره يمثل له الحكومة الانكليزية ميالة للسلم والرأي العام الانكليزي
 مضادا للحرب والعلائق بين انكلترا وفرنسا غير متينة لا يخشي معهما من تقدم
 اتفاق بين هاتين الدولتين . كل ذلك حمل القيصر (نيقولا الاول) على
 الاستعداد للحرب وعدم المبالاة بنتائجها

وقد سعى القيصر طويلا في الاتفاق مع انكلترا على تقسيم الدولة العلية
 بين دولته وبينها فحدث في هذا الصدد كثير امع السير (هاميلتون سيمور)
 سفير انكلترا بسان بطرسبورغ ولكنه لم يفلح لان انكلترا كانت تعلم ان بقية
 الدول الاوربية لا ترضي بأمر خطير كهذا وان تقسيم الدولة العلية ليس
 بالأمر السهل وعلى فرض وقوعه فانه يجر اكبر المصائب على العالمين
 فضلا عن ان هذا التقسيم لا يفيد في الحقيقة غير روسيا

وفي ٢٨ فبراير سنة ١٨٥٣ وصل البرنس « منشيكوف » الى الاستانة بين
 رجاله وضباطه وفي ابهة أراد بها التأثير على أفكار رجال الباب العالي . وصار
 في كل أفعاله يعمل على خلق سبب لاعلان روسيا الحرب على الدولة العلية
 فطلب أولا عزل (فؤاد باشا) ناظر الخارجية العثمانية الذي كان عدوا
 لروسيا لتسهيل له المخابرات . ثم عرض على الباب العالي مشروع عقد
 تحالف دائم بين روسيا والدولة العلية تعترف فيه الدولة بحماية القيصر
 على الكنيسة اليونانية . فاندعش رجال الدولة من هذا المشروع الغريب

وأدركوا ان روسيا تريد اعلان الحرب لانها تعلم جيدا أنه يستحيل على الدولة قبول هذا المشروع فان لرؤساء الكنيسة اليونانية سلطة دنيوية على نحو الخمسة عشر مليوناً من المسيحيين وما حماية روسيا على الكنيسة اليونانية الاحماية حقيقية على هؤلاء المسيحيين .

وقدأ بلغت الدولة العلية سراً وكلاء الدول الاوربية طلب روسيا هذا ووصل عندئذ للاستانة سفيرا فرنسا وانكلتراهما وتكلفا من قبل حكومتيهما بالعمل بالاتفاق . وبما ان البرنس (منشيكوف) كان لا يزال يجاهر بأن ماؤوريته تنحصر في حل مسئلتى الجبل الاسود والاماكن المقدسة اتفق السفيران على تعجيل حل هاتين المسئلتين حتى يضطر «منشيكوف» الى مبارحة الاستانة وإعلان انتهاء ماؤوريته أو التصريح بنوايا القيصر الحقيقية . وسبق اننا ذكرنا ان مسألة الجبل الاسود انتهت بتوسط النمسا لدي الباب العالي . أما مسألة الاماكن المقدسة فقد رضيت فرنسا بتسويتها بما فيه ترضية للقيصر وتمت هذه التسوية في ٤ مايو سنة ١٨٥٣ ولم يبق هنالك سبب ظاهرى لبقاء «منشيكوف» بالاستانة . الا ان القيصر بقى على نيته الاولى وكان لا يزال يظن ان انكلترا لاتساعد الدولة ضده فقدم «منشيكوف» في ٥ مايو سنة ١٨٥٣ للباب العالي انذارا شديد العبارة طلب فيه أن يجيبه في ظرف خمسة أيام على طلبه بشأن عقد اتفاقية بين الدولتين يضمن فيها الباب العالي للكنيسة اليونانية حريتها الدينية وامتيازاتها الدنيوية ويجعل لروسيا عليها حماية حقيقية وأعلن «منشيكوف» الباب العالي في انذاره بان ان لم يقبل مطالب روسيا

قامت الحرب بين الدولتين . فأجاب الباب العالي بان الكنيسة اليونانية متمتعة بتمام حريتها وبانه مستعد مع ذلك لان يؤكد امام العالم كله لسائر رعاياه المسيحيين ضمانته لحريتهم الدينية وبانه يرفض رفضاً باتاً جعل الكنيسة اليونانية تحت حماية روسيا مينا للبرنس { منشيكوف } أنه لا يستطيع قبول هذا الطلب بدون تعريض استقلال الدولة للخطر ووضع ادارتها الداخلية تحت مراقبة أجنبية { أي تحت مراقبة روسيا }

وفي ذلك الحين عين (رشيد باشا) صدرًا أعظم ووزيراً لخارجية الدولة وكان معروفا بكرهته الشديدة للروسيا فتظاهر (منشيكوف) ببعض اعتدال في خطته وسأل الباب العالي ان يرسل رسالة للحكومة الروسية يصرح لها فيها بقبول مطالبها وبذلك لا تطالب منه روسيا عقد اتفاقية بهذه المطالب . فأجاب { رشيد باشا } على هذا السؤال الجديد بالرفض وكان ذلك في ٢٠ مايو سنة ١٨٥٣ . فانقطعت المخابرات وعاد (منشيكوف) الي سان بطرسبورغ . وفي ٣١ مايو من السنة نفسها أرسل { نسلرود } وزير روسيا الاول انذارا جديداً للباب العالي بمعنى انذار « منشيكوف » وأعلن فيه بان روسيا تحتل مقاطعتي الافلاق والبغدان اذا رفض الباب العالي قبول مطالبها . وقد كان ورفض الباب العالي رفضاً جديداً قبول هذه المطالب فأرسل { نسلرود } في ١١ يونيو سنة ١٨٥٣ الي وكلاء روسيا لدي الدول الاجنبية منشورا بين لهم فيه الاسباب التي حملت روسيا على الشروع في احتلال الافلاق والبغدان أي

على اعلانها الحرب على الدولة العلية

*
* *

ما انتشر خبر تهديد روسيا للدولة باحتلال مقاطعتي الافلاق
والبغدان حتى هاج الرأي العام في انكلترا وفرنسا واندش ساسة
الحكومتين من جراءة روسيا الغربية واقدامها على هذا العمل الخطير
النتائج . فاتفقتا على مساعدة الدولة العلية ضدها وأرسلتا اسطوليهما
الى فرضة «بزیکا» أى الى مدخل الدردانيل ليسهل لهما ان تساعدا الحكومة
العثمانية مساعدة فعالية عند ميسس الحاجة

واظهارا لما جلبت عليه العائلة السلطانية المعظمة من محبة رعاياها على
اختلاف دياناتهم ومذاهبهم وحسن رعايتها لهم على السواء أصدر الباب
العالي خطا شريفا بتاريخ ٦ يونيو سنة ١٨٥٣ منح فيه سائر المسيحيين في
الدولة العلية الحرية الدينية التامة أى أكلهم استمرار الحكومة العثمانية
على احترام هذه الحرية التي تمتعوا بها دائما هم وأسلافهم من قبل . وعرضت
فرنسا من جهة أخرى على الدول الاوروبية مشروع عقد مؤتمر لازالة
الخلاف بين روسيا والدولة العلية . فبرهنت بذلك الدولة العلية ونصيرتها
الاولي فرنسا على اعتدالهما وميالهما للسلم وتركتا مسؤولية الحرب وسفك
الدماء على الحكومة الروسية التي بقيت على عنادها ولم ترجع عن قصدها
وعند ما علم القيصر (نقولا الاول) بإرسال الاساطيل الفرنسية
والانكليزية الى الدردانيل غضب غاية الغضب وزاد غضبه رفض الباب
العالي للإنذار الذي أرسله اليه الميسو (نى نسلرود) وزير روسيا

الاول فأصدر الي الشعب الروسي بتاريخ ٢٥ يونيو من السنة نفسها منشورا بين له فيه انه أشهر على تركيا حربا يجب عليه اعتبارها حربا صليبية وجهادا في سبيل الارثوذكسية . وبعث كذلك (دي نسلرود) بمذكرة الي الدول الاوروبية أظهر لها فيها ان الدولة العلية وانكلترا وفرنسا جبرت روسيا على الحرب باعما لها العدائيه ضدها . كأن وزير القيصر أراد أن يغالط أوروبا بهذه المذكرة أو كأنه نسي ان دولته هددت تركيا باحتلال مقاطعتي الافلاق والبغدان وان فرنسا وانكلترا ما أرسلتا باسطوليهما الي مياه الدردانيل الا عند توقع اشتعال نيران الحرب

وقد هاجمت الجيوش الروسية في ٤ يوليو سنة ١٨٥٣ مقاطعتي الافلاق والبغدان واحتلتها بعد أيام قليلة فاستولى بذلك القلق على أفكار سواس الدول الأوربية وعلى الخصوص دولة النمسا التي كان موقفها حرجا للغاية فلها كانت لا ترضى معارضة روسيا لما لهذه الدولة عليها من الايادي البيضاء في قمع الثورة المجرية عام ١٨٤٩ ولانها الدولة الوحيدة التي تستطيع مساعدتها ضد الثورات فضلاء ان روسيا كان في قدرتها ان تهيب العنصر السلافي في بلاد النمسا ضد الحكومة النمساوية . وكان من جهة أخرى اعتداء روسيا على الدولة العلية مخالفا لمصاحبة النمسا كل المخالفة وكان سواسها يعلمون علم اليقين انها لو ساعدت روسيا استطاعت فرنسا وانكلترا ان تهيب ضدها ايطاليا والمغرب وبلونيا . فلذلك بقيت النمسا محتارة في أمرها مضطربة في سياستها وغاية ما أقر عليه سواسها انهم سألوا الباب العالي ان لا يجعل جوابه على احتلال روسيا لمقاطعتي الافلاق والبغدان اعلان الحرب عليها بل

مجرد احتياج على هذا الاحتلال حتي يسهل للنمسا مخابرة الدول في حل
المسئلة حلا سلميًّا . فقبل الباب العالي سؤال النمسا وبرهن بذلك للعالم كله
على عظيم اعتداله وسلامه أمياله مما شجع النمسا على دعوة الدول لعقد
مؤتمر فيينا ، وقد أجابت الدول دعوة النمسا واجتمع مندوبوها بفيينا في
٢٤ يوليو سنة ١٨٥٣ ولم تقبل روسيا الاشتراك في هذا المؤتمر بل
اكتفت بأن وعدت الدول بقبول ما تقرره فيه ان وافق مصالحها .

وقد أقر هذا المؤتمر على قرار مبهم العبارة والمعني كان يسهل لسواس
الروسيا أن يفسروه حسب اهوائهم وأغراضهم فرفضته الدولة العلية
منعا للمشاكل . فلما رأت فرنسا وانكلترا ان الاتفاق مستحيل وان
الروسيا عاملة على منعه وإيقاد نيران الحرب أمرتا أسطوليها بعبور
الدردانيل والوقوف أمام الاستانة . وكان ذلك بناء على طلب الباب
العالي ورغبته وفي آخر سبتمبر سنة ١٨٥٣

وفي هذه الاثناء تقابل القيصر (نيقولا الاول) في مدينة (اولوتز)
مع الامبراطور (فرنسوا جوزيف) امبراطور النمسا وطلب منه الاتحاد
معه ضد تركيا وفرنسا وانكلترا فاعتذر امبراطور النمسا عن قبول هذا
الطلب مظهرا للقيصر أسفه من عدم تمكنه مساعدته . فلما لم يجد من
امبراطور النمسا اقبالا على مساعدته طلب من ملك بروسيا مقابله وقابله
وعرض عليه كذلك الاتحاد معه ولكن نتيجة مسعاه عند ملك
بروسيا كانت كنتيجة مسعاه عند امبراطور النمسا

أما الدولة العلية فقد اهتمت بإتمام تجهيزاتها الحربية ولم تغفل شيئا

من لوازم الحرب . وكان الرأى العام العثماني متهيجا جدا ضد روسيا
 والمسلمون فى حالة قلق وهياج عظيمين خصوصا وان منشور القيصر
 لشعبه أبان لهم ان الحرب دينية صليبية فاجتمعوا واثبات والوفاء امام سراى
 السلطان وطلبوا بأعلى أصواتهم اعلان الحرب فلبت الدولة طلبهم وبعد
 جلسة عقدت من وزراء الدولة وكبرائها تحت رئاسة المرحوم السلطان
 الغازى { عبد المجيد خان } أعلنت الدولة الحرب على روسيا بتاريخ ٤
 اكتوبر سنة ١٨٥٣ . وفى ٨ منه أنذر (عمر باشا) قائد الجيوش العثمانية
 البرنس (غورتشاكوف) قائد الجيوش الروسية بانجلاء العساكر
 الروسية من مقاطعتى الافلاق والبغدان وحدد له خمسة عشر يوما أجلا
 للجلاء يتبدى الحرب بعدها اذا لم ينفذ البرنس (غورتشاكوف)
 طلب (عمر باشا)

وقد كان القيصر « نيقولا الاول » مؤملا قهر تركيا ليس فقط بقوة
 جيوشه الجرارة بل بفضل الاضطرابات والثورات التي كان يعمل عماله
 وصناعه لاجلها فى الدولة العلية . فان جملة من ميهجى اليونان قاموا فى مقاطعة
 تساليا وايرا اللتين كانتا تحت حكم الدولة بتخريض الاهالى على العصيان فى وجه
 الحكومة العثمانية . وساعدت الحكومة اليونانية وقشتند هؤلاء المهيجين
 وسدحت لعدد عديد من ضباطها وجنودها بالسفر سرا الى تساليا وايرا
 لنشر لواء الثورة بالفعل . وكان القيصر يمرض من جهة أخرى شاه
 العجم على محاربة الدولة العلية

ولما كان أمل القيصر وطيدا فى نجاح ثوار اليونان والوصول الي

احداث الاضطرابات في الدولة من كل جانب أظهر لدول أوروبا ميله
 للسلم ورغبته في تسوية المسئلة تسوية سامية . وكان قصده بذلك إغفال
 الدولة العلية عن اتمام تجهيزاتها الحربية واطعافها بالاضطرابات والثورات .
 وقد اغترت النمسا بتصريحات القيصر وحسبتها صادرة عن اخلاص
 فجمعت سفراء الدول بفيينا ثانية في مؤتمر . وقررت معهم في ٥ ديسمبر
 سنة ١٨٥٣ أمرين الاول المحافظة على استقلال الدولة العلية واثاني
 استقلال الحكومة العثمانية تمام الاستقلال في ادارتها وأعمالها الداخلية .
 وأرسلت النمسا مع هذا القرار مذكرة للباب العالي سأته فيها أن يخبر
 الدول في أقرب وقت على أي شروط يقبل المخابرة مع الروسيان في أمر
 الصلح

ولكن جيوش الدولة كانت قد سارت تحت قيادة (عمر باشا) وهزمت
 الجنود الروسية هزيمة عظيمة اهتزت لها أوروبا كلها وانتهت باسترجاع الدولة
 لمقاطعة الافلاق الصغرى وباباماد الجيوش الروسية من صربيا التي كان يجتهد
 الروسيون في تهيجها ضد الدولة . وفي آسيا أتى الجيش العثماني بقيادة
 { عبده باشا } ما أتاه مثيله بقيادة (عمر باشا) حيث دخل الاراضي الروسية
 وهزم جنودها واحتل قلعة (سانت نيقولا) . فازعجت القيصر
 هذه الانتصارات الباهرة وانتقاما من تركيا أمر أسطوله بالبحر الاسود
 أن يدمر أسطولها ففاجأه في ميناء (سينوب) وأرسل عليه نيرانه حتي
 دمره بعد مجهودات عظيمة

فلما وصل خبر واقعة { سينوب } الي المرحوم السلطان (عبد الحميد خان)

أرسل الي دواتي فرنسا وانكلترا يسألهما ارسال أساطيلهما الى البحر الاسود لحماية الموانى العثمانية . فأجابت الحكومة الفرنسية بالطلب بدون امهال بخلاف الحكومة الانكليزية فانها تأخرت لعدم ميل { أبردين } رئيس الوزارة الانكليزية الى الحرب وأمله في حل المسئلة حلا سلميا . غير ان الرأى العام الانكليزى كان ميالا الى الحرب متهيجا ضد الروسيا وكان { بالمرستون } وزير خارجية انكلترا من اكبر أنصار الحرب فقدم استعفاه في ١٥ ديسمبر عام ١٨٥٣ عند مارأى تأخر (أبردين) في ارسال الاساطيل الانكليزية الى البحر الاسود . فازداد تهييج الرأى العام الانكليزى واضطر (أبردين) الى دعوة بالمرستون لسحب استعفائه والعودة للوزارة تارك له قيادة السياسة الانكليزية كما يرى ويشاء فأرسل (بالمرستون) الاساطيل الانكليزية الى البحر الاسود حسب طلب الدولة العلية . وفي ٢٧ ديسمبر أرسلت فرنسا وانكلترا مذكرة مشتركة للروسيا أعلنتها فيها بوجوب سحب مراكبها وسفنهما من البحر الاسود وبان أساطيلهما داخله الى هذا البحر وبانهما تسمحان للدولة العلية بترك مراكبها وسفنهما فيه . فكان ذلك الاعلان فى الحقيقة اعلانا للحرب من فرنسا وانكلترا على الروسيا . ولم ترض حكومتا الدولتين التصريح به علنا لاشتغالهما بأمر اتمام التجهيزات الحربية كل هذه الحوادث كان من شأنها ازدياد حيرة النمسا فعادت هذه الدولة مرة ثالثة الى مخابرة الدولة العلية وبقية الدول فى أمر منع الحرب فطلبت من الدولة ايضا ح الشروط التى تطلبها لعقد الصلح فأجابتها الدولة بان شروطها أربع : أولا اعلان استقلال بلادها وأراضيها وضمانة دول

فرنسا وانكلترا والنمسا والبروسيا لهذا الاستقلال . ثانيا انجلاء العساكر الروسية من مقاطعتي الافلاق والبغدان . ثالثا تجديد الضمانات المقدمة من أوروبا للدولة في عام ١٨٤١ . رابعا احترام أوروبا كلها وفي مقدمتها روسيا لاستقلال الحكومة العثمانية في كل أعمالها داخلية كانت أو خارجية

فلما عرضت هذه الشروط على سفراء البروسيا والنمسا وفرنسا وانكلترا بقينا قبلوها وصدقوا عليها وكلفوا حكومة النمسا في ١٣ يناير سنة ١٨٥٤ بتبليغها للروسيا . وبقيت الدول منتظرة جواب روسيا على انذار فرنسا وانكلترا أولا وعلى مذكرة الدول الاربع ثانيا الا أن القيصر (نيقولا الاول) كان لا يزال مؤملا مساعداة البروسيا والنمسا له فأرسل الي برلين البارون (دي بودبرج) والي فيينا الكونت (أورلوف) ليه الأ الحكومتين البروسية والنمساوية ان تبقيا على الحيادة أثناء الحرب وبعدهما القيصر مقابل ذلك بدعوتهما بعد الاشتراك معه في حل المسئلة الشرقية . فطلبت النمسا من الكونت (أورلوف) ان لاتعبر الجنود الروسية نهر الدانوب ووعدته بالبقاء على الحيادة اذا قبلت روسيا هذا الشرط ولكن روسيا وجدت قبول هذا الشرط يضر بها ضررا عظيما في الحرب فرفضته وحملت بذلك النمسا على أن ترفض طلبها البقاء على الحيادة وأن تحفظ لنفسها حرية تامة في العمل

وقد رفضت البروسيا أيضا طلب روسيا بالرغم عن قرابة القيصر (نيقولا الاول) لملكها وتحقق القيصر عندئذ انه لانصير له بين دول

أوروبا وانه سيحارب تركيا وحده . فرفض مذكرة الدول الاربع التي أرسلت اليه في ١٣ يناير سنة ١٨٥٤ وأجاب على كتاب ودى أرسله اليه (نابليون الثالث) امبراطور فرنسا نصحه فيه بقبول مطالب الدول بان شرف روسيا يحتم عليها الحرب . وبقي بذلك على عناده الاول غير حاسب لتنتائج الحرب حسابا

فاما علمت الحكومة الفرنسية والحكومة الانكليزية بنوايا القيصر أرسلتا الي حكومته بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٨٥٤ انذارا هددتاها فيه بوجود اخلاء مقاطعتي الافلاق والبغدان والا أعلنتا عليها الحرب واجتهدت فرنسا وانكلترا بعد ذلك في ضم النمسا والبروسيا اليهما ضد روسيا . غير ان ملك بروسيا رفض الاشتراك في الحرب ضد روسيا وأبلغ حكومات فرنسا وانكلترا والنمسا بانه مستعد للاتفاق معها على بعض قواعد سياسية تكون فيما بعد أساسا لتسوية الخلاف بين روسيا وتركيا . فقبلت الدول الثلاث ذلك واجتمع مندوبو البروسيا والنمسا وانكلترا وفرنسا في فيينا مرة رابعة وأمضوا على بروتوكول (مذكرة) ٩ ابريل سنة ١٨٥٤ المشتمل على القواعد الآتية : أولا استقلال الدولة العلية . ثانيا انجلاء السواكر لروسية من مقاطعتي الافلاق والبغدان . ثالثا استقلال الحكومة العثمانية في أعمالها وترك الحرية التامة لها في منح رعاياها المسيحيين الامتيازات اللازمة . رابعا الاتفاق على الضمانات اللازمة لتنظيم العلاقات السياسية للدولة العلية مما يضمن سلامة التوازن الاوربي

وعندما وصل انذار فرنسا وانكلترا السابق الذكرا الى القيصر (نيقولا الاول) رفضه رفضا باتا وقبل اعلان الحرب عليه من الدولتين . فعقدت فرنسا وانكلترا عندئذ في ١٢ مارس سنة ١٨٥٤ تحالفا مع الدولة العلية ضد روسيا اشترط فيه بايديء ان فرنسا ترسل خمسين ألف جندي الي تركيا وانكلترا ترسل خمسة وعشرين ألفا ولكن الحرب اقتضت ارسال جنود كثيرة حتي ان فرنسا وحدها فقدت في ساحة القتال فوق المائة ألف جندي واشترط في هذا التحالف ان دواتي فرنسا وانكلترا تسحبان جنودهما في مدة خمسة أسابيع بعد عقد الصلح مع روسيا . واشترط كذلك ان دولتي فرنسا وانكلترا ترسلان أساطيلهما الي البحر الاسود . وبالفعل استولت فرنسا وانكلترا على البحر الاسود وأرسلتا جيوشهما الي الدانوب . ولقمع الثورة في تساليا وايرا أرسل جزء من هذه الجيوش الي هاتيكا الجهات فقمعت الثورة في زمن يسير وعادت السكينة بعد الاضطراب

*
* *

وبعد ان اتفقت فرنسا مع انكلترا ضد روسيا اجهدت الحكومتان في استمالة النمسا اليهما لان قوة الجيش الروسي كانت على الدانوب وكان يسهل التغلب عليه وقره اذا ساعدت النمسا دول تركيا وفرنسا وانكلترا غير ان النمسا كانت تأبي العمل ضد روسيا قبل اتفائها على ذلك مع البروسيا فخبرت هذه الدولة التي كان من صالحها خدمة روسيا بدون أن يدرك ذلك أحد وطلت الخبايا بينهما وانتهت بعقد اتفاقية بين

النمسا والروسيا بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٥٤ تضمنت ان النمسا ترسل
لحكومة روسيا انذارا بعدم تقدم جنودها وبانسحابها من مقاطعتي
الافلاق والبغدان وان النمسا والبروسيا تعلنان الحرب على روسيا اذا عبرت
البلقان أو أعلنت استيلاءها على المقاطعين

وقد وجهت البروسيا عنايتها بعد عقد هذه الاتفاقية الي ابطال مفعولها
مع بقائها وأخرت ارسال النمسا للانذار المتفق عليه ومؤملة استيلاء الجيوش
الروسية في هذه الاثناء على مدينة { سيليستريا } التي كانت محاصرة لها
واتي لم تستطع الاستيلاء عليها . ولم ترسل النمسا انذارها للروسيا الا في
٣ يونيه عام ١٨٥٤

ولما لم يستطع (غورتشا كوف) الاستيلاء على (سيليستريا) رفع عنها
الحصار وسحب جيوشه عائدا الى الورااء وعندئذ اتفقت النمسا مع الباب
العالي بتاريخ ١٤ يونيو سنة ١٨٥٤ على احتلالها لمقاطعتي الافلاق والبغدان
وصد هجمات روسيا عنهما ومساعدة عمساكر فرنسا وانكلترا في حركتهما
الحربية الا ان البروسيا كانت عاملة كما قدمنا على معا كسة النمسا في خططها
فأوعزت الى حكومات الاتحاد الجرمانى باشتراط جملة شروط
للتصديق على الاتفاقية التي عقدت بين روسيا والنمسا في ٢٠ ابريل
فعملت هذه الحكومات الصغيرة بايعاز البروسيا واشترطت عدة شروط
منها اشتراكها في المخبرات التي ستجرى بين الدول بشأن المسئلة الشرقية
ومن انهاء اذا كانت النمسا ستجبر روسيا على اخلاء مقاطعتي الافلاق والبغدان
يجب عليها كذلك ان توقف سير انكلترا وفرنسا وتجهرها على الامضاء

على هدنة . فاضطرت النمسا لقبول هذه الشروط ورضيت فرنسا وانكلترا بناء على رجائها بأن لا تسير جيوشهما من جهة المقاطعتين . واتفقتا عندئذ على تجريدة (القرم) والهجوم على مدينة (سباستول)

وقد انقذت روسيا من اخطار هائلة وخسائر جمّة بتحول الجيوش الفرنسية والانكليزية بعد التركية عن مقاطعتي الافلاق والبغدان اتباعاً لرجاء النمسا . والفضل في ذلك للبروسيا التي أوعزت لحكومات الاتحاد الجرمانى باشتراط هذا الشرط على حكومة النمسا

فلما تحققت روسيا من ميل البروسيا وحكومات الاتحاد الجرمانى اليها أرسلت للنمسا بتاريخ ٢٩ يونيه عام ١٨٥٤ جوابها على انذارها مبيّنة انها لا تستطيع الرضا باخلاء المقاطعتين من جنودها الا اذا قدمت لها النمسا ضمانات كافية وأعلنت عدم اتحادها مع فرنسا وانكلترا وتعهدت بمنعها من محاربة روسيا في الافلاق والبغدان . فرأت النمسا عندئذ ضرورة الاتفاق مع فرنسا وانكلترا على شروط جديدة لتسوية الخلاف بين روسيا وتركيا تكون بمثابة انذار جديد لروسيا ، وجمعت بفيينا مندوبي فرنسا وانكلترا مع مندوبيها لوضع هاته الشروط . فلما وصل هذا الخبر الى ملك البروسيا أوعز الى امبراطور روسيا باعلان اخلاء المقاطعتين من الجنود الروسية مؤملاً بذلك تعطيل أعمال مندوبي الدول الثلاث بفيينا . ولكنهم لبثوا مجتمعين بضعة أيام قرروا فيها (يوم ٨ أغسطس عام ١٨٥٤) ان العلاقات السياسية بين تركيا والروسيا لا تعود لمجراها الاوّل : أولاً اذا بقيت حماية روسيا على مقاطعات الافلاق والبغدان

وصربيا واذا لم توضع الامتيازات التي منحها الباب العالي لهذه المقاطعات تحت ضمانة الدول كلها . ثانيا اذا بقيت الملاحه في الدانوب غير حرة . ثالثا اذا لم تغير الدول معاهدة ١٣ يوليو عام ١٨٤١ ، رابعا اذا استمرت روسيا مدعية ان لها حق حماية المسيحيين كلهم أو بعضهم في الدولة العلية واذا لم تضمن أوروبا كلها استقلال الدولة العلية وسلامتها وقرر مندوبو الدول بان لا تحيد دولهم بعد عن هذا القرار وان لا يعقد الصلح الا بقبوله

وقد أرادت النمسا ان تصدق البروسيا وحكومات الاتحاد الجرمانى على هذا القرار ولكنها لم تقبل منه الا الشرطين الاولين ورفضت الآخريين وأعلنت النمسا انها لا تتحد معها الا اذا تعهدت بمنع الجيوش التركية والفرنساوية والانكليزية من الهجوم على المقاتلين أو محاربة الروسيا من هذه الجهة . فخارت النمسا في أمرها لانه كان لا يمكنها قبول هذا الطاب بغير تكديره لاثقها مع حكومات تركيا وفرنسا وانكثرتا وفي هذه الاثناء انتصرت الجيوش التركية والفرنساوية والانكليزية على الجيوش الروسية انتصارات باهرة فقهرتها على شواطئ نهر (ألماني) واستولت على مواقع مختلفة وفي ٢٥ أكتوبر عام ١٨٥٤ هزمت الجيوش المتحدة جيوش القيصر في (بلكلاوا) وفي ٥ نوفمبر هزمتها في (أنكرمان) . وكان حصار (سباستوبول) لا يزال مستمرا وقد رأت فرنسا وانكثرتا ان النمسا تماطلهما كثيرا في أمر الاتفاق معهما اتفاقا نهائيا صريحا ففكرتا في طريقة تحملها على الاتفاق معهما

وهي دعوة حكومة (اليمونتي) الي الاشتراك معها في الحرب ضد
الروسيا. ويعلم كل مطلع على التاريخ أن النمسا كانت تبغض حكومة
(اليمونتي) الايطالية أشد البغض لعمليها على تحرير ايطاليا كلها من
تحت نير النمسا . فلما علمت حكومة فيينا بان (اليمونتي) على
وشك الاتحاد مع فرنسا وانكلترا خافت من مساعدة هاتين الدولتين
فيما بعد لهذه الحكومة الصغيرة وأبلغتهما انها مستعدة للاتفاق معها
وعقدت معها بالفعل في ٢ ديسمبر عام ١٨٥٤ اتفاقا تضمن ان النمسا
تتبع قرار ٨ أغسطس الذي أقرت عليه الدول الثلاث وانها لا تتخابر
بمفردها مع روسيا وانها تدافع عن مقاطعات الافلاق والبغدان وصربيا
ضد كل اعتداء وان فرنسا وانكلترا تتعهدان للنمسا بمساعدتها ماديا اذا
قامت الحرب بينها وبين روسيا . وانه اذا لم يتم الصلح قبل أول يناير
عام ١٨٥٥ بالشروط التي قررتها الدول الثلاث في ٨ أغسطس عام ١٨٥٤
اجتمع مندوبوها وتداولوا في الوسائل الفعالة التي توصلها الي صرامها
ويعلم القارئ مما سبق ان البروسيا كانت ميالة للروسيا وعاملة على
اتخاذها فلما علمت باتفاق النمسا مع فرنسا وانكلترا ضد الروسية سعت في
تأخير تنفيذ هذا الاتفاق لتكتسب الروسية ازمنة تستطيع فيه تحسين أحوال
جيشها وتقويته وليسهل للبروسيا حل الاتفاق بين النمسا وفرنسا وانكلترا
أو علي الأقل اضعافه فأشارت علي الحكومة الروسية أن تعلن النمسا
بقبولها لقرار ٨ أغسطس عام ١٨٥٤ وتسألها عقد مؤتمر فيينا للمناقشة
فيه . فسرت النمسا بذلك وحسبت الروسية صادفة في بلاغها وطلبت من

فرنسا وانكلترا ارسال مندوبين من قبلهما لحضور المؤتمر . فرضيت الدولتان بذلك ولكنهما طلبتا من النمسا ارسال مذكرة مشتركة للبرنس (غورتشاكوف) الذي كان عين سفيرا للروسيا بفيينا توضح فيها الدول الثلاث معنى قرار ٨ أغسطس السالف الذكر . فلم تجد النمسا مناصا من القبول وحررت المذكرة وأرسلتها في ٢٨ ديسمبر عام ١٨٥٤ مفسرة لمعني قرار ٨ أغسطس . وبعد عشرة أيام من تاريخ ارسالها أجب البرنس (غورتشاكوف) بمذكرة فسر فيها قرار ٨ أغسطس تفسيراً يناقض تفسير الدول الثلاث أي تفسير الدول الواضعة للقرار واستمرت المناقشات طويلا قبل عقد المؤتمر نفسه

وقد أحس مندوبو فرنسا وانكلترا أن النمسا تخدع دولتيهما وتعمل على عدم الوفاء بتعهداتها . فأبلغوا حكومتهم ذلك وأشاروا عليهما بعقد اتفاق بينهما وبين حكومة « اليمونتي » انتقاماً من النمسا . وقد كانت الامراض والحميات أضرت بالجيش الفرنسي والناكيزية ضررا بليغا وشدة البرد عطت الاعمال الحربية . فاتفقت فرنسا وانكلترا مع « فيكتور راما نوبيل » ملك اليمونتي على مساعدة حكومته لها ضد الروسيا وارسال ثمانية عشر ألف مقاتل . وأمضي (كافور) الشهير وزير اليمونتي على هذه الاتفاقية في ٢٦ يناير سنة ١٨٥٥ . وقد سر (كافور) بها سرورا عظيما علمه بان اشتراك اليمونتي مع فرنسا وانكلترا في الحرب ضد الروسيا يجعل لبلادها شأنا يسمح له بعرض المسئلة الايطالية على الدول وقت المناقشة في شروط الصلح بعد اتمام الحرب . ولذلك يعتبر

المؤرخون اتفاقية ٢٦ يناير عام ١٨٥٥ مصدراً لتكوين الوحدة الإيطالية وأصلها. وما عقدت هذه الاتفاقية حتى سافرت الى تركيا الجنود اليموننتية تحت قيادة الجنرال {لامارمورا}

وفي هذا الوقت نفسه تقدم القائد العثماني (عمر باشا) الى مدينة (ايباتوريا) — التي هي أيضا ثغر من ثغور بحيث جزيرة القرم — وانتصر على الجيوش الروسية فيها نصر اميننا في ١٧ فبراير عام ١٨٥٥ وانضم بعدها النصر الي جيوش الدولة وجيوش فرنسا وانكلترا المحاصرة لمدينة (سباستوبول)

ولما رأت النمسا أن فرنسا وانكلترا أساءتا الظن بها ورضيتها بمساعدة اليموننتي اجتهدت في ارضائهما والاشترك معهما في العمل فعرضت على البروسيا وحكومات الاتحاد الجرمانى أمر استعدادها للحرب وعزمها على ارسال جنودها ضد الروسية فرفضت طلبها بأشنع صورة ووجهت اليها الملام العنيف على اتباعها ارشادات فرنسا وانكلترا بدون مراعاة مصلحة البروسيا والحكومات الجرمانية . وكان الموغر للصدور وقتئذ ضد النمسا المسيو «دى بسمارك» الطائر الصيد وكان عضوا بالمجلس المشترك لحكومات الاتحاد الجرمانى بفرانكفور ومسموع الكلمة عند حكومته «البروسيا» . وقد أظهر بمهارته السياسية الفائقة لحكومة البروسيا وحكومات الاتحاد الجرمانى ان خير وسيلة لمساعدة الروسيا هي جمع العساكر البروسيانة والجرمانية على الحدود امام الحدود الفرنسية لتخشى فرنسا شأنها ويرجع «نابليون الثالث»

عما كان عزم عليه من ارسال جيش جرار الي النمسا مخترقا به البلاد الجرمانية لمحاربة روسيا وجعلها بين نار جيوشه من جهة مقاطعتي الافلاق والبغدان وبين نار الجيوش المتحدة من جهة القرم . وقد أفلحت سياسة « بسمارك » وعدل (نابليون الثالث) عن مشروعه عند ما علم بوقوف الجنود البروسيانة والجرمانية امام حدود فرنسا

وقد خطر على بال (نابليون الثالث) عندئذ أن يسافر بنفسه الى الشرق ويتولى القيادة العامة على جيوش تركيا وفرنسا وانكلترا ولكن انكلترا عارضته في رغبته كما عارضه الكثيرون من نصّاحه ووزرائه

وفي ٢ مارس من السنة نفسها (١٨٥٥) توفي القيصر { نيقولا الاول } وتولي بعده القيصر (اسكندر الثاني) فأعلن لاوروبا رغبته في السلم وميله الى عقد الصلح مما اطمانت له خواطر الكثيرين من رجال السياسة وحمل فرنسا على طاب عقده وتتمردولي جديد بفينيا حيث قبل طلبها وعقد المؤتمر في ١٦ مارس

ولما عقد المؤتمر اتفق مندوبو النمسا وانكلترا وفرنسا وتركيا والروسيا على شرطي اعلان عدم حماية روسيا لمقاطعتي الافلاق والبغدان وحرية الملاحة في نهر الدانوب . أما يختص بضمانة استقلال الدولة العلية وسلامتها فقد صرح مندوبو روسيا بان دولتهم تحترم استقلال تركيا ولكنها لا تقبل الاشتراك مع الدول في أمر ضمانته وقد رفضت روسيا كذلك الشرط الرابع وهو المتعلق بتحديد عدد سفنها في البحر الاسود . فأوقفت بسبب ذلك جلسات المؤتمر في ٢٧ مارس عام ١٨٥٥ . ولما أعيد عقد المؤتمر رفض

(غورتشاكوف) مرة جديدة تحديد عدد سفن روسيا في البحر الاسود وضمانها مع الدول لاستقلال الدولة العلية وعرض على دول أوروبا قفل بوغازى الاستانة والدردانيل كما تعهدت به الدول في معاهدة عام ١٨٤١ واعطاء الباب العالى حق فتحهما عند الحاجة لسفن الدول المتحالفة معه . فلم يحصل بذلك الاتفاق بين مندوبى الدول وأوقفت جلسات المؤتمر للمرة الثانية فى ٢٧ ابريل عام ١٨٥٥ . وفى أوائل يونيه أعيد عقد المؤتمر للمرة الثالثة ولكن مندوبى الدول تضاربت آراؤهم كما حصل فى المرة الاولى والثانية ولم يجدوا سبيلا للاتفاق فأعلن قفل المؤتمر نهائيا بلا نتيجة تذكر

*
* *

وقد رأت فرنسا وانكلترا أنهما صارتا فى أشد حاجة للاتفاق بعد خيبة المؤتمر الدولى فسافر الامبراطور (نابليون الثالث) الى لوندرة لزيارة الملكة { فيكتوريا } حيث قوبل فيها بغاية الاجلال والاکرام . وبعد زمن قليل من زيارته ردت له الملكة زيارته بباريس . وبعدئذ اتفقت الحكومتان الفرنسية والانكليزية على اصدار أوامر جديدة لقواد جيوشهما ببلاد القرم أمرتاهم فيها بأن يحملوا الحملة الاخيرة على { سباستوبول } وعينت الحكومة الفرنسية فى القرم الجنرال { بيليسيه } بدل { كانروبر } على قيادة الجيش الفرنسي وأمرته بالزحف على قلاع ومعامل العدو فاستولى بجيوشه فى ٧ يونيو عام ١٨٥٥ مع مساعدة جيوش الدولة العلية له على قلعة (ماملون فير) المعروفة بالقمة الخضراء . وهجم فى ١٨

يونيو على حصن (ملاكوف) فصدت الجيوش الروسية عنه جيش
فرنسا . فاستاءت لذلك فرنسا وانكلترا وتركيا وجمعت قواها واتفق
قواد هذه الجيوش المجتمعة { عمر باشا } و { بليسييه } و { سمبسون }
و (لامامورا) على عمل مشترك للاستيلاء على [سباستوبول] .
فهاجمت الجيوش المجتمعة في ٨ سبتمبر عام ١٨٥٥ مدينة [سباستوبول]
حيث احتل الجنرال الفرنسي (ماك ماهون) قلعة { ملاكوف } بعد
موت الكثيرين من جنود الدول المتحدة ومن جنود دولة روسيا . وكان
ذلك اليوم مشهودا ومن أكبر أيام الحروب وانتهى بسقوط { سباستوبول }
في أيدي الجيوش المتحدة .

وقد أحدث سقوط (سباستوبول) تأثيرا هائلا في كل أوروبا
وانتظر العالم كله ايقاف الحرب وعقد الصلح بين روسيا ودول تركيا
وفرنسا وانكلترا . ولكن الحرب بقيت مستمرة واحتلت الجيوش المتحدة
جملة مواقع مهمة منها مدينة (قلوبون) ولولا اقبال الشتاء لاستمرت
الحرب بلا انقطاع . وفي أثناء الحرب استولت الاساطيل الفرنسية
والانكليزية على ميناء { بتروباولوسك } واحتلت في بحر البلطيق
(بومارسند) وضربت { سفيابورج }

فلما رأت روسيا أن لا استطاعة لها على استمرار الحرب بذلت جهدها
في استمالة فرنسا لها وحل عقدة الاتفاق بين هذه الدولة وبين انكلترا
وأرسلت الى باريس جملة من عمالها وصنائعها ليستميلوا اليها رجال السياسة
الفرنساوية والقابضين على أزمة الرأي العام من الكتاب والخطباء فظهر

الامبراطور (نابليون الثالث) استعدادا لمساعدة روسيا ولكنه وجدها ترفض مطالب الظافرين فاضطر الى الاستمرار على خطته الاولي نحوها ولما كان من صالح انكلترا ان تضعف نفوذ روسيا في بحر البلطيق اتحدت هي وفرنسا اتحادا دفاعيا مع حكومة السويد التي كانت العدو لروسيا وقتئذ وكانت تطمح لاسترجاع (فنلندا)

وجرى في هذا الاثناء ان (فيكتورامانويل) ملك اليمونتي ذهب الي باريس برفقة وزيره الشهير { كافور } فانتهز الامبراطور (نابليون الثالث) هذه الفرصة للانتقام من النمسا التي خدعته وخذعت انكلترا في حرب القرم فاستقبل ملك اليمونتي ووزيره أحسن استقبال ووعدها بالمساعدة على تحرير ايطاليا وتكوين وحدتها فاضطرت الحكومة النمساوية وخافت شر العاقبة وأبلغت في الحال حكومتي فرنسا وانكلترا انهما مستعدة لان ترسل معهما انذارا لروسيا تهددها فيه باعلان الحرب عليهما اذ ارفضت مطالب الدول الثلاث . وسألت الحكومة النمساوية فرنسا وانكلترا ان تمضيا معها على اتفاقية تضمن امام العالم استقلال الدولة العلية وسلامتها . فقبلت فرنسا وانكلترا طلب النمسا واتفقت الدول الثلاث على صورة الانذار وأرسلته بالفعل لقيصر روسيا بتاريخ ١٦ ديسمبر عام ١٨٥٥ وأعلنته بوجوب قبوله قبل تمام شهر أي قبل ١٧ يناير عام ١٨٥٦ . وهذا الانذار يشتمل على الشروط الآتية

أولا جعل المقاطعات الدانوبية تحت رعاية الدول العظمى وضمانها ومنع الدولة العلية من ارسال جنودها اليها بدون تصريح الدول . وتعديل

الحدود من جهة البسارابيا

ثانياً تقرير حرية الملاحة في نهر الدانوب تحت ضمانة الدول
ثالثاً جعل البحر الاسود حراً . ويعمل لذلك اتفاقية خصوصية بين روسيا
والباب العالي تضمنها الدول بعد . وقبول الدولة العلية في المجتمع
الاوروبي . وعرض كل خلاف يقع بينها وبين احدي الدول على بقية
الدول وتقرير مبدأ قفل بوغازي الاستانة والدردانيل
رابعاً تأكيد حقوق المسيحيين في تركيا بدون الحاق ضرر باستقلال
السلطان وسيادته العلية

خامساً جواز وضع شروط جديدة اذا اقتضت مصلحة أوروبا واذك
فأجابت روسيا على انذار دول فرنسا وانكلترا والنمسا في ٥ يناير
عام ١٨٥٦ بقبول الشروط الاربعة الاولى ورفض الشرط الخامس لاجها
ولكن البروسيا خافت اشتعال نيران حرب عمومية في كل أوروبا تقوم
معها الثورات والاضطرابات فنصحت روسيا بقبول المطالب الخمسة
والخروج من هذه الازمة الخطرة عليها وعلى مصالحها . فاتبعت روسيا نصيحة
البروسيا وأبلغت الدول رسمياً في ١٦ يناير عام ١٨٥٦ قبولها لشروطها كلها
فاجتمع عندئذ المؤتمر الدولي بباريس في ٢٥ فبراير عام ١٨٥٦ وعقدت
جلساته تحت رئاسة الكونت (والوسكي) وزير خارجية فرنسا واشتركت
الدولة العلية والروسيا فيه كما اشتركت حكومة اليمونتي التي أرسلت نواباً عنها
الكونت (كافور) الشهير . وكان (عالي باشا) مندوباً عن الدولة العلية في هذا
المؤتمر

وقد اتفق مندوبو الدول في هذا المؤتمر بغير صعوبة على الشروط التي عرضتها من قبل فرنسا وانكلترا والنمسا والتي أتينا عليها ولم يختلفوا الا في قبول طلب (نابليون الثالث) بشأن ضم الافلاق والبغدان الي امارة واحدة فقرروا النظر في هذا الامر بعد انتهاء المؤتمر ولم يرض علي مؤتمر باريس عامان حتى قررت الدول في باريس نفسها بتاريخ ١٩ أغسطس سنة ١٨٥٨ جعل هاتين المقاطعتين امارة واحدة تحت ضمانة الدول

وقد أمضت الدول الاوروبية على عهدة باريس في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ وأعلن قفل المؤتمر في ١٦ ابريل من السنة نفسها بعد ان تناقش اعضاؤه في جملة مسائل أهمها المسئلة الايطالية التي عرضها علي المؤتمر الكونت (كافور) ووجه انظار الدول اليها ولكن المؤتمر لم يقرر شيئاً في هذه المسائل واكتفى بالاتفاق علي بعض شروط خارجية عن عهدة باريس مختصة بالملاحة والتجارة

*

**

انتهت هذه الحرب بنتائج مختلفة نأتي عليها واحدة بعد أخرى تين للقارىء ان هذه الحرب أصلها مسئلة الاماكن المقدسة والخلاف بين الكاثوليكين والارثوذكس . وطالما كانت تؤمل كل دولة من الدول الاستيلاء علي الشام والقبض علي زمام الكنائس ببیت المقدس فجاء الخلاف بين فرنسا والروسيا بشأنها دليلا علي أن هذه الاماكن المقدسة يجب أن تبق الي الابد في أيدي

الدولة الاسلامية العظمى لأنها الدولة الوحيدة التي تقدر ان تحفظ الموازنة بين كل الديانات في بيت المقدس وتعطي كل ذي حق حقه . وانه لو تركت الاماكن المقدسة لدول اوروبا لوقع بينها وبين بعضها شقاق عظيم وقامت حرب دموية لنزوع كل واحدة منها الي امتلاكها ورغبة كل دولة في سبق غيرها الى الاستيلاء عليها .

فدفعاً لهذا الخطر الجسيم يجب أن تبقى هذه الاماكن في أيدي الدولة العلية العادلة الامينة . وقد أدرك سواس أوروبا ذلك وعلموا ان مسألة الاماكن المقدسة هي من أهم الاسباب التي تحتم ضرورة بقاء الدولة العلية واذا كانت الدولة العلية قد اكتسبت من حرب القرم هذه النتيجة المهمة فانها لم تكسب غير هاشياً ما فقدت المال والرجال وأضاعت نفيس وقتها ولم تأخذ من بلاد روسيا بلداً واحدة بل أساخت عنها في الحقيقة (الافلاق والبغدان) . وقد خدعتها الدول بمنحها امتيازات أثبتت الحوادث بعد أنهما لا يفيدانها شيئاً مذكورا . فقد تعهدت الدول كلها بضمانة استقلال الدولة العلية وسلامتها وأرثنا الحوادث أن دول أوروبا بنفسها سلخت من الدولة العلية جملة بلاد باسم هذا المبدأ نفسه مبدأ ضمانة استقلال الدولة العلية وسلامتها . واتفقت الدول كذلك على اعتبار الدولة العلية دولة أوروبية وقبولها في المجتمع الاوروبي . ولم تر الدولة لهذا الامتياز فائدة ما بل كانت نتيجه جربا لا علميا عليها بازدياد تداخل أوروبا في شؤونها الداخلية

وقد خرجت روسيا من هذه الحرب سليمة لم تخسر فيها غير المال والرجال شيئاً . ومعاً كسرة الدول لها في البحر الاسود لم تكن الامعا كسرة

وقتيه كما أظهرته جلياً الحوادث بعدمؤتمر باريس
 أما الدولة التي استفادت كثيراً من هذه الحرب فهي دولة البروسيا
 فانها استمات اليها روسيا بخطتها نحوها وأوجدت عندها كراهة شديدة
 للنمسا التي لم تساعدنا ضد تركيا كما ساعدتها هي في قمع الثورة المجرية
 عام ١٨٤٩ وأحدثت البروسيا بين النمسا وبين حكومات الاتحاد الألماني
 شقاقاً كبيراً . فحمل البروسيا كل ذلك على محاربة النمسا عام ١٨٦٦ هذه
 الحرب التي ساعدت روسيا فيها البروسيا مساعدة معنوية وانتهت بانتيلاء
 البروسيا على مقاطعتين من أملاك النمسا وقد تمت نتائج هذه الحرب
 بهزيمة فرنسا أمام البروسيا عام ١٨٧٠ وتكوين الوحدة الألمانية
 ومن أهم نتائج حرب عام ١٨٦٦ على النمسا غير فقدتها مقاطعتين
 مهمتين استقلال المجر منها استقلالاً ادارياً . وهي أيضاً نتيجة من
 نتائج حرب القرم

وقد استفادت كذلك من حرب القرم حكومة اليمونتي فانها أرسلت
 الي مؤتمر باريس كما قدمنا الكونت « كافور » الشهير الذي استلقت أنظار
 مندوبي الدول الي حالة ايطاليا ومظالم النمسا وحمل على الحكومة النمساوية حملة
 شديدة كان لها رنة ودوى في كل أصقاع العالم . ومن حسن حظ اليمونتي
 ان (نابليون الثالث) كان مغرماً بتحرير البلاد النازعة للاستقلال وكان ميله
 لايطاليا أشد من ميله لسواها خصوصاً وان بغضه للنمسا كان عظيماً بعد
 حرب القرم لتلاعب هذه الدولة في سياستها وعدم وفائها في وعودها مع فرنسا
 وانكثرتا . ولم تمض الاسنون قلائل بعد حرب القرم حتى نالت ايطاليا

استقلالها وتكونت وحدتها . فكانت بذلك حرب القرم سبباً لسقوط مقاطعتين مهمتين من أملاك النمسا في قبضة البروسيا وسبباً لاستقلال المجر استقلالاً ادارياً وسبباً لخروج ايطاليا من تحت نير النمسا واستقلالها وتكوين وحدتها . وبالجملة كانت حرب القرم سبباً لضعف النمسا وتقويض أركان مملكتها

وقد اكتسبت انكلترا وفرنسا من هذه الحرب ازدياد نفوذها في الاستانة فاستعملته في سبيل مصالحهما . فان الهنود كادوا يطردون الانكليز من بلادهم في ثورة سييباي الشهيرة عام ١٨٥٦ لولا تدخل المرحوم السلطان (عبد المجيد خان) فانه أصدر منشورا — بناء على رجاء انكلترا — لمسلمي الهند أمرهم فيه بالركون الى السكينة والطاعة لحكومة جلالة الملكة (فيكتوريا) . ومعلوم أن المسلمين في الهند أقوياء ولهم شأن عظيم وكلمة نافذة وكلهم يحترمون خليفة الاسلام ويجلونه أعظم اجلال . فلما وصل اليهم منشور جلالتهم وضعوه على رؤوسهم وعملوا بما أمرهم به . فألقوا أسلحتهم وانتهت بذلك الثورة وتوطدت سلطة الانكليز في الهند بعد اضمحلالها

وانه ليتبادر للذهن ان انكلترا شكرت الدولة العلية على عمل سلطانها الاعظم أو اعترفت لها بالجميل . نعم انها اعترفت لها بالجميل ولكن بمعاداتها والاعتداء على بلادها ! فانها سلطت في عام ١٨٥٨ — أي بعد عامين من ثورة سييباي — إحدى سفنها الحربية الضخمة على ثغر (جدة) فاستمرت تدمر فيه نحو عشرين ساعة أسيلت فيها دماء كثيرة وخربت

منازل وبيوت عامرة . وكان ذلك عقب فتنة صغيرة قام فيها بعض المسلمين على بعض المسيحيين وأصيب فيها قنصل فرنسا وقتلت زوجته . ولم يكن لعمل انكلترا معني ولا ضرورة لان الدولة العلية كانت قد أرسلت مندوبا عاليا من لديها لتحقيق الامر ومعاقبة المعتدين

أما فرنسا فقد استعملت نفوذها في تركيا الذي ازداد بعد حرب القرم كما قدمنا لاعلاء كلمتها في الشرق فأرسلت جيشاً فرنساويا الى الشام عام ١٨٦٠ بحجة مساعدة الدولة العلية على قمع القننة التي أحدثها الخلاف والشحناء بين المارونية والدروز مع أن جيش الدولة كان كافيا لاعادة الامن والسكينة في هذه الديار . ولم تخرج العساكر الفرنسية من الشام

الافى ٥ يونيو عام ١٨٦١

هذه هي النتائج الخطيرة التي أنتجتها حرب القرم ومنها يعلم القارىء حظ كل دولة في هذه الحرب وخطة الدول نحو الدولة العلية وكنهه مقاصد كل واحدة منها وحقيقة أغراضها



— ❖ — الازمة الرابعة ❖ —

(الحرب بين تركيا والروسيا وما قبلها وما بعدها)

« من عام ١٨٧٥ الى عام ١٨٧٨ »

أبنا في ختام الفصل السابق أن نتيجة حرب القرم على النمسا كانت وخيمة حيث فقدت هذه الدولة بعدها مقاطعاتها الايطالية وأخذت البروسيا منها في حرب عام ١٨٦٦ مقاطعتين مهمتين ونالت المجراستقلالها النوعى أى ارتفعت سلطة النمسا عنها . فطمعت هذه الدولة فى أخذ شىء من أملاك الدولة العلية يعوض عليها بعض خسائرها فتقربت من المانيا عدوتها اللدودة التى قهرتها وكونت وحدتها بانتصارها عليها وعلى فرنسا عوضا عن أن تستعد للاخذ بالثار منها واسترجاع المقاطعتين اللتين أخذتهما منها . وصارت كذلك النمسا تستميل الروسية اليها وتوعز لها بمحاربة تركيا وأوضحنا كذلك أن العلاقات بين الروسية والبروسيا صارت جيدة متينة وان مساعدة البروسيا لاروسيا فى حرب القرم حملت الروسية على ترك البروسيا تحارب النمسا وتقهرها وتحارب فرنسا وتقهرها وتأخذ من كل دولة من الدولتين مقاطعتين عظيمتين وتكون بذلك وحدتها ويصير مايكها امبراطورا لالمانيا بدوز أن تعارضها فى أعمالها بل بقيت على الحيادة مظهرة ارتياحها لنجاح البروسيا ضد النمسا وفرنسا اللتين عاكستاها (أى الروسية) فى حرب القرم

ومن ذلك يرى القارىء ان الروسية والنمسا والمانيا اتفقت بعد حرب عام ١٨٧٠ التى قامت بين فرنسا والبروسيا . واتفق امبراطرتها على العمل

بالاتحاد فاهتمت روسيا لتغيير الشرط المتعلق بحريتها في البحر الاسود
 الذي اتفقت عليه الدول في مؤتمر باريس عام ١٨٥٦ ودعت الدول
 لعقده وتقرر للنظر فيه . فأجابت الدول دعوتها واجتمع مندوبوها في
 عاصمة بلاد الانكليز في ١٣ مارس سنة ١٨٧١ وانفقوا (ولم تشترك
 فرانسامع الدول لاشتغالها بعقد الصلح مع البروسيا) على تغيير هذا الشرط
 واعطاء روسيا الحرية التامة في الملاحة بالبحر الاسود وتسيير سفنها فيه
 ولما تحققت روسيا من أن المانيا والنمسا مستعدتان لمساعدتها
 وان ايطاليا دولة ناشئة لا يخشى منها وأن فرنسا ضعيفة بعد الهزيمة
 خافت صوتها وان ليس لها في دول أوروبا من يستطيع معارضتها غير
 انكلترا وانها وحدها لا تستطيع ان تضرها بشيء -- فضلا عن ان
 البروسيا كانت تعلم ان انكلترا لا تفيد تركيا شيئا لأن مبدأها في
 كل أطوار سياستها ان تتنفع من غيرها وان لا تنفع غيرها -- اجتهدت
 (أي روسيا) في تهيج أمم البلقان وأرسلت في كل أنحاء بلاد
 البلقان زعماء ينادون بالثورة ضد الدولة العلية وينشرون مبدأ اتحاد
 السلافيين تحت راية القيصر ويدعون اقوام البلقان كافة للعصيان باسم
 الدين الارثوذكسي ضد الحكومة العثمانية الاسلامية . وكان من
 مصلحة النمسا أن تهيج بلاد البوسنة والمهرسك ضد الدولة العلية لما كان
 عندها من الامل في الاستيلاء عليها فساعدت مهبجي روسيا وأخذت
 تهيج كذلك أهالي هذه البلاد حتي هاج المسيحيون كافة في بلاد البوسنة
 والمهرسك وصارت المساعدات تأتيهم جهارا من بلاد الصرب والجبل

الاسود وأرسلت لهم من النمسا الاسلحة والذخائر سراً. فلما علمت الدولة
 العلية بذلك أرسلت الي البوسنة والهرسك جيشاً قويا بقيادة القائد
 الشهير والبطل العظيم الغازي (مختار باشا) فقمع الثورة ورد كيد الثائرين
 ولكن دول روسيا والنمسا وألمانيا التي كانت تريد كما قدمنا استمرار الثورات
 والاضطرابات في الدولة توسطت بين الثائرين وبين الباب العالي وطلبت
 من الدولة أن تقبل مطالب الثوار بتخفيف الضرائب عنهم وبتركهم يعينون
 الشرطة (البوليس) من نفس ابناء البوسنة والهرسك. فوعد المرحوم السلطان
 (عبد العزيز خان) بالنظر في هذه المطالب وبمنح رعاياه على اختلاف دياناتهم
 ما يطلبونه من الامتيازات وما يراه موافقا لهم وللدولة. وفي ١٢ ديسمبر
 عام ١٨٧٥ أصدر السلطان ارادة عالية بقبول مطالب أهالي البوسنة والهرسك
 وبرهن بذلك على عدم تعصب الدولة ضد رعاياها المسلمين. ولو كانت
 الدول راغبة حقيقة في خير المسيحيين وغير قاصدة ضرر الدولة واضعافها
 لكانت اكتفت بهذه الارادة الساطانية وساعدت الدولة على تنفيذها
 وأمرت الثوار الذين أهاجتهم ضد الدولة بالركون الى السكينة
 وبالامتنال لاوامر الحكومة العثمانية. ولكنها كانت تعمل لبث الفتن
 والثورات فأوعزت الي الثوار بعدم نزع السلاح وبالاستعداد للكفاح
 وفي ٣٠ يناير عام ١٨٧٦ قدمت الدول جميعها بما فيها فرنسا
 وايطاليا مذكرة للباب العالي طلبت منه فيها منح أهالي البوسنة والهرسك
 تمام الحرية الدينية وتقرير مساواة الاديان وتخفيف الضرائب وجعل
 الشرطة أهلية وتشكيل لجنة من أهالي البوسنة والهرسك مكون نصفها من

مسيحيين والنصف الآخر من مسلمين لمراقبة تنفيذ ما جاء في الارادة العلية التي أصدرها السلطان في ١٢ ديسمبر عام ١٨٧٥
 وأول من وضع هذه المذكرة هو الكونت « اندارشي » . وقد سميت باسمه . وهو مجرى أغضبت خطته نحو الدولة العلية في هذه الحوادث الامة المجرية لشدة تعلقها بالدولة العلية واعترافها بالجميل للعثمانيين ولم تتأخر الدولة العلية عن قبول مطالب الدول المذكورة في مذكرتها واجابتها عليها في ١١ فبراير من السنة نفسها

فلما رأت روسيا ان الدولة العلية قمت الثورة أولا ولم ترفض مطالب الثوار ثانيا ولم ترفض مطالب الدول ثالثا وتحققت من انه يستحيل عليها خلق سبب سياسى من المخابرات يقيم في وجه تركيا أوروبا والرأي العام الاوروبى بذلت جهدها ووجهت كل عنايتها لجعل الثورة عامة في بلاد البلقان حتى تضعف الدولة وترتبك أحوالها من جهة وحتى يسهل عليها ان تشيع في أوروبا الاشاعات الكاذبة عن معاملة الاتراك للمسيحيين وتهيج بذلك الرأي العام الاوروبى ضد الدولة العلية وضد المسلمين . فاجتمع ثوار البوسنة والهرسك في (كوسيروفو) في ٢٨ فبراير أي بعد قبول الدولة لمطالب الدول وقرروا بايعاز روسيا الاستمرار على الثورة والعصيان وعدم الخضوع للدولة

وقد توصلت روسيا الي تهيج بلاد الصرب ضد الدولة العلية فهاج أهلها وجأهروا بمعاودة الدولة وطلبوا من حكومتهم محاربتها . فخابرت حكومتها حكومة الجبل الاسود واتفقت معها ضد الدولة فصارت بذلك

بلاد البلقان كلها قائمة على قدم وساق ضد الدولة . وبلغت الفوضى حددها في هذه البلاد فاعتدى المجرمون على الابرياء وصار كل واحد من الثوار يفاخر الآخريين بمآتهب وسلب من المسلمين . وصار الذين لاسلح بايديهم من المسلمين يدافعون به عن أنفسهم فريسة للمجرمين السافكين للدماء من ثوار المسيحيين

رأى المسلمون في بلاد البلقان مارأوا من الالهانة والسلب والنهب وأسيت دماء الابرياء من الكثيرين منهم وأنصار الباطل والضلال في أوروبا ياشيعون في كل مكان أن الدولة العلية دولة بربرية تسفك دماء المسيحيين وتهتك أعراض نسأهم وتخرب بيوتهم وكنأسهم وغير ذلك مما يكرره أعداء الدولة وأعداء الحقيقة في كل خلاف يقع بين المسيحيين والمسلمين في بلاد الدولة

وقد عمل اعداء الدولة على تهيج الرأي العام الاوروبي ضدها بكل الوسائل وحصل ان فتاة مسيحية اعتنقت الدين الاسلامي في ضواحي سالونيك وذهبت لهذه المدينة لاثبات اسلامها بصفة شرعية فعلم المسيحيون بالأمر وتجمعوا في طريق الفتاة حتى اختطفوها عند مرورها وأخفوها في بيت أحد المسيحيين فهاج المسلمون لذلك وذهبوا الى الحاكم طالبين تخليص الفتاة ثم اجتمعوا في مسجد للمداولة في الأمر وبينما هم مجتمعون اذ دخل عليهم قنصلا ألمانيا وفرنسا فاعتدى عليهما بعض الحاضرين لاعتبارهم دخول القنصلين في المسجد اهانة لهم وضربوها ضربا قضي عليهما في الحال . فانتشر خبر الحادثة في أوروبا وما انتشر

حتى نادى اعداء الدولة بالويل والشبور وحملوا على الاسلام ودولته العزيزة حملات شديدة وأهاجوا الرأى العام ضد الحكومة العثمانية حتى اضطرت الدول كلها لارسال سفن حربية الي ميناء سالونيك ولم يستطع الباب العالى ان يفهم أوروبا ان القنصلين اخطأ في الذهاب الي المسجد بل طلبت منه الدول معاقبة المعتدين ولما لم يجد سبيلا لرفض طاب الدول عاقب من ثبت عليهم الاعتداء على القنصلين بالاعدام وانتهت بذلك هذه الحادثة وهى حادثة من حوادث عديدة خلقتها يد الدسائس والاغراض للايقاع بالدولة والاضرار بها . وانى لست ممن يستبعدون ان اسلام هذه القنائة المسيحية كان مصطنعا وان الحادثة مدبرة من أولها لآخرها . فكل من طالع شيئا من أعمال أرباب الدسائس فى الدولة يعلم انهم قادرون على ايجاد حادثة كهذه وأكبر منها

وقد عرض فى هذه الاثناء ثوار البوسنه والهرسك على دول أوروبا انهم ينكفون عن الثورة ويعيدون السكينة الي بلادهم اذا أنفذت الشروط الآتية :

أولا أن تعطى الدولة العلية للمسيحيين ثلث الاراضي التي بيد المسلمين
ثانيا أن تصلح لهم المنازل التي هدمت بسبب الثورة وان تساعدهم
بالمال وان تقدم لهم الثيران اللازمة لحث الأرض
ثالثا أن تعفيهم من الضرائب مدة ثلاث سنين
رابعا ان تجلبى العساكر التركية النظامية من بلاد البوسنه والهرسك
وان تبقى فقط فى (نيكشيش) و (ستولاز) و (فوكا) و { ترابين }

و (بيوجلي) و (مستار) وان ترسل النمسا والروسيا مندوبين من قبلهما
في هذه البلاد لمراقبة تنفيذ هذه الشروط

خامسا نزع السلاح من المسلمين

سادسا خيانة الدول الأوروبية لتنفيذ هذه الشروط

ولما رأت صربيا وبلغاريا والجبل الأسود ان روسيا والنمسا والمانيا
تشجع ثوار البوسنة والهرسك أصغت لارشادات المييجين وقامت
مستعدة لمحاربة تركيا والانتقام من الاسلام باسم الصليب. ولما أرادت
الروسيا أن تعجل بالحرب وباسقاط المصائب على تركيا دعت النمسا
والمانيا للاشتراك معها في تقديم انذار جديد للباب العالي فاجابت النمسا
والمانيا طلبها واجتمع البرنس (غورتشاكوف) عن روسيا والكونت
(اندراشي) عن النمسا مع البرنس (بسمارك) في برلين وتم اتفاهم في
١١ مايو سنة ١٨٧٦ على انذار ترسله دولهم الى الباب العالي

ولم تطلب الدول الثلاث من الباب العالي ما طلبته في مذكرة
(اندراشي) التي أرسلت في ٣٠ يناير عام ١٨٧٦ بل طلبت جل ما أراد
ثوار البوسنة والهرسك فاشتملت مذكرتها على الطلبات الآتية:

أولا ان يصاح الباب العالي المنازل التي دصرت بسبب الثورة وان يقدم
كل ما يلزم للفلاحين من الثيران والآلات وان يعفى أهالي البوسنة
والهرسك من الضرائب مدة ثلاث سنوات

ثانيا ان يعين الباب العالي لجنة من أعيان أهالي البوسنة والهرسك

المسيحيين لتوزيع المساعدات المادية التي يقدمها

ثالثا ان يسحب العساكر التركية من بلاد البوسنة والهرسك وان لا يتركها تحتل غير عشرة قلاع معينة

رابعا ان يترك المسيحيين مسلحين لغاية اتمام الاصلاحات واعادة الامن والسكينة الى بلاد البوسنة والهرسك

خامسا ان يكون لقنصل الدول او مندوبيها الحق في مراقبة تنفيذ هذه الطلبات . وطلبت الدول الثلاث غير هذه الطلبات ان تمنح تركيا للشوار هدنة شهرين وهددتها بانها ان لم تنفذ هذه الطلبات مدة الشهرين اتخذت معها طرق القوة والقهر

— وقد قبلت فرنسا وايطاليا التوقيع على هذه المذكرة أما انكلترا

فرفضت التوقيع عليها بالمرّة

ولا شك ان المطالع لهذه الشروط يقف مندهشا مستغربا من معاملة دول أوروبا للدولة العلية واعتدائها عليها بأشنع الصور وأقبحها ويدرك من نفسه ان هذه الشروط لو كان يطلب تنفيذها من أحقر دول الارض لكانت رفضت قبولها ولو أدى رفضها الى دمارها وخرابها . فموت فيه شرف خير من حياة تلتخ بالعار . ولذلك كان يستحيل على الدولة العلية ان تقبل هذه الشروط ولو لحظة واحدة . فان طلب الدول بقاء الجنود العثمانية في جهات مخصوصة وقلاع معينة مع بقاء المسيحيين متسلحين هو تشجيع للشوار عظيم وطلب الدول اعطاء الحكومة العثمانية للمسيحيين كل ما يحتاجون اليه من المساعدات المادية واصلاح المنازل التي دمرت بسبب الثورة هو طلب لا يستطيع ميزانية تركيا ان تقوم به وتهديد

الدول للدولة بأخذ طرق القوة والقهر معها ان لم تنفذ طلباتها هو تشجيع لكل أمم البلقان على الثورة ضد الدولة العلية ومن سوء حظ الدولة ان أسقط عن عرش السلطنة العثمانية في هذا الوقت الممتلأ بالاضطرابات والاضطراب المرحوم السلطان عبد العزيز خان وأجلس مكانه السلطان { مراد الخامس } الذي لم يحكم الا خمسة أشهر

*

* *

وبديهي ان روسيا كانت ترمى الى اضعاف تركيا بالثورات والاضطرابات والحرب مع أمم البلقان حتى اذا ثبتت عزيمتها وقلت همتها تحوات ضدها برجالها وقوتها . وهي سياسة لا يمكن لمؤرخ عادل ان يقول انها سياسة شريفة لأن روسيا كان يجب عليها ان تحارب تركيا من بادىء الامر لأن تهيج ضدها البوسنة والهرسك وصربيا والجبل الاسود وبلغاريا فقد قام البلغاريون في وجه الدولة وجعلوا غايتهم قتل المسلمين فاتوا من النضائج والجرائم مالا يستطيع وصفه قلم وصار أنصار الضلال في أوروبا يكذبون على العالم كله ويدعون ان الدولة تدبجهم هم ونساؤهم وأطفالهم مع انهم كانوا المعتدين على الابرياء من المسلمين

وقد استعدت كذلك صربيا والجبل الاسود لمحاربة الدولة فاتحد اميرا هاتين الامارتين ضد الدولة وحشدا الجنود بكثرة وأرسلت روسيا ضابطاً من أمهر ضباطها (تشرنايف) لقيادة الجيش الصربي . فلما علمت الدولة العلية باستعدادات صربيا والجبل الاسود الحربية أرسلت الي

أميريهما في ٩ يونيو عام ١٨٧٦ تسألهما عن سبب هذه الاستعدادات فأجابت الصرب بأنها تطلب من الباب العالي ان تنجلى العساكر العثمانية من مقاطعتي البوسنة والمهرسك وان تحتل العساكر الصربية مقاطعة البوسنة وان تحتل عساكر الجبل الاسود مقاطعة المهرسك . فرفض الباب العالي هذا الطلب الغريب بغاية الشدة والشهامة وأرسل بجيشه الى حدود الصرب والجبل الاسود . وفي ٣٠ يونيو أعلنت الصرب الحرب على تركيا وفي ٢ يوليو أعلنتها الجبل الاسود

ولما كانت روسيا تعلم ان تظاهر صربيا والجبل الاسود برغبة احتلال البوسنة والمهرسك من شأنه ان يكدر النمسا التي تريد تقوية نفوذها في البلقان وتطمح الي الاستيلاء على هاتين المقاطعتين سافر القيصر { اسكندر الثاني } بنفسه الي (ريشتاد) في بوهيميا وتقابل مع { فرنسوا جوزيف } امبراطور النمسا وتحادث معه طويلا في أمور الشرق . ويحقق كثيرون من المؤرخين بأن القيصر وعد امبراطور النمسا باعطائه البوسنة والمهرسك بعد انتهاء أزمة المسئلة الشرقية فبقيت النمسا بذلك على الحيادة وقت الحرب بين الدولة العلية وبين صربيا والجبل الاسود

وقد كان يظن سواس أوروبا وكتابها ورجال الحرب فيها ان الدولة العلية ستقهر في هذه الحرب امام صربيا والجبل الاسود ولكنهم علموا بعدئذ ان جنود تركيا لايزالون ليوثا في الحرب وآسادا في معامع القتال فقد انتصروا على عساكر الجبل الاسود و جنود صربيا نصرا ميينا بقيادة الغازي عثمان باشا والمرحوم عبد الكريم باشا وهزموهم في { زيتشار }

هزيمة اهتزت لها أوروبا ومادت لها محافلها ونواديها . ولما شعرت صربيا بان بلغراد عاصمة بلادها صارت نفسها في خطر طلبت من الدول بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٨٧٦ ان تتوسط بينها وبين الدولة العلية فسأت الدول الاوروبية الدولة العلية ان تعرض عليها الشروط التي تقبل معها عقد الصلح فاجابتها بهذه الشروط :

أولا ان تعود الاحوال في صربيا الى ما كانت عليه قبل عام ١٨٦٧

ثانيا ان تهدم القلاع التي بنتها صربيا بعد عام ١٨٦٧

ثالثا ان ترد القلاع التي كانت محتلة لها تركيا من قبل اليها

رابعا ان تدفع صربيا غرامة حربية أو أن تقبل ازدياد الخراج السنوي الذي تدفعه لتركيا

خامسا ان لا يزيد عدد الجيش الصربي عن عشرة ألف مقاتل

سادسا ان يسافر أمير الصرب الي الاستانة ليقدم واجبات الخضوع

والتابعة للحضرة السلطانية وليستلم فرمان تعيينه أميراً على الصرب

فأت الدول ان هذه الشروط قاسية جدا وان قبولها يضرب بالصرب

ضارا ببلغا على ان القاريء اذا تذكر الطلبات التي اتفقت عليها روسيا

والنمسا والمانيا في برلين بشأن البوسنة والمهرسك وطلبها من الباب العالي

لوجد شروط الدولة العلية مع الصرب أخف كثيرا من طلبات الدول

مع ان الدولة غلبت الصرب وانتصرت عليها انتصارا باهرا . فطلبت الدول

من انكلترا التي كانت تدعى مساعدة تركيا — وما كانت تعمل في الحقيقة

الا على تشجيع رجال تركيا في معارضتهم ضد الدول مع علمها باتفاق

الدول كلها ضد تركيا - ان تعرض على الباب العالي شروطا أخرى
وفي هذا الاثناء جلس جلالة مولانا السلطان الاعظم والخليفة
الاكبر الغازي ﴿ عبد الحميد خان ﴾ على أريكة المملكة العثمانية حيث
المصائب تحيط بها من كل جانب وأعداؤها يدسون لها الدسائس في
كافة أنحاءها والدول كلها متحدة ضدها فبذل أقصى جهده في تنظيم الامور
واصلاح الاحوال ودفعت المصائب والاضطراب

وقد عرض الكونت (دي بيكونسفيلد) الوزير الاول لانكلترا
على الدولة العلية عقدهدنة لمدة ستة أسابيع للمخاطبة فيها في شروط الصلح
وبقاء الحالة على ماهي عليه في صربيا ومنح البوسنه والهرسك استقلالاً
ادارياً فرفضت الدولة هذه الطلبات خصوصاً وان القيصر أوعز الي صربيا
باستئناف الحرب مرة ثانية فجمعت جنودها وجندت من لم يجند منهم .
وفي ١ اكتوبر سنة ١٨٧٦ أرسل القيصر الي (فرنسوا جوزيف)
امبراطور النمسا كتابا صربيا سأل فيه اتحاد النمسا مع روسيا لاحتلال بلاد
البلقان كلها فرفض امبراطور النمسا طلب القيصر خوفا من نتائج عمل
خطير كهذا

وفي ٥ اكتوبر طلبت انكلترا من الدولة العلية عقدهدنة لمدة ستة
أسابيع وفتح مذاكرة بين الدول وقت الهدنة بشأن عقد الصلح فأجابت
الدولة العلية بأن الهدنة يجب أن تكون لمدة ستة أشهر حتى تستطيع
جنودها أن تستريح من انصباب الحرب وبأن يمنع وصول الاسلحة ولذخائر
لثوار البوسنه والهرسك ولصربيا والجبل الاسود وقت الهدنة . فلم تقبل

الدول طلب الدولة العلية العادل وأرسلت الروسية في ١٥ أكتوبر الجنرال (إغناطييف) للاستانة حاملا انذارا للباب العالي يتضمن هذه الشروط : أولا عقد هدنة لمدة ستة أسابيع بلا شرط : ثانيا منح البوسنه والمهرسك وبلغاريا استقلالاً ادارياً : ثالثاً ضمانه الدول الاوروية لحقوق هذه المقاطعات

وما وصل (إغناطييف) الى الاستانة حتى وصلته أخبار انهزام الجيش الصربي امام الجيش العثماني الظافر . فقد انتصرت الجنود العثمانية انتصارا عظيما في (دليجراد) و «الكسيناتس» و باتوا على مقربة من «بلغراد» عاصمة الصرب التي صار أمر سقوطها في أيدي العثمانيين محققاً . فقدم في الحال (إغناطييف) انذاره للباب العالي وقبلت الدولة العلية عقد الهدنة في ٢ نوفمبر عام ١٨٧٦

ولما رأت انكثرا ان الروسية تهدد الدولة العلية على لسان الجنرال (إغناطييف) أرادت أن تظهر لتركيا مودتها لها لتتنزع من هذه المودة عند الحاجة كما سيرى القارىء فأصرت أسطو لها بالسفر الى مياه الشرق والوقوف في (بزیکا) أى في مدخل الدردانيل . وعندئذ اتفقت الدول على عقد مذاكرة بينها وبين بعضها في الاستانة

*
* *

وقد اجتمع مندوبو الدول بالاستانة في أوائل ديسمبر عام ١٨٧٦ وقرروا عدم اشتراك تركيا في مداولاتهم ومناقشتهم بل ارسال قرارهم النهائي اليها بعد اتمام المداولات والاتفاق عليه . وهي أول مرة اجتمع

مؤتمر دولي في عاصمة بلاد لم تشترك في هذا المؤتمر ! . وفي ٢٣ ديسمبر تم اتفاق مندوبي الدول على وضع قرار نهائي وفي ٢٤ منه أبلغ هذا القرار الى الباب العالي . وهو يتضمن أن الدولة العلية تتنازل لبلاد الصرب والجبل الاسود عن بعض الاراضي ليتسع نطاق امارتهما . كأنهما الغالبتان لتركيا ! ويتضمن ان البوسنة والهرسك تصير مستقلة استقلالاً ادارياً وأن يعين لهما لمدة خمس سنوات حاكم يجب ان يكون تعيينه بموافقة الدول وأن يكون البوليس في البوسنة والهرسك مسيحياً وأن يترك لهاتين المقاطعتين نصف ايرادهما وان تكون لغة البوسنة والهرسك هي اللغة الرسمية فيهما ويتضمن القرار غير ذلك أن القسم الموجود في شمال البلقان من بلاد بلغاريا يصير مستقلاً استقلالاً ادارياً كالبوسنة والهرسك وان تحتل الجنود البلجيكية هذه المقاطعات السالفة الذكر حين تنفيذ قرار الدول وان تعين لجنة دولية لمراقبة تنفيذ هذا القرار

ولاريب أن قرار الدول هذا كان في الحقيقة اعلاناً لتركيا بان دول أوروبا كلها متعصبة ضدها وانها متحدة في العمل على الاضرار بها . فان الدول الأوروبية كانت تعلم علم اليقين ان هذه المطالب ترفضها تركيا رفضاً باتاً لما فيها من المساس بحقوقها . وكيف كانت تستطيع تركيا أن تقبلها بعد ان أقمعت اثورة في البوسنة والهرسك وهزمت جنود الصرب والجبل الاسود شرهزيمة ؟

وقد كانت انكساراً وحنها تتظاهر للدولة العلية بالحب والولاء ولكنها أضرت بها كغيرها بل اكثر من غيرها لان الدولة العلية انخدعت

بتظاهر سواس الانكليز بالميل لها وحسبت ان بريطانيا مساعدة لها
 ضد الروسيا وقت الحرب . فلما جاءت الحرب علمت تركيا ان انكلترا
 كانت ترمي فقط الى تشجيعها على معارضة أوروبامع علمها باتحاد أوروباضدها
 وكذلك خدعت انكلترا تركيا عند عقد مؤتمر برلين حيث أخذت
 منها قبرص كما سيرى القارئ

ولما رأي مندوبو فرنسا ان الدولة العلية عازمة على رفض مطالب
 المؤتمر عرضوا على بقية الاعضاء تعديل الطلبات فقبلوا ذلك وأبلغوا
 الباب العالي انهم يتركون مسألة تنازل الدولة العلية للصرب والجبل
 الاسود عن بعض الاراضى لمخابرة أخرى وانهم لايسألون الباب
 العالي ان يستشير الدول في تعيين حاكم البوسنه والهرسك الا في الخمس
 سنين الاولى وانهم عدلوا عن طلبهم بشأن تقسيم بلغاريا الى قسمين وجعل
 قسم منها مستقلا استقلال اداريا وانهم عدلوا عن طلبهم بشأن جعل
 البوليس كله في البوسنه والهرسك مسيحيا وقبلوا ان يكون من المسيحيين
 ومن المسلمين وانهم قبلوا اعتبار اللغة التركية في البوسنه والهرسك رسمية
 كاللغة السلافية . وحددوا للباب العالي مدة ثلاثة أشهر لتنفيذ مابقى
 من مطالب الدول

وقد أمضى مندوبو انكلترا على هذا القرار مع بقية مندوبي الدول
 ولكنهم كانوا ينصحون لسواس تركيا سراً برفض مطالب الدول
 ولكي تعلم الامة العثمانية ان جلالة السلطان الاعظم لايعرض
 بمصالحها للخطر وأنه يستشير في صغائر الامور وكبائرها كبراء الامة

وعقلاءها جمع جلالة السلطان الاعظم مجلسا عاليا مكونا من مائة وثمانين
عضوا من كبراء الامة ورؤساء الطوائف والمذاهب وعرض عليهم مطالب
الدول وسألهم رأيهم في الامر فرفضوها بالاجماع وأشاروا على جلالة
السلطان برفضها فقرر جلالته رفضها عملا برأى كبراء الامة ورؤساء
المذاهب والديانات وحفظاً لكرامة الدولة وصيانة لشرفها

وفي ٢٠ يناير عام ١٨٧٧ أعلن صفوت باشا مندوبي الدول رسمياً بان
الدولة العلية رفضت مطالبهم لمساسها بمصالحها الجوهرية . فانفض بذلك
المجتمع الدولي وترك مندوبو الدول كافة الاستانة اظهارا لغضب دولهم
وانقطاع العلائق السياسية

وفي ٣١ يناير من السنة نفسها كتب المسيو (غورتشا كوف) وزير
الروسيا الاول الي الدول الاوروبية يسألها عن الوسائل التي ستتخذها
مع تركيا لاجبارها على قبول مطالبها ويعلمها بان روسيا مستعدة للعمل
وحدها ضد تركيا . وفي الوقت نفسه اتفق القيصر مع (فرنسوا جوزيف)
امبراطور النمسا على بقاء النمسا على الحيادة أثناء الحرب بين الدول العلية
والروسيا وقبل القيصر الشروط الآتية : أولا ان لا تدعي احدى الدول
الاوروبية ان لها وحدها حق حماية المسيحيين في الدولة العلية وان يكون
لدول أوزوبا كلها القول الفصل بين تركيا وروسيا بعد نهاية الحرب . ثانيا
ان لا تأخذ روسيا شيأ ما من الاراضي الواقعة على الشاطئ الايمن
لنهر الطونة وان تحترم استقلال رومانيا وان لا تمس الاستانة بسوء . ثالثاً
اذا أوجدت روسيا امارة سلافية جديدة يجب أن لا يكون ذلك ضد

مصالحة البلاد الغير سلافية وان لا تدعى الروسيات حقوقاً جديدة على بلغاريا
التي يجب أن لا يحكمها أمير روسي ولا أمير نمساوي . رابعاً أن لا تمر
الجنود الروسية من بلاد الصرب

ولم تكف روسيا باتفاقها مع النمسا ومساعدة ألمانيا لها من أول
الازمة كل المساعدة بل أرادت أن تتحقق من مساعدة بقية الدول الاوروبية
لها مساعدة معنوية فأرسلت الجنرال (اغناطييف) الى عواصم أوروبا
فزارها عاصمة بعد عاصمة حتى لوندرة نفسها . وفي كل عاصمة
من عواصم أوروبا قوبل بالترحاب وواعد بعدم معارضة روسيا في شيء
وفي لوندرة اتفق مع الوزارة الانكليزية على عقد مؤتمر دولي في
لوندرة لارسال انذار أخير للباب العالي . وبالفعل اجتمع المؤتمر وفي ٣١
مارس سنة ١٨٧٧ أرسل الانذار الدولي للباب العالي متضمناً انه يجب
على الدولة العلية أن تتم عقد الصلح مع الجبل الاسود وان تترك له
الاراضي التي يطالب بها وان تفقد الاصلاحات التي طلبتها منها الدول
وان تجعل عساكرها في حالة السلم بان تقابل عددها العظيم الذي جمعه
للحرب . وأنذرتها الدول بانها كلها مستعدة لان تتحد وتقرر الوسائل الفعالة
ضدها ان لم تقبل مطالبها في أقرب وقت . وبذلك اشتركت أوروبا كلها
اشتراكاً معنوياً في معاداة روسيا لتركيا وتسيجها أثم البلقان عليها وتحملت
مسؤولية كل ماعلمته روسيا ضد تركيا

وقد أرسلت روسيا بانفرادها انذاراً آخر للباب العالي أشد لهجة
من الانذار الدولي فعرض الباب العالي هذين الانذارين على مجلس

المبعوثان ليرى رأيه فيهما فرفضهما في ٩ ابريل سنة ١٨٧٧ وفي ١١ ابريل أعلن الباب العالي للدول الأوروبية رفضه لهما . ومن ذلك اليوم صارت الحرب على أبواب تركيا وأخذت الدولة العلية من جهة والروسيا من جهة أخرى تتم تجهيزاتها الحربية وترسل جيوشها على الحدود

ولما رأت الروسية انها لا تستطيع التغلب على تركيا والقوز عليها الا اذا عبرت جيوشها بلاد رومانيا عقدت في ١٦ ابريل مع هذه الامارة - خلافا لاتفاقها مع النمسا - اتفاقية تسمح للجنود الروسية بعبور أراضي رومانيا . وفي ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ أعلنت الروسية رسميا الحرب على تركيا مينة في اعلانها ان غرضها بالحرب نصره المسيحيين :

فلما علمت انكثرا بان الحرب لا بد منها سألت الروسية عدم المساس بمصالحها في الشرق واحترام صواحبها . فأجابتها الروسية على ذلك . وهذه هي المساعدة التي قدمتها انكثرا للدولة العلية :

وقد اتخذت الجنود الروسية في القرم وفي البحر الاسود خطة دفاعية وجعلت خطتها الهجومية في جهة القوقاز والدانوب

وسار الجيش الروسي في آسياتحت قيادة الجنرال { لوريس مليكوف } وبعد مجهودات عظيمة وقتال عنيف استولى في ١٩ مايو على مدينة أردهان وسار في اوائل يونيه الي مدينة (أرضروم) . أما في أوروبا فقد اتفقت الروسية مع رومانيا { التي اعلنت عندئذ استقلالها التام عن الدولة العلية } في ١٤ مايو عام ١٨٧٧ اتفاقا دفاعيا هجوميا وانضمت جنود رومانيا الي جنود الروسية وعبرت بلغاريا الشمالية . وفي أواسط يوليو احتلت مدينة نيكوبلي واحتل

الجنرال (جوركو) مضايق البلقان الموصلة لمضيق شيكا الشهير . وقد
 احدثت هذه الاخبار تأثيرا شديدا في الاستانة وفي أوروبا كلها وازداد
 اهتمام الباب العالي بأحوال الجيش . الا أنه من سوء حظ الدولة وشي بعض
 الدخلاء بالشهم المشهور (عبد الكريم باشا) فغزته الدولة وعزلت رديف
 باشا ناظر الحربية وعينت بدل عبد الكريم باشا { محمد علي باشا } وهو
 ضابط روسي الاصل اعتنق الاسلام ودخل في عسكرية الدولة

ولما علم دولة الغازي (عثمان باشا) بانتصار الجيوش الروسية والرومانية
 أتى بجيشه الى مدينة (بلقنه) وحصنها أحسن تحصين

وقد هاجت الحواطر في بلاد المجر حين ذلك هيجانا شديدا لانتصار
 روسيا على تركيا في بعض مواقع وصار المجر يرون يتظاهرون في الشوارع
 وفي المجتمعات ضد روسيا وينادون بحجة تركيا التي ساعدت ثوارهم عام
 ١٨٤٩ وأخذوا يسألون حكومتهم مساعدة تركيا بالفعل . الا ان النمسا
 التي بيدها زمام القيادة العامة للجيش المجرى والنمساوي كانت على الحيادة
 وكان { بسمارك } يسمعها من وقت الي آخر ان نصيبها من أملاك تركيا
 سيكون (البوسنة والهرسك) . فكانت راضية بالحرب غير حاسبة لتقوية نفوذ

الروسي في بلاد البلقان حسابا

وبالجملة لم يكن لتركيا في أمم أوروبا محب يخلص الحب لها غير الامة
 المجرية ولكنها لم تستطع ان تعمل شيئا ما في صالحها
 وقد ظن سواس أوروبا ورجال العسكرية فيها ان روسيا ستستمر سائرة
 في طريق النصر ولكن الاخبار ملأت أوروبا بعدئذ ان الجنود العثمانية

انتصرت على الجنود الروسية انتصاراً باهراً (في قارص) بفضل البطل الشهير الغازي { أحمد مختار باشا } واضطر الروسيون لرفع الحصار عن هذه المدينة . وفي يوليو وأغسطس وسبتمبر عام ١٨٧٧ هاجمت الجنود الروسية مدينة { بلفنه } مرة بعد الأخرى وارتدوا على أعقابهم خاسرين لما أقام حولها الغازي (عثمان باشا) من المعاقل والحصون المنيعة

ولسكن سوء حظ الدولة العلية قضي عليها بان لا ترسل ما يلزم من المدد للغازي (مختار باشا) بعد ان فقد جيشه الرجال الأبطال . فسقطت منه لذلك (قارص) في أيدي الروسيين في شهر نوفمبر عام ١٨٧٧ . وسار بعد ذلك الجنرال الروسي (مليكوف) على (أرضروم) . أما (بلفنه) فقد أعيت معاقبتها وحصونها الروسيين فحاصروها حصاراً شديداً وشهدوا قوة الأتراك وشهامتهم وأعجب قيصر الروس نفسه بمهارة الغازي (عثمان باشا) وقوة ادراكه . وقد طالت محاصرة (بلفنه) حتى انقطع المدد عن الأتراك ونفد كل ما عندهم من الذخائر فعزم الغازي (عثمان باشا) على الخروج من (بلفنه) مع جنوده الأشداء وفي ١٠ ديسمبر عام ١٨٧٧ خرج بالفعل وصرت الجنود العثمانية من وسط الأبداء غير خائفة نيرانهم ولا مقتدوفاتهم بل جاعلة وجهتها الاستحكامات التي كان أقامها الروسيون حول (بلفنه) على ثلاثة خطوط متعاقبة واستولت على مدافع الخط الأول والثاني وكادت تستولي على الخط الثالث غير ان الغازي { عثمان باشا } وقع جريحا فظنه قومه ميتا وانتشر خبر موته بين الجنود العثمانية فشبقت همهم وانحلت عزائمهم . ودخل الروسيون في هذا الأثناء

{ بلفنه؛ واضطر قواد الجيش العثماني للتسليم والاتفاق مع قواد الجيش الروسي على إيقاف الحرب بالقاء الجيش العثماني للسلاح وقد فقد الجيش الروسي في محاصرة « بلفنه » ٢٨٠٨٠ رجلا وفقد الجيش العثماني ١٥٣٠٠ رجلا ولم يعتبر رجال العسكرية في أوروبا سقوط (بلفنه) انتصاراً للروسين على العثمانيين بل أعجب كل انسان بالعثمانيين أكثر من إعجابه بالروسين فان الروسين كان عددهم مائة وخمسين ألف مقاتل وكان عدد العثمانيين ثلثهم أي خمسين ألفاً فقط . وقد أظهر القيصر اسكندر الثاني نفسه للغازي (عثمان باشا) عظيم إعجابه بدفاعه عن (بلفنه) وقال له ان هذا الدفاع يعد من الاعمال الحربية النادرة المثل في تاريخ البشر

وبالجملة فلم تنتصر الروس على تركيا في هذه الحرب الا بالدسائس العديدة التي دستها ضدها في البوسنة والهرسك وفي بلاد البلقان . فقد رأى القاريء ان الدولة العلية اضطرت الي قمع ثورة عظيمة في البوسنة والهرسك ومحاربة الصرب والجبل الاسود وقمع ثورة بلغاريا مما أراق دماء كثيرة من دماء العثمانيين وأمات أبطالاً من جنود الدولة وحملها الاموال والمصاريف الطائلة ومع ان الثورة في البوسنة والهرسك وبلغاريا والحرب مع صربيا والجبل الاسود أضعفت جيوش الدولة فان هذه الجيوش الفخيمة حاربت روسيا بكل قوة وشهامة وانتصرت عليها في مواضع مختلفة . ولم تحارب روسيا تركيا بجيوشها وحدها بل استعانت برومانيا التي قدمت لها نحو المائة ألف مقاتل . ولو كانت روسيا حاربت تركيا من باديء الامر قبل أن تهيج البوسنة والهرسك وبلغاريا والصرب والجبل الاسود ضدها

لكانت انتصرت تركيا ولا محالة وخابت روسيا وهزمت شرهزيمة
 واذا أضاف القارىء الى ما تقدم أن تركيا كانت تضع ثقها في رجال
 من الدخلاء يعملون بأوامر الاجنبي ويعرضون بمصالح الدولة للدمار
 وانه كان بين قواد جيشها قائد روسي الاصل علم فضل تركيا في انتصارها
 على روسيا في بعض مواقع مهمة

ولا بد لنا من ان نذكر للقارىء أيضاً ان جنود الجبل الاسود كانت
 تعاكس جنود الدولة أثناء الحرب وان الصرب انضم جيشها لجيش
 روسيا بعد سقوط (بلقنه) . فكانت الدولة العلية بذلك مشغولة من كل
 جانب برد الاعداء عن ديارها ولم يكن لها نصير ينصرها على اعدائها
 بل كانت وحدها امام اعداء عديدين وكان اعداءها على محض قوتها

*
* *

ظالما ادعى اعداء الدولة العلية انها اذا فتحت بلاداً نشرت فيها الجنودها
 راية السلب والنهب والقتك بأهلها واذا صرت بأرض خربتها وغيرت
 معالمها . فليقرأ المنصفون معامله الروسيون وصنائعهم البلغاريون في هذه
 الحرب مع المسلمين الابرياء الذين لم يكن لديهم أسلحة يدافعون بها عن
 أنفسهم بل كانوا آمنين مطمئنين يحسبون الحرب بشرية انسانية لا بهيمية
 بربرية

وقد أتى السير اشמיד برتلت في كتابه الحديث (مواقع تساليا) على
 تاريخ كثير من هذه الفظائع . وانا نذكر للقراء الكرام شيئاً منها :
 لما عبر الجنرال سكوييف نهر شيكا في يناير سنة ١٨٧٧ وجد معسكرا

يحتوي على مائة ألف من نساء الا تراك نازلا بقرب هرمنلي فلم يكن
من جنوده سوى انهم فتكوا بهن وطردهن امامهم على ثلوج نهر
ميرتزا الى جبال رودب حتى مات أكثرهن من البرد والجوع

وانا نستشهد على هذه المعاملات البربرية واعتداء الروسيين والبلغاريين
على الابرياء من المسلمين بما جاء في جريدة الدالي نيوز وقد كانت اذذاك
متحصرة لروسيا. ففي عدد ٨ فبراير سنة ١٨٧٨ جاء فيها بالحرف الواحد :

ادريا نوبل في ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ لميكاتبنا في الحرب

« ان المسافة التي بين (فيلويو پوليس) و(هرمنلي) تبلغ سبعين ميلا قد
كانت بالامس مرتعا لآلاف من العائلات واليوم أصبحت قاعا صافصفا
خاوية على عروشها ليس بها سوى جيف الموتى وعظام القتلى وبقايا
المدبوحين . فتحولت نضارتها السابقة الى منظر مخيف وأطلال دوارس
وذلك نتيجة ما حصل من الفظائع المنكرة التي تقشعر من هولها الابدان .
ولا يمكن لاني انسان أن يتصور مهما اجتهد ان يحاول تلك الالهوال التي
وقعت في تلك البقعة والحالة التي وصلت اليها »
وكتب هذا الكاتب نفسه :

« بينما نحن نسير من (فيلويو پوليس) كنا نرى جثث القلاحين مغطاة
بالثلوج ولا شك ان بعضها قد لبث على هذه الحالة الشنيعة المحزنة
أسبوعين أو ثلاثة ولم تزل آثار الدماء على ملابس بعضهم . وهكذا كنا
نسير بين رمم القتلى وآثار الخيام والارض حولنا مغطاة بالجثث وبقايا
المسكرات كما تغطي بالسط والفرش وكنا نخترق صفوفنا من جثث القتلى

ورم الحيوانات مسافة لا تقل عن خمسة وثلاثين ميلا . فرأينا نساء ملقاة
 في الثلوج وأولادا وأطفالا مرماة في البرك ورجالا ممزقة أجسادهم
 مما أصابهم من الجراحات القتالة . ورأينا الشايج محمرا من أثر
 الدماء المنهطلة وأظن ان أغلب النساء متن من البرد القارص لان نضارة
 الحياة كانت بادية على وجوههن فكانهن نيام للراحة من عناء هذا
 العالم ومعاملة أهله البربرية باسم المدينة

اما الرجال فكنت تراهم واحدا بجانب الآخر تظهر عليهم علام
 العظمة حتى مع الموت وذقونهم ملوثة بدماهم وأيديهم موضوعة على
 صدورهم كأنما هم يحافظون على قلوبهم الشريفة من ان تدوسها اعداؤهم
 باقدام الخيل

اما الاطفال والاولاد فهم كالنساء مات أغلبهم من شدة البرد القارص
 والثلوج المتراكمة . فكنت ترى أوجههم لطيفة بعضها باد وبعضها مغطى
 بالثلج وكانت تلوح عليهم نضارة الطفولية وتظهر عليهم الطهارة والبراءة التامة
 كأنما هم نائمون نوما طبيعيا أو كأنما جعلت من الثلوج الناصعة البياض
 سرايرهم وأيديهم الناعمة البياض بارزة من المياه الذائبة

ولا أشك ان أمهاتهم لما رأينهم أمواتا على صدورهن من شدة
 البرد وان لا أمل في عودتهم للحياة رميمهم في الثلوج ليخففن حملهن وفارقن
 حشاشات أكبادهن بالرغم عنهن والدموع تسيل من عيونهن حتى اذا
 أدركت الحدود تحولت بردا من شدة الزمهير

واني لم أشعر بآس زائد وبلاء عظيم في حياتي الا عند ما رأيت بعيني

الفضائع والمصائب التي حلت على بني الانسان . فلقد رأيت امرأة تسير بجانب طفلة تناهز العاشرة من عمرها وهما تجدان في المسير فراراً من معاملة الروسيين وقساوتهم البربرية ولكن الابنة لم تقو على المشي لان أقدامها العارية تعبت غاية التعب من المسير على الثلج فسقطت ميتة بين أيدي أمها الخنونة ولقد داهم الام الليل بظلامه الحالك وبرده القاتك فسقطت طريحة بجانب ابنتها

وان الطريق الي (هاسكيوي) مملوأة بحثث عديدة وكلما مررنا على قرية رأيناها خاوية على عروشها ليس بها الا بقايا المذبوحين والمقتولين ولقد سألنا بعض البلغاريين : من قتل هؤلاء ؟ فأجابونا بصوت الشامت المسرور « اننا ونصراءنا قتلناهم شر قتلة »

أما في هاسكيوي فكنت تري كثيرا من الجنود التركية مقتولين وفضلا عما أصابهم من الجراح القاتلة فان فلاحى البلغار لم يشفقوا عليهم بل رجموهم بالحجارة ليفنوا عظام هؤلاء الشهداء الابطال

ولقد سألت احدي العائلات التركية من أين جاءت والي أين تسير؟ فقالت لي انها تركت { بلفنه } من خمسة شهور مضت وهي على مثل حالها من الفقر المدقع تسير ليلا ونهاراً لا غذاء لديها سوى ما تجده من لحوم الحيوانات التي تموت في الطرق وكانت هذه العائلة مكونة من أب وأم على صدرها طفل صغير وولد يبلغ العاشرة من العمر وكلهم خفاة عمرة الارض فراشهم والسما غطاؤهم وليس لديهم سوى بعض خرق يسترون بها سواهم وقدرة يطبخون فيها اللحم

وكلياً سرنا خطوة بعد (هاسكيوي) رأينا مناظر أشع وأفزع فكم رأينا امرأة وزوجها مقتولين نائمين بجانب بعضهما وطفلين بقربهما على الثلوج وشيوخا متكسرة جماجمهم وكل هذا فضلا عن خراب القرى وسلب ونهب ما لاصحابها من الخيرات والاشياء النافعة. ومن المناظر التي تولد الحسرة وتحزن القواد أنني رأيت شيخا هراماً من الترك ملقى على الارض وبجانبه مصحف قرآن شريف مفتوحا وملوثا بدمائه وذلك بينما كان البلغاريون يسلبون الناس أموالهم ويحملونها على عرباتهم ثم يجرونها فوق جثث القتلى لتدهس العجلات لحومهم وتفتت عظامهم وتهشم جماجمهم بلا رحمة ولا شفقة بل وبلا تأثر لمثل تلك المناظر البشعة الفظيعة فأين المدنية وأين حب الانسانية ؟؟؟

واني أقول ان عدد الذين قتل بهم البلغاريون من الابرياء الآمنين كثير جداً وقد ترك بيوتهم نحو الخمسة وسبعين ألفا هروبا من المعاملة القاسية البربرية ولكنهم لا يكادون يفرون من القتل حتى ينقض عليهم البلغاريون ويفتكون بأغلبهم. ولم يهرب الا القليل الى بلاد الترك وانه ليحق للعالم ان يسمي الطريق بين فيلوفوبوليس وهرمنلي (طريق الموتى) لكثرة ما فقد فيه من الارواح البريئة

ولقد رأينا في طريقنا الى قسطنطينية من أمثال هذه المناظر الفظيعة كثيراً وكم رأينا أناسا من الضعفاء يسرون سريعا لا يلتفتون وراءهم خوفا من أعدلهم واذا سألتهم الى أين يسرون لم يجيبوك من شدة ضعفهم وانتهاك قواهم كأنما هم لا يعرفون الى أي طريق هم سارون. وانما

غاية ما يتصورون انه يجب عليهم الفرار حتى يأمنوا على ارواحهم ومن شدة
 فزعهم واهلهم كانوا يتركون امتعتهم حين تكسر لهم عربة ويفرون
 وحدهم

واني بينما اكتب هذه الاسطر أري امام عيني كثير من العربات تعدو
 باصحابها بين هضاب متراكمة من الثلج وأغلب النساء يسرن حفاة
 عراة خائرات القوى من الضعف والتعب

ولذلك ضوضاء يصحبها صراخ الاطفال وعويل الاولاد وبكاء النساء
 وزفرة العواصف وقرقرة عجلات العربات مما يزيد المنظر فظاعة وبشاعة
 ومع الاسف الزائد ان هؤلاء المساكين التمساء يروحون فريسة الظلم
 وليس من يرحمهم أو يشفق عليهم

وقد كتب مكاتب الستندرد الذي سار مع الدوق نقولا ووجب الجزء
 الشمالي من بحيث جزيرة البلقان مانصه

«لم أترك لنفسي مجالاً للتكلم عن كبار الفظائع كما يجب ان نسميها
 وأقول الآن ان المتوحشين لا يفعلون مع الفارين الهاربين كما فعل
 البلغاريون مع جيرانهم الاتراك من القساوة البربرية والمعاملة الوحشية
 وما حمل هؤلاء المسيحيين على فعل هذه المنكرات سوى حب نفوسهم
 الجيئة للفتك بعباد الله وطمعها الى شرب دماء جيرانهم الابرياء الذين
 لا سلاح بايديهم. ولقد سمع تابع لي رجلاً بلغارياً في احدى حوانيت
 الخمر في (سيستوف) يقول وهو حامل سكينه هائلة «كنت أحمل معي بندقية
 ولكن هذه السكينه اللطيفة أفادتني اكثر من البندقية لاني ذبحت بها

عشرة منهم كما تذبح الاغنام ، ولعمري ان مثل هذا التعبير لا يضارعه مثيل في القسوة والفظاعة البهيمية واني لأشك أنهم قتلوا الضعفاء الابرياء وذبجوههم كما تذبح الاغنام. ولقد مضى شهران على الروسيين وهم مقيمون ومع ذلك لم يسمع ان تركيا أساء الي أحد المسيحيين . ومما يحكى ان ضابطا روسيا اشترى من أحد الفلاحين المسيحيين ديكين روميين بمبلغ نصف شلن ثم سأل الفلاح قائلا « أليس الناس في سرور لمقابلة اخوانهم المسيحيين » فأجابته « فلننظر حتى نرى ان كنتم تعاملوننا كما كان يعاملنا الاتراك بالحسنى »

وقد سأل المستر ادموند قنصل انكترا في (فيلوبوبوليس) خليل أوغلي حسين ومصطفى أوغلي عبدالله وسليمان أوغلي رشيد وهم من سكان (بالقان) التي تبعد بمسافة سير ثلاث ساعات من ترنافو عما جري لهم من الاهدانات فأجابوا بما يأتي

« في صباح السبت الماضي (٧ يوليو) وصل الأياز من الكوسا كز الي قرية (بالقان) فخرج كبارها حين سمعوا بوصول الروسيين لمقابلة قوادها ولكن الكوسا كز حاصروا القرية وطلبوا من السكان تسليم أسلحتهم وفي اليوم الثاني حضر الأياز آخران من الكوسا كز وأحاطوا كاخوانهم بالقرية وكان يصحبهم في هذه المرة عدد لا يقل عن الفين أو ثلاثة آلاف من البلغاريين الذين يسكنون القرى المجاورة وجميعهم متقلدون بالنبايت والسكاكين والبنادق والسيف المختلفة الاجناس فابتدأ هؤلاء الاوغاد في طرد أهل القرية وحيواناتهم ونهب الناس

وسلبهم من كل شيء يستحق الاخذ ثم أشعلوا النار في القرية في أما كن
عديدة وكلما حاول أحد الخروج من لظى النار ولا سيما الاطفال والنساء
حملوا عليه وزجوه فيها

أما الكوسا كز فانهم وقفوا بعيداً على شكل كوردون حول القرية
غير متألين مما يجري امام أعينهم بل كانت علامتهم السورور بادية على وجوههم
ولولا اننا (خليل أوغلي ومن معه) هجمنا على الكوردون بقلوب
شجعها اليأس وقطعناه في طرف القرية ما تمكنا من الفرار من لهيب النار «
وكان المتكلم هو خليل أوغلي المذكور ولقد استمر في حديثه وعلامات
الحزن والاسف بادية على وجهه ولكنه حينما أراد ان يتكلم عما حصل
لعائلته بكى بكاء مراراً وصار يتنهد كما تنهد الشكلي ثم خنقته للعبارة فلم يقدر
على الكلام وبعد مدة طويلة أمكنه أن يعبر لنا عما حصل لاختيه اللتين
كان يعتني بأمرهما لان زوجيهما كانا في الجيش وقال لنا انه رأى بعينه عائلته
وقد كانت تزيد عن احدى عشرة نسمة ترمي في النار واحداً بعد واحد . »

ولما عبر الروسيون نهر الدانوب سنة ١٨٧٧ قبضوا على نساء الاتراك
وأطفالهم الذين كانوا يحاولون الهروب من وجه أعدائهم وأحضر وهم
الى مدينة شمالاً بجالة تذيب الافئدة وتقطع الاكبدة وهناك رآهم
بعض مكاتبى الجرائد الاوربية فكتبوا قراراً بهذا الشأن وأمضوا عليه
ولقد أرسل وزير خارجية الدولة العلية هذا القرار الى السفارة العثمانية

في باريس بتاريخ ٢١ يوليو سنة ١٨٧٧ قائلاً

(اني أرسل اليكم القرار الآتي باجماع وامضات مكاتبى الجرائد

الاجنبية الآتية وهي

(كولونيا غازت) (جرنال الديبا) (نيوفراى برسيه) (مستندارد)
 (دابلى تلغراف) (الاستراندلندن نيوز) (مانشستر جارديان) (التيمس)
 (فرانكفورترزايتمج) (مورنن بوست) (ريبليك فرانسز) (بسترلويد)
 {فاينر تاجبلاط} {مورنن ادفرتيسر} (سكوتسمان) (نيويورك هرالد)
 و {منشستر اكزامنر} . والقرار هو الآتى :

الممضون أدناه الذين يمثلون الصحافة الاوربية والمجتمعون في مدينة
 شملا يرون ان من واجباتهم ان يعضوا الرسائل التى أرسلها كل واحد
 منهم الى جريدته عن القسوة البربرية التى ارتكبها ويرتكبها البلغاريون
 ضد السكان المسلمين الابرياء وأن يشهد كل منا اننا رأينا بأعيننا جراح النساء
 والشيوخ والاطفال وسألنا فى مدينتى راسجرار وشملا النساء والاطفال
 والشيوخ عما حل بهم من الجراحات العنيفة بالسيوف والحرب فضلا
 عن البنادق التى ربما ظن أنها اصابتهم اثناء اشتعال نار الحرب .

ويستدل من أجوبتهم ان ما حل بهم هو من معاملة الروسيين
 والبلغاريين ويستنتج من كلامهم أيضا ان معظم سكان القرى من المسلمين
 ذبحوا كما تذبح الاغنام . ونحن الممضون أدناه نقر ان أغلب الجرحى من
 النساء والاطفال «
 الامضآت

وكتب مكاتب التيمس — وقد صحب هذا المكاتب الجنرال جوركو
 ورأى بعينه ما حل بالاتراك الابرياء — من معسكر جنوب البلقان في

١٢ يوليو سنة ١٨٧٧ . ما يأتى

« ان هذه الحرب ليست من الحروب الانسانية بل هي هول على هول وفضائع على فضائع لان الجندي الروسي يرى التركي كحيوان يجتهد في صيده ليقتله وأما البلغاري فكيفما تمكن من القتل قتل . وهذا هو البرنس ويتشنتسين يقول ان البلغاريين يقتلون جرحي الاتراك ويسلبون القتلى أموالهم . فماذا يعمل الانسان ذو العواطف الحية حينما يرى اخوانه يتحمسون لشرب الدماء عند ما يسمعون انه قبض على أسرى من الاتراك ؟ أم كيف يتسنى للابل ان ينظروا بعين الرضي رجالا يلوثون انتصارهم بما يرتكبونه من منكرات الفضائع والمذابح ؟؟ »

*
* *

لما رأت الدولة العلية ان أوربا كلها ضدها وأن لانصير لها بين الدول وان اطالة الحرب مضره بها طلبت من روسيا ايقاف الحرب وعقد هدنة للمخابرة في شروط الصلح فقبلت روسيا ذلك بغاية الامتنان وعقدت الهدنة بين المتحاربين في (أدرنه) بتاريخ ٣٠ يناير عام ١٨٧٨ واشترطت روسيا عند عقد الهدنة ان القواعد الاولية للصلح يجب أن تكون استقلال الصرب ورومانيا وتنازل الدولة العلية لهما وللجبل الاسود عن بعض الاراضي وجعل بلغاريا مستقلة استقلال اداريا وجعل الادارة في البوسنة والهرسك مستقلة وتقدير غرامة حربية تدفعها تركيا لروسيا

وما انتشر خبر هذه الاتفاقية التي عقدت في أدرنه بين المتحاربين حتى هاجت الخواطر في النمسا ضد روسيا ورأت حكومة الامبراطور

(فرنسوا جوزيف) ان هذه الشروط التي جبرت روسيا الدولة العلية على قبولها ماسة بحقوقها وبمصالحها في البلقان وعلى شواطئ نهر الدانوب فأعلنت الدول الاوربية بانها تعتبر كل اتفاق يقع بين المتحاربين لاغ لا عمل له وان أوروبا كلها يجب عليها أن تجتمع في مؤتمر للفصل بين تركيا وروسيا

أما انكلترا فقد أظهرت عندئذ ميلها للدولة العلية وتظاهرت بالحمية والصدقة لملك آل عثمان وأرسلت بأسطولها الى مياه البوسفور وهددت روسيا بانزال العساكر الانكليزية الى الاستانة . وسيرى القارىء الى أى غاية كانت ترمى انكلترا عندئذ وهل كانت صادقة في تظاهرها بالمودعة للدولة العلية أو غير صادقة

وقد أجابت الحكومة الروسية على اعلان النمسا بأن ليس لأوروبا حق في ان تتداخل في أمور لا تمس مصالحها مطلقا وان روسيا تعرض على الدول عقد مؤتمر أوروبى للنظر في شروط الصلح . فوافق البرنس « بسمارك » على جواب روسيا وعرض على الدول عقد مؤتمر ببرلين وفي هذا الاثناء كان الجنرال « إغناطييف » يتخابر مع مندوبى تركيا في شروط الصلح وفي ٣ مارس أمضى معهم عهدة بسان اسطفانوس هي اكبر المعاهدات ضررا بالدولة العلية . فهي تتضمن جعل بلاد الجبل الاسود مستقلة تمام الاستقلال من الدولة العلية مع توسيع نطاقها واعطائها ثغرين على البحر الادرياتيكي وتتضمن جعل بلاد رومانيا مستقلة تمام الاستقلال وجعل بلاد الصرب مستقلة مع اضافة أراضى (نيش) الي بلادها

وتتضمن جعل بلاد البلغار مستقلة استقلالاً نوعياً وتعيين حاكم روسي لها ينظمها ويحكمها لمدة سنتين يكون لها بعدها الحق في انتخاب أمير عليها وتتضمن العهدة كذلك احتلال العساكر الروسية لبلاد البلغار مدة سنتين وهدم كل القلاع والحصون الموجودة على نهر الدانوب (الطونة) وجعل الملاحة في نهر الدانوب حرة ، وتتضمن العهدة أيضاً ان الادارة في البوسنة والهرسك تكون موافقة لما طلبته الدول في مجتمع الاستانة وتوضع تحت مراقبة روسيا والنمسا وأن أرمنيا تمنح بعض امتيازات وبعض حقوق جديدة وان جلالة السلطان يصدر عفواً عاماً عن الثوار والمجرمين السياسيين . وتتضمن العهدة غير ذلك ان الدولة العلية تدفع لروسيا غرامة حربية قدرها ١٤٠٠ مليوناً من الروبل . وقدرضيت روسيا بأن تنازل للدولة عن مبلغ ١١٠٠ مليوناً من الروبل مقابل تنازل الدولة لها عن باطوم وأردهان وقارص وبايزيد في آسيا وعن اقليم (الدبروجه) في أوروبا . وهذا الاقليم أضيف الى مملكة رومانيا مقابل استيلاء روسيا على اقليم { بسارابيا } الذي سلخ منها في عام ١٨٥٦

وتشتمل العهدة على تعهد الدولة العلية برعاية الرعايا الروسيين في بلادها ووضع حقوق القسوس الارثوذكس تحت حماية القيصر واعادة تنفيذ المعاهدات التجارية التي كانت بين روسيا وتركيا قبل الحرب وفتح بوغازي الدردانيل والبوسفور في كل وقت للسفن التجارية

وما علمت الدول الأوروبية بهذه العهدة حتى اعترف سواها بان روسيا اعتدت على حقوق الدولة العلية شر اعتداء وان دول أوروبا تفقد

موازنتها ويضيع بالمرّة التوازن العام اذا أنفذت شروط عهدة سان اسطفانوس . وكانت أشد الدول تهيجا ضد روسيا هي النمسا التي خدعت في اتفاقيتها التي عقدها مع روسيا في يناير عام ١٨٧٧ بخبرت انكلترا واتفقت معها على معارضة روسيا كل المعارضة وطلبتا منها عرض عهدة سان اسطفانوس للمناقشة بين مندوبي الدول في المؤتمر المزمع عقده فاجاب القيصر في ٢٦ مارس سنة ١٨٧٨ بانه لا يرضي بأن دول أوروبا تتناقش في الشروط التي لا تخص الا روسيا وتركيا . وقد أمل القيصر عندئذ الاتفاق مع النمسا فأرسل الى فيينا الجنرال (اغناطييف) ولكن الاتفاق كان مستحيلا لتباين أميال روسيا والنمسا

وقد استفادت انكلترا من خيبة الجنرال (اغناطييف) في مأموريته بفيينا واعتمدت على مساعدة النمسا لها ضد روسيا وأعلن اللورد سالسبوري وزير الخارجية الانكليزية وقتئذ أن عهدة سان اسطفانوس تجعل البحر الاسود تحت سلطة روسيا ورحمتها وتهدد استقلال الدولة العلية وسلامتها وتضر بمصالح انكلترا . أي أن انكلترا أرادت ان تسمع روسيا انها اذا صممت على تنفيذ عهدة سان اسطفانوس قامت الحرب بينهما . وكان القابض في الحقيقة على مفاتيح السلم والحرب حينئذ هو لبرنس (بسمارك) لان المانيا كانت بين الدول في موقف الحكم فلها اذا كانت انضمت الى روسيا كانت اضطرت النمسا الى العدول عن محاربة روسيا وبذلك كانت فشلت انكلترا وبلغت روسيا امرها واذا كانت وقفت على الحيادة بدون ان تساعد روسيا وتركها امام انكلترا والنمسا كانت خسرت روسيا

أهم مكاسبها في عهد اسطفانوس . وقد سألت روسيا المانيا مساعدتها
مذكرة أياها برعايتها لها ضد النمسا في عام ١٨٦٦ ومساعدتها لها ضد فرنسا
في عام ١٨٧٠ حيث منعت النمسا من مساعدة فرنسا . ولكن البرنس {بسمارك}
أبي مساعدة روسيا بجنود المانيا معتذرا بان المانيا في حاجة مستمرة لمراقبة
فرنسا والاستعداد لمحاربتها فاغتاز قيصر روسيا واغتاز سواس روسيا
أشد الغيظ من ألمانيا ووزيرها وابتدأت العداوة الكامنة بين الدولتين
من ذلك الحين في الظهور

ولمارات روسيا انه لا استطاعة لها على محاربة النمسا وانكثرا بعد
محاربتها لتركيا طلبت من الوزارة الانكليزية أن تعرفها عن التغييرات
التي تريد اجراءها في عهدة سان اسطفانوس وجرت المحادثات في ذلك
بين اللورد سالسبورى وبين الكونت « شوفالوف » سفير روسيا
بلوندره . وفي ٣٠ مايو عام ١٨٧٨ امضيا على اتفاقية سرية تتضمن
التغييرات التي طرأت على عهدة سان اسطفانوس . ولم يكن لهذه التغييرات
الجديدة التي أحدثتها الوزارة الانكليزية في عهدة اسطفانوس أهمية لان
المؤتمر الدولي كان من شأنه أن ينظر في كل شروط الصلح وان يقرر ما ينفق
عليه فيه بالاغلبية

أما فرنسا فقد كانت خطتها في المسئلة من باديء الامر خطة الدولة الراجبة
في السلام العديمة الاطماع في أخذ شيء من أملاك الدولة العلية . ولما
عرضت عليها الدول الاوروبية الاشتراك معها في مؤتمر يعقد لفصل النهائى
بين تركيا وروسيا اشترطت على الدول . أولا اشتراك كل الدول التي أمضت

على معاهدة باريس عام ١٨٥٦ في هذا المؤتمر . ثانيا أن لا ينظر في هذا المؤتمر الا في المسائل المختصة بالحرب بين تركيا والروسيا . ثالثا أن لا يبحث أعضاء المؤتمر في شؤون مصر والشام وأن لا يتناقش أحد في المؤتمر في حقوق فرنسا على الاماكن المقدسة . فقبلت الدول كلها هذه الشروط ورضيت بذلك فرنسا أن تشارك معها في المؤتمر

وقد ظهر للقارىء مما سبق ان انكلترا كانت متظاهرة بالمودة للدولة العلية وكانت تهدد روسيا بأعلى صوت ولسان ولم يكن قصدها من ذلك خدمة تركيا أو مساعدتها بل التعرير بها وخذعها . فانها وعدتها بالمساعدة في مؤتمر برلين ضد روسيا وعرضت عليها عقد اتحاد معها تعهد فيه انكلترا بالدفاع عن تركيا اذا مستها روسيا بسوء — ولو كانت انكلترا صادقة في مودتها لكانت تحالفت مع الدولة العلية قبل الحرب — وتأخذ منها مقابل ذلك جزيرة { قبرص } فانخدع رجال الدولة العلية لسواس بريطانيا وأحسنوا الظن بهم وعقدوا معهم هذه المعاهدة في ٤ يونيو عام ١٨٧٨ أى قبل عقد مؤتمر برلين بأيام قلائل وبذلك فقدت الدولة العلية جزيرة قبرص بدون أن تكسبها المودة الانكليزية الكاذبة أقل فائدة

*

* *

وقد دعى البرنس بسمارك رسميا في ٣ يونيو عام ١٨٧٨ مندوبى الدول الاوروية للاجتماع ببرلين فحضر المندوبون وعقدت الجلسة الاولى للمؤتمر في ١٣ يونيو . وكان أهم مندوبى المانيا البرنس (بسمارك)

وأهم مندوبي النمسا الكونت (اندراشي) وأهم مندوبي فرنسا مسيو (وادنجتون) وأهم مندوبي انكلترا الكونت { دي بيكونسفيلد } والمركيز { دي سالسبوري } وأهم مندوبي ايطاليا الكونت (كورتى) . وكان مندوبو روسيا البرنس { غورتشاكوف } والكونت { شوفالوف } والبارون { دوبريل } . أما مندوبو الدولة العلية فكانوا { قره تيودورى باشا } و { محمد على باشا } الروسى الاصل و { سعد الله بك }

وقد أرسلت حكومة اليونان مندوبين من قبلها لعرض مطالب اليونان على المؤتمر وكان مندوبو انكلترا مساعدين لهم كل المساعدة فطلبوا من المؤتمر قبولهم لسماع أقوالهم . وكان قصد مندوبي انكلترا من هذه المساعدة معاكسة روسيا التى يسوءها تقوية العنصر اليونانى لما فى ذلك من الضرر بالعنصر السلافى . وكان مندوبي انكلترا كانوا يجهلون ان مساعدتهم لليونان تضر بالدولة العلية أكثر من ضررها بالروسيا . ولكن مصالح الدولة العلية كانت لاتهمهم مطلقا بعد ان تحققت أمنيتهم بالاستيلاء على (قبرص) ؛

وكانت تنحصر مطالب اليونان فى اظهار ضرورة استيلائها على تساليا وأيبرا وألبانيا وكريت . وقد قرر المؤتمر قبول مندوبي اليونان فى آخر جلسات المؤتمر وسماع مطالبهم

وأول مناقشة دارت بين أعضاء المؤتمر كانت على مسألة بلغاريا واستغرقت أربع جلسات . وقد انتهت المناقشة باتفاق أعضاء المؤتمر — بالرغم عن معارضة مندوبي روسيا — على جعل مساحة بلغاريا أقل

بكثير مما اتفقت عليه روسيا مع الدولة العلية في سان اسطفانوس
 بجعل حدودها عند جبال البلقان واعطائها (صوفيا) كعاصمة لها مع بعض
 الاراضى في جنوب البلقان. وقرر المؤتمر بذلك جعل مساحتها ٦٤٠٠٠ كيلو
 مترا مربعا بعد أن كانت في اتفاقية سان اسطفانوس ١٦٣٠٠٠ كيلومترا
 مربعا. وصار عدد سكانها مليوناً ونصف مليون بعد أن كان في عهدة
 اسطفانوس أربعة ملايين. وبذلك بقيت سواحل الارخبيل في أيدي
 الدولة العلية خلافا لشرط عهدة اسطفانوس. وقرر المؤتمر جعل احتلال
 الجنود الروسية لبلاد بلغاريا لمدة تسعة أشهر فقط للاستين كما قرره عهدة
 اسطفانوس وجعل تنظيم بلغاريا تحت مراقبة لجنة دولية لا تحت مراقبة
 مندوب روسي

وقرر المؤتمر كذلك انشاء ولاية جديدة في جنوب البلقان بين
 مقدونيا وأدرنه تكون عاصمتها مدينة { فيليوبوليس } وتسمى بالروملي
 الشرقى وتكون ادارتها الداخلية مستقلة وأن لا يجوز للجنود العثمانية ان تقيم
 في داخلها بل يكون لها الحق فقط في الدفاع عن حدودها. ولم يرض أعضاء
 مؤتمر برلين تسمية الروملي الشرقى ببلغاريا الجنوبية ولكنهم كانوا يرمون
 ولا محالة الى ضم هذه الولاية الجديدة الى بلغاريا بعد زمن قليل
 من عام ١٨٧٨

ولمادارت المناقشة بشأن (البوسنة والمهرسك) قام الكونت {اندراشي}
 مندوب النمسا وقرأ تقريراً طويلاً أبان فيه أن بقاءهاتين المقاطعتين تحت يد
 الدولة العلية أى تحت حكم المسلمين يكون سبباً لاستمرار الاضطرابات

والشوزات فيهما وأظهر ما في ذلك من الضرر بمصالح الدولة النمساوية وما انتهى من كلامه حتى وقف الماركيز (سالسبورى) وأيد أقواله وسأل المؤتمر تقرير احتلال الجنود النمساوية لمقاطعتي البوسنة والهرسك احتلالاً لا أجل له . وهكذا ساعدت انكسار الدولة العلية وبرهنت لها على صدق اخلاصها وقد احتج مندوبو تركيا على هذا السؤال الغريب فأجابهم البرنس بسمارك - الذى كان الموعز للكونت (اندراشي) وللماركيز { سالسبورى } بمطالباه - بأن الغرض من مؤتمر برلين ليس رعاية المصالح العثمانية بل رعاية مصالح أوروبا والمدنية وقد اتفق مندوبو المؤتمر بالأغلبية على جعل البوسنة والهرسك تحت حكم النمسا واعطاهم حق احتلال اقليم « نوفي بازار » . وهو اقليم على طريق سالونيك .

وبعد ذلك نظر المؤتمر في مسألة الصرب والجبل الاسود فأعلن استقلالهما تمام الاستقلال وقرر اعطاءهما بعض الاراضي لتوسيع نطاقهما ولكن أقل مما قررتة عهدة اسطمانوس . وفي ذلك الوقت قرر المؤتمر سماع مطالب اليونان فدخل الميسو « ديليانيس » والميسو « رانجابه » وقرأ الاول مطالب حكومته وهي تشتمل على اعطاء اليونان ألبانيا وأيرا وتساليا وكريت . فاتفق أعضاء المؤتمر على تقرير جعل المناقشة في مطالب اليونان بين اليونان والدولة العلية نفسها وعلى انه اذا لم يحصل الاتفاق بين الحكومتين على تحديد حدود جديدة بينهما يعرض الامر عندئذ على الدول الأوروبية وأقروا على تنظيم المقاطعات اليونانية الباقية تحت حكم الدولة العلية على نسق الروملي الشرقى وجعل تنظيمها تحت مراقبة اللجنة الدولية

ولما جاءت مسألة رومانيا أعلن المؤتمر استقلال هذه البلاد
 كصربيا والجل الاسود وقرر المساواة التامة بين كل أهاليها على اختلاف
 دياناتهم . وهذا القرار جاء مفيدا جدا لليهود الذين أساءت اليهم حكومة
 رومانيا في معاملاتها معهم وأساء اليهم أهلها كل الاساءة . وقد سمع
 المؤتمر مندوبي رومانيا « المسيو براتينو والمسيو كو جولييسانو » كما سمع
 مندوبي اليونان . فطلبوا منه عدم تقرير سلب أى جزء من أراضى رومانيا وعدم
 مرور الجنود الروسية فى بلادهم وان يقرر أن الروسية تدفع غرامة لرومانيا
 مقابل ما تكبدته من الخسائر أثناء الحرب . ولكن المؤتمر لم يستطع قبول
 هذه الطلبات لما فيها من المساس بمصالح روسيا واكتفى بتقرير اعطاء
 رومانيا ألفى كيلومتر مربع فى إقليم الدبروجه

وقد نظر المؤتمر بعد ما تقدم فى مسألة الملاحة فى نهر الطونة فقرر
 بقاءها على ما كانت عليه قبل الحرب ومنح النمسا بعض امتيازات . وقرر
 المؤتمر فى مسألة الغرامة الحربية عدم جواز استبدالها بأراض أو بلاد
 عثمانية واعتبار روسيا آخر دائن لتركيا أى انه لا يجوز لها أن تتقدم فى
 المطالبة بالغرامة الحربية قبل الدائنين السابقين لتركيا

أما ما يتعلق بالمسيحيين فى الدولة العلية فقد صرح مندوبو تركيا بأن
 دولتهم تحترم كل الديانات فى بلادها وتعامل رعاياها على السواء فقرر
 المؤتمر جعل المساواة فى الحقوق بين المسلمين والمسيحيين تامة وجعل
 المسيحيين فى بلاد الدولة العلية تحت حماية أوروبا المعنوية

ولم يبق أمام المؤتمر بعد المسائل السالفة الذكر الا مسألة استيلاء

الروسيا على بعض بلاد ومواقع في آسيا فتعهدت روسيا بالتنازل عن مدينة (بايزيد) للدولة العلية مقابل تنازل الدولة عن مدينة «خوتور» للعجم وتعهدت كذلك بعدم تحصين نجر (باطوم) وجعله نجر حراً للتجارة . وقد قرر المؤتمر أيضا ان الاصلاحات المزمع اجراؤها في ارمينيا تعرض على الدول الاوروبية كافة وان حرية بوغازى البسفور والدرنايل تبقى كما قررتها معاهدة باريس عام ١٨٥٦ ومعاهدة لوندرد عام ١٨٧١

ولما رأي مندوبو انكلترا ان أعمال المؤتمر قد انتهت وان الساعة آذنت باعلان استيلاء دولتهم على جزيرة (قبرص) أعلن الكونت (دي بيكونسفيلد) ذلك في ٨ يوليو عام ١٨٧٨ لاعضاء المؤتمر فاندعش مندوبو روسيا غاية الاندهاش وتحقق العالم كله ان انكلترا قد خدعت الدولة العلية اكبر خدعة وانه خير لها ان تعتمد على اعدائها من ان تعتمد على دولة الانكليز . ولم يندعش البرنس (بسمارك) ولا الكونت (اندراشي) من اعلان الكونت (دي بيكونسفيلد) استيلاء انكلترا على قبرص لانهما كانا عالمين بالامر ولم يعارضاه لتعهد بيكونسفيلد بمساعدتهما في تقرير استيلاء النمسا على (البوسنة والهرسك)

وقد طلب البرنس (غورتشاكوف) مندوب روسيا قبل انفضاض المؤتمر تقرير الوسائل الفعالة التي تستطيع بهادول اوروبا اجبار تركيا على تنفيذ قرارات مؤتمر برلين واستمرت المناقشة في هذا الطلب ثلاثة ايام ولكنها انتهت برفضه وخرج البرنس (غورتشاكوف) من مؤتمر برلين منهزما شر هزيمة سياسية

وفي يوم ١٣ يوليو عام ١٨٧٨ أمضي مندوبو المؤتمر على معاهدة برلين وانتهت بذلك جلسات المؤتمر

*
* *

لقد فقدت الدولة العلية في هذا الحرب ما لم تفقد مثله في حرب أخرى . ولم ير العالم من يوم تقسيم بولونيا واتحاد الدول ضد فرنسا عام ١٨١٥ اعتداء على حقوق مملكة مثل ما رأى عام ١٨٧٨ . فان دول اوروبا كلها كانت ضد الدولة العلية وكانت كل واحدة منها تعمل للاستيلاء على شئ من أملاكها . وما ضر الدولة العلية الا حسن ظنها بدولة انكلترا فانها عملت بنصائحها واتبعت آراءها ورفضت مطالب اوروبا في مؤتمر لاستانة مؤملة مساعدة انكلترا لها وقت قيام الحرب . مع ان مطالب الدول في مؤتمر الاستانة كانت لا تعد شيئاً مذكورا اذا قورنت بقرارات الدول في مؤتمر برلين . ولو كانت الدولة العلية سمعت أصوات الذين كانوا ينادونها بان دولة انكلترا خداعة في ودها لا تعمل الا لمنفعتها وتضحى كل مودة وكل صداقة في سبيل الوصول الى غاياتها لكانت نجت من المصائب الجسام التي أسقطت عليها بسبب الحرب وبعدها وان الانسان ليندهش غاية الاندهاش من ان الدولة العلية آمنت بالانكليز بعد انتهاء الحرب وبعدهم خداعهم لها وأعطتهم (قبرص) مؤملة مساعدتهم لها في مؤتمر برلين . بل ويزداد اندهاشه واستغرابه ويقف حيران عند ما يعلم أنه بقي للانكليز نفوذ عند الدولة وكلمة مسموعة بعد مؤتمر برلين نفسه . نعم ان نفوذ الانكليز في الاستانة لم يبق طويلا بعد مؤتمر

برلين ولكنهم استطاعوا ان يخذعوا الدولة بأقبح صفة وأسفل وسيلة
في مسألة مصر

ومن غرائب الامور ان الكونت (دي بيكو نسفيلد) لم يخجل من
ان يقول امام البرلمان الانكليزي بعد عودته من مؤتمر برلين ان هذا
المؤتمر قوى سلطة الدولة العلية وأيد استقلالها وسلامتها

وعندي ان سبب وثوق الدولة العلية وقتئذ بانكارتا واتخاذها لها
هو ما كان للدخلاء فيها من السلطة والنفوذ ، وبعبارة أصرح وأجلي ان
سبب مصائب الدولة العلية هو انتشار الدخلاء في جسمها . فقد
رأى القارئ في خلال هذا الفصل ان رجلا روسي الأصل اسمه الحقيقي
(شارل دتروا) استطاع ان يصل الي رتبة قائد عثمانى وان يستلم زمام
الجنود العثمانية بدل البطل العثماني المشهور المرحوم (عبد الكريم باشا)
. نعم الأصل في اضمحلال الدولة العلية الدخلاء . وكيف تستطيع هذه
الدولة الارتقاء في المدنية والحضارة والتقدم الي الامام والانتصار على
خصوصها ومصالحها بأيدي الدخلاء تدبر كيف يشاؤون وكما تقتضى الغايات
والاهواء فقد كانت مصالحها مسلمة في مؤتمر برلين الي (قره تيودوري
باشا) اليوناني { ومحمد علي باشا } أو (شارل دتروا) الروسي ؟؟؟

ولاريب ان اكبر عمل يقوم به جلالة السلطان الاعظم { عبد الحميد
خان } نحو الدولة والملة انما هو تطهير الدولة من الدخلاء والاعتماد في كل أمور
الدولة وفي الجيش قبل كل شيء على العثمانيين الحقيقيين . فكم من عثمانى
وكم من مسلم كان يقضي الليل والنهار أيام الحرب العثمانية اليونانية قلعا

خائفاً وجود دخيل في الجيش يخونه ويعرض به للانهمزام. ولكن (أدهم باشا) ورجاله برهنوا على ان الخليفة الاعظم معتمد في أمور الدولة على أبنائها الحقيقيين الصادقين وأن ليس المدخلاء اليوم من نفوذ في الدولة

رأى القارى أن الحرب مع روسيا قامت في عام ١٨٧٧ بسبب بلاد البلقان . فكان من الواجب على أوروبا أن تجعل مرمى أنظارها تأييد الامن والسلام في هذه البلاد وتوطيد أركان السكينة فيها ولكن قرارات مؤتمر برلين ولدت البغضاء والشحناء بين أمم البلقان وبين بعضها وأوجدت أسباب العداوة والكره المستمرة . فان رومانيا عادت روسيا وقلبت لها ظهر المجن بعد مؤتمر برلين لاعتداء هذه الدولة عليها وعدم اعترافها بالجميل على مساعدتها لها بالمال والرجال . واشتدت كذلك كراهة الصرب والجبل الاسود لمملكة النمسا بسبب استيلاء هذه المملكة على البوسنة والهرسك مع طموح أنظار كل من هاتين الامارتين الى الاستيلاء عليهما . وأخذت بلغاريا بعد مؤتمر برلين تستعد لضم الروملى الشرقي اليها وتكوين وحدتها بالرغم عن قرارات الدول ولو أدى ذلك الى الاضطراب والحرب . وأخذت اليونان كذلك تستعد للاستيلاء على تساليا وأبيرا ولو اضطرت الى استعمال القوة واشغال نيران الحرب . فصارت بذلك بلاد البلقان بعد مؤتمر برلين مضطربة الاحوال لاتعرف السلم ولا السلم يعرفها

وقد كانت روسيا تعمل لسلخ بلاد البلقان من الدولة العلية أملاً

منها في نشر سيطرتها عليها وتسييرها حسب أهولها ولكنها تحققت بعد مؤتمر برلين أنها أوجدت بنفسها أعداء لها في البلقان وأنه يستحيل عليها استخدام هذه البلاد الناشئة في سبيل أغراضها . وبلاد بلغاريا نفسها التي بذلت روسيا أقصى مجهوداتها في جعلها مستقلة وضم الروملي الشرقي إليها اتبعت طويلا سياسة مخالفة لمقاصد روسيا حينما كان (ستامبولوف) قابضا على أزمة الوزارة البلغارية

ولقد كان الشأن الاول في حوادث هذه الازمة التي نحن بصدد هالبرنس (بسمارك) فانه هو الذي شجع الروسي في بادى الامر وهو الذي كان يرشد النمسا في سياستها وهو الذي كان له الصوت الأعلى والرأي الاول في مؤتمر برلين . وبالجملة هو الذي خلق أغلب البلايا التي نزلت بالدولة العلية في هذه الازمة الشديدة . وما كان عاملا الا لمصلحة بلاده وخير وطنه شأن سائر عظماء الرجال ، فانه رأى في مبدأ الازمة أن الروسي طامعة في ضم أملاك تركيا اليها وحل المسئلة الشرقية بابتلاع الدولة العلية ورآها مؤلمة مساعدة ألمانيا لها مكافأة على رعايتها لها في عامي ١٨٦٦ و ١٨٧٠ ضد النمسا وفرنسا . وسبق أننا بينا ان روسيا والمانيا والنمسا كانت متفقة اتفاقا ثلاثيا فأدرك البرنس (بسمارك) انه اذا وقف في وجه روسيا من بادى الامر وعارضها في أغراضها أمكن لهذه الدولة أن تتحد مع النمسا وان تضم اليهما فرنسا وتؤلف اتحادا ثلاثيا ضد المانيا . وكان من الامور البديهية عند البرنس (بسمارك) ان مصلحة المانيا تقضي عليها بالمحافظة على استقلال الدولة

العلية لتبقى الى الابد شغلا شاغلا للروسيا ومانعا حصينا امامها وسببا قويا للمشا كل بينها وبين انكترا مما يمنع روسيا من الاعتداء على المانيا . فكانت مصلحة المانيا تحتم على البرنس (بسمارك) أن لا يقف أمام روسيا في باديء الامر وان لا يساعد لها كل المساعدة ضد الدولة العلية . فلذلك شجع الروسيا عند ما قامت ثورة البوسنه والهرسك واضطربت الاحوال في البلقان . ولكنه رأى أن روسيا ستسخط عليه ولا محالة بعد انتهاء الحرب لعدم مساعدته لها حسب مرامها ووجد من صالح دولته إيجاد العداوة بين روسيا والنمسا والاتحاد مع هذه الدولة الاخيرة اتحادا يضمن لالمانيا السلام وعدم اعتداء روسيا عليها . فأخذ يحرص النمسا بكل الوسائل على الاهتمام بمسائل البلقان ومنافسة روسيا . ومن حسن حظه ان امبراطور النمسا كان ميالا للاستيلاء على بعض املاك تركيا لتوسيع نطاق مملكته التي استولت المانيا على مقاطعتين منها وانفصلت عنها ايطاليا تماما فوجدت نصائح { بسمارك } لدي سواس النمسا آذانا صاغية واستعدادا تاما لقبولها . وبذلك استطاع بسمارك إيجاد العداوة والبغضاء بين النمسا والروسيا

ولما انتهت الحرب وتحققت أفكار { بسمارك } وصار سواس روسيا وسواس النمسا على طرفي نقيض في الاميال والآراء ساعد رجل السياسة الالمانية دولة النمسا على الاستيلاء على البوسنه والهرسك حتي تقرر ذلك في مؤتمر برلين وازداد حيق روسيا على النمسا . ولم يمض زمن قليل بعد المؤتمر حتى اتحدت النمسا والمانيا وتم فوز (بسمارك) في سياسته الماهرة

وقد رأى (بسمارك) ان ما بين ايطاليا وفرنسا من الروابط المتينة والعلائق التاريخية ربما أدى الى عقد تحالف بين هاتين الدولتين يكون بانضمام الروسيا اليه تحزبا دوليا ضد المانيا والنمسا وأن لا سلامة للتحالف الالمانى النمساوي الا بانضمام ايطاليا اليه فأوعز الى سواس فرنسا بالاستيلاء على (تونس) لتقوية السلطة الفرنسية في شمال أفريقيا . وكان (بسمارك) يعلم ان لسواس فرنسا وقتئذ ميلا شديدا للاستيلاء على البلاد التونسية كما انه كان يعلم علم اليقين ان تقوية نفوذ فرنسا في تونس يضر بالمصالح الايطالية ضررا عظيما ويوجد عداوة لدودة بين فرنسا وايطاليا .

وما علم سواس فرنسا بان المانيا ترى بعين الرضى تقوية السلطة الفرنسية في (تونس) حتى قرروا ارسال حملة على البلاد التونسية لفتحها ورفع الحماية عليها . وانتهى الامر برفع حماية فرنسا على هذه البلاد العثمانية التبعية الحظ وسقوطها في أيدي دولة أوروبية . وقد بلغ (بسمارك) بهذه الحماية غايته التي كان يسعى اليها حيث استحكمت العداوة بين فرنسا وايطاليا وانضمت ايطاليا الى التحالف الالمانى النمساوي تشفيا من فرنسا وانتقاما منها

ولما تم تشكيل التحالف الثلاثى اجتهد البرنس { بسمارك } في تحسين علائق دولته مع الدولة العلية وتقوية نفوذها في الاستانة . وهكذا اقتضت مصلحة بلاده أن يعمل ضد الدولة العثمانية ويساعد الدول الاخرى على سلبها أملاكها ثم يعود الى التقرب منها بعد ذلك لتمتع الروسيا عن الاعتداء على المانيا ولكي يزداد نفوذ المانيا في الشرق وتتقدم فيه تجارتها

ولقد تبهت روسيا الى سياسة (بسمارك) وحولت أنظارها نحو فرنسا وعملت على تمكين المودة بينها وبين الجمهورية الفرنسية حتى لا تكون الكلمة في أوروبا الالمانيا وحدها . ويمكننا أن نقول ان الحبر الاول لأساس التحالف الفرنسي الروسي قد وضع عقب مؤتمر برلين أما علاقات روسيا مع انكلترا فقد تكدر صفاءها بعدم مؤتمر برلين وأيقن سواس روسيا ان كل حروب دولتهم مع الدولة العلية لا تفيد غير انكلترا أحدا . فان لهذه الدولة مصلحة تبقى مابقي الوجود في ان روسيا تحارب تركيا لتضعف كتابتها فتبقى لها السيادة في الشرقين الادنى والاقصي كما ان لها مصلحة أبدية في وجود العداوة بين فرنسا والمانيا لتبقى صاحبة الكلمة اثناء في أوروبا

وقد أوجدت عداوة روسيا لانكلترا وعداوة تركيا لانكلترا بعد مؤتمر برلين تقربا بين روسيا والدولة العلية وتحسينا عظيما في روابطهما . فان روسيا تبقى مصافية للدولة العلية مادامت وجهة سياستها التقدم في الشرق الاقصى والعمل على اسقاط نفوذ انكلترا في البلاد الآسيوية . وتزداد هذه المصافة كلما ازدادت العداوة بين الدولة العلية وانكلترا . فان الدولتين الواقفتين امام بعضهما في كل أزمت المسئلة الشرقية انما هما انكلترا والروسيا حتى صح ان تسمى المسئلة الشرقية بمسئلة الخلاف بين انكلترا والروسيا في الشرق . فاذا ظهرت انكلترا في مظهر نصيرة تركيا اشتدت العداوة بين تركيا والروسيا واذا ظهرت انكلترا بمظهر عدوة تركيا تمكنت المحبة بين تركيا والروسيا .

وانى لأجهل ان روسيا بعد مؤتمر برلين اجتهدت كثيرا في ضم
الرومللى الشرقي الي بلغاريا وتقوية نفوذها الديني والسياسي في بلاد
البلقان ولكن العالم كله رأى تغير السياسة الروسية نحو الدولة العلية في هذه
السنين الاخيرة وخصوصا في المسئلة الارمنية وفي مسئلة الحرب بين الدولة
العلية واليونان

وانه لا يمكننا ان نجزم بان السياسة الروسية تبقى ابد الدهر مصافية
للدولة العثمانية . فان الدول كلها تسيروسياستها على حسب ما تقتضيه مصالحها
ومنافعها . فهذه المانيا حاربت النمسا واخذت منها مقاطعتين عظيمتين ثم
اتحدت معها . وهذه ايطاليا ثارت ضد النمسا وانفصلت عنها ثم اتحدت معها .
ونسيت مساعدة فرنسا لها وعادتها بعد ان كانت اول دولة وافية لها . وهذه
فرنسا حاربت روسيا في حرب القرم ثم صارت الآن متحدة معها .
وهكذا شأن الدول كلها لا تخدم الامصالحها ولا تعمل الا لمنافعها فان اتحدت
المصلحة اتحدت الدول وان اختلفت افترقت

ومما لامراء فيه ان للروسيا وتركيا مصلحة مشتركة ضد انكلترا ويمكن
لكل انسان ان يجزم بان العلائق بين الدولة العلية والروسيا تبقى ودية حية
مادامت السياسة العثمانية لا تخدم المصالح الانكليزية والاغراض البريطانية
. وقد أدرك سواس بريطانيا هذه الحقيقة حتى ذهب بعضهم الى القول
بان ثورة الهند الحاضرة مدبرة بالاتفاق بين تركيا والروسيا
ولاريب ان المستقبل سيعرفنا عمر سياسة مصافاة روسيا للدولة
العلية والخطة التي ستتبعها كل دولة نحو دولة آل عثمان

﴿ مابعد مؤتمر برلين ﴾

ظهر للقاري من الفصل السابق ان مؤتمر برلين أوجد في بلاد البلقان أسباب الاضطراب ودواعي الهيجان ونزيد الآن انه لم يمض زمن يسير بعد المؤتمر حتى نزع كل أمة من أمم البلقان الى تكدير السلم بالمطالبة بأشياء جديدة . وقد عرفت هذه الامم ان أوروبا مساعدة لها في كل أمر فازدادت لذلك أطماعها وكبرت آمالها

وقد رأى القاري ان مؤتمر برلين قرر تأسيس ولاية جديدة في جنوب بلغاريا تسمى بالروملي الشرقي وتكون تابعة للدولة العلية مباشرة . وقرر احتلال الجنود الروسية لهذه الولاية مع امارة بلغاريا مدة تسعة أشهر . ولما كانت الوحدة الدينية هي سبب تداخل روسيا في بلاد البلقان وهي الرابطة القوية المتينة التي تربط الروسيين بالبلغاريين عمل الروسيون مدة احتلالهم لاقليم الروملي الشرقي على إهاجة خواطر أهله ضد الدولة العلية وحثهم على الاتحاد مع بلغاريا لتكوين امارة واحدة . وبالجملة زرعوا بأيديهم بذور الهيجان والثورة مؤملين أنهم اذا غادروا الاقليم وجاءت الجنود التركية لاحتلال هذه البلاد العثمانية فوجدتها تأثرة مضطربة مشتعلة نيران الفتنة في كل أنحاء اضطرت أوروبا للتدخل في الامر وتكليف روسيا باحتلال اقليم الروملي الشرقي مرة ثانية أو اعلان انضمامه لامارة بلغاريا

ولما اقترب ميعاد انجلاء العساكر الروسية من بلاد الروملي الشرقي أرسلت روسيا الى الدول الأوروبية مذكرة استلقت فيها أنظارها الى

أن رجوع العساكر العثمانية الى هذا الاقليم قبل تنظيمه واصلاحه يكون
 سببا لايجاد القلاقل والاضطرابات وعرضت عليها في هذه المذكرة
 مد أجل اللجنة الدولية المكلفة بتنظيم بلغاريا والروملي الشرقي سنة كاملة
 بعد انقضاء الاجل الاول وارسل جيش مختلط أوروبى لاحتلال الروملي
 الشرقى هذه السنة ، وكانت روسيا تعلم ان دول أوروبا لا تقبل ارسال
 جنودها الى بلاد الروملي الشرقى وصرف المصاريف الطائلة بغير نفع لها
 فكانت تقصد في الحقيقة بمذكرتها استمرار احتلال جنودها لهذا الاقليم
 سنة كاملة بعد التسعة أشهر الاولى. ولكن الباب العالى أجاب على هذه
 المذكرة بأن استمرار احتلال الجنود الروسية أو الاوربية لاقليم الروملي
 الشرقى من شأنه اضعاف سلطة الدولة العلية في نظر أهالى هذه البلاد
 والاخلال بقرارات مؤتمر برلين وتشجيع أمم البلقان على مخالفة هذه
 القرارات الدولية مما تكون نتيجته اشتعال نار الاضطرابات في بلاد البلقان
 والاضرار بالسلام العام في أوروبا. وهى ملاحظات حمة عادلة أحلتها
 بعض الدول محلها من القبول. ولكي يظهر الباب العالى اعتداله أعلن الدول
 الاوربية بأنه عازم على تعيين « أليكوباشا » واليا على اقليم الروملي الشرقى
 وهو رجل بلغارى الاصل ارثوذكسي الدين
 ولكن بذور السوء والبؤس قد ألقيت في أرض خصبة في العداوة
 للدولة العلية فلم تمهل العالم الا قليلا حتى أنتجت الشرور وقام أهلها في
 وجه صاحب السيادة الشرعية عليهم
 وما تعين « أليكوباشا » والياً على الروملي الشرقى حتى أقبلت عليه

المصاعب والمشاكل — وكان ولاشك يسر في الباطن بها ويقبل هو كذلك عليها — فطلب منه الاهالي المسيحيون عدم رفع الراية العثمانية على قلاع الاقليم وأن لا يضع على رأسه الطربوش أبداً حتى في الاحتفالات الرسمية فلما رأت الدول ذلك سألت روسيا أن تأمر أهالي الروملي الشرقي بالزكون الى السكنينة والانصياع لقرارات مؤتمر برلين فأجابت روسيا سؤال الدول ولكنها اشترطت عدم رجوع الجنود العثمانية الى هذه البلاد . فطلبت أوروبا ذلك من الدولة العلية وهددتها بعدم مخالفة طلبها . وهكذا شأن أوروبا مع الدولة العلية تسمح لرعاياها المسيحيين باتيان كل أمر فظيع وكل مخالفة ضد السلاطة الشرعية وعند ما تريد الدولة استعمال سلاطتها الشرعية وحقوقها المعترفة بها أوروبا نفسها تمنعها كل المنع وتهدها بسائر أنواع التهديد !!!

ويدرك القارئ من نفسه ان اشارة روسيا تلي أهالي الروملي الشرقي بالخلود الى السكنينة لم تكن الا اشارة قضت بها الحوادث والظروف والافسياسة الروسية في بلاد البلقان بعد مؤتمر برلين بقيت واحدة ثابتة ترمى الي ضم الروملي الشرقي لامارة البلغار

*

* *

وقد سلمت الدولة العلية اتباعا لقرارات مؤتمر برلين قلعتي (بوز) و(بودجورتزا) من بلاد البانيا لامارة الجبل الاسود ولكن حكومة الجبل الاسود لم ترض بنصيبها الذي قرره لهاه مؤتمر برلين بل صرحت على لسان جريدتها الشبيهة بالرسمية « جلاس تسرنا جورسا » انها تنتظر

الفرص المناسبة للاستيلاء على ماتراه ضروريا ولازما لامارتها.
 أما الالبانيون فقد أحدث ترك الدولة العلية لموقعي « بوز »
 (بود جورتر) تأثيرا هائلا عندهم وأهاجهم ضد حكومة الجبل الاسود
 فقاموا ضدها وأعلنوا العداء لها ورفعوا راية العصيان في وجهها ولم
 يمض الا زمن يسير حتي اشتعلت نيران المعارك الدموية بين جنود الجبل
 الاسود وبين أبطال ألبانيا . وكانت الدولة العلية قد سحبت جنودها من
 البلاد الالبانية المتنازل عنها للجبل الاسود فلما هاج أهلها ادعت حكومة
 الجبل الاسود ان الدولة العلية هي المحرصة لهم وانها أخلت البلاد المتنازل
 عنها قبل الميعاد . ولكن الحقيقة التي لامراء فيها هي أن الالبانيين قوم
 شديديو التمسك بعري الولاة للدولة العلية ولا يرضيهم أن يكونوا تحت سلطة
 حكومة أخري

ولما خابت حكومة الجبل الاسود في قمع ثورة الالبانيين استنجدت
 باوروبا فأرسلت الدول الاوربية للدولة العلية بلاغا سألها فيه احتلال
 البلاد المتنازل عنها للجبل الاسود وقمع الثورة فيها ثم تسليمها بعد ذلك
 الي امارة الجبل الاسود ... فأهملت الدولة العلية طلب الدول وتركت
 الالبانيين يدافعون عن بلادهم أشرف دفاع ويتردون جنود الجبل
 الاسود منها . وقد كانت انكترا في هذه المسئلة اشد الدول تظاهرا
 بالعداوة لتركيا فعرضت على الدول الاوربية اعطاء ثغر (دولسينيو)
 لامارة الجبل الاسود . ولكن الدولة العلية صممت على المعارضة
 واحتلت أعلى مدينة (دولسينيو) . فلما رأت ذلك انكترا عرضت

على الدول الأوروبية عمل مظاهرة بحرية في المياه العثمانية تهديداً
للدولة العلية

وفي ٣ أغسطس عام ١٨٨٠ أرسلت الدول الأوروبية بلاغا للدولة
العلية طلبت منها فيه العمل على اعطاء ثغر { دولسينيو } للجبل الاسود
في مدة ثلاثة أسابيع أو الاشتراك مع الدول في عمل مظاهرة بحرية
أمام ثغر (دولسينيو) لارهاب اهله واجبارهم على التسليم . فاجاب
الباب العالي في ١٩ أغسطس بان الدولة العلية لا تستطيع اعطاء ثغر
(دولسينيو) للجبل الاسود الا اذا بقيت مالكة لمدينتي (دينوش)
و { جرودا } وبانها تطلب بعد ذلك أجلا أطول من ثلاثة أسابيع لتسليم
(دولسينيو) للجبل الاسود

وقد أشيع وقتئذ أن الصرب تحالفت مع بلغاريا تحالفا هجوميا
دفاعيا فصدر جلالته السلطان أمره بجمع الجنود والاستعداد للطوارئ
وكانت الدولة أرسلت (رضا باشا) على رأس فرق عسكرية الى
(دولسينيو) لاحتلالها فظن أهلها انه جاء لتسليمها الى الجبل الاسود
فقاوموه مقاومة عنيفة حتي اضطر الي الإقامة هو وجنوده بالقرب من
(دولسينيو) وبقي منتظراً أوامر الدولة العلية

وفي هذا الاثناء أعلن اللورد غرانفيل في مجلس العموم الانكليزي
بتاريخ ٣٠ أغسطس عام ١٨٨٠ أن الدول الأوروبية وافقت انكترا على
عمل مظاهرة بحرية أمام ثغر (دولسينيو) ووضع أساطيلها تحت قيادة
الاميرال الانكليزي (سيمور) . فلما علمت الحكومة العثمانية بذلك

أرسلت في ١٥ سبتمبر من السنة نفسها منشورا لسفرائها لدى الدول الأوروبية أمرتهم فيه بإبلاغ الحكومات الأوروبية ان اعطاء (دولسينيو) بالقوة الي الجبل الاسود يكون سببا لهيجان عظيم واضطراب عام في بلاد البلقان وان الدولة العلية لا تقبل التنازل عن (دولسينيو) الا بالشروط الآتية : أولا عدم اجراء مظاهرة بحرية . ثانيا المحافظة على أرواح وأموال المسلمين والمسيحيين القاطنين في { دولسينيو } . ثالثا بقاء { دينوش } و { جرودا } في يد الدولة العلية . رابعا عدم اعطاء امارة الجبل الاسود شيأ من أملاك الدولة في المستقبل

وفي الوقت نفسه أرسل أهالي (دولسينيو) الي قناصل الدول بها خطابا مؤثرا للغاية احتجوا فيه على اعطاء مدينتهم للجبل الاسود وقالوا فيه : واننا عازمون على المقاومة أشد المقاومة ولو دمرت مدينتنا ومتنا جميعاً عن آخرنا . ومع ذلك فاننا لانزال نؤمل ان الخلاف لا يقع لمناعلمه من ان دول أوروبا تعمل لمصلحة الأئمة وخيرها لا لدمارها وخرابها ، وقد أحدث هذا الخطاب عند سائر المسلمين في تركيا تأثيرا شديدا وهاجت النفوس والضمائر هياجا كبيرا واندهش الكل من ان أوروبا لا تكتفي باخراج المسيحيين من تحت سلطة المسلمين بل تعمل أيضاً لاجراج المسلمين من تحت سلطة دولتهم الشرعية ووضعهم بالقوة والقهر وبالرغم عنهم تحت السلطة المسيحية وتحت سلطة أئم البلقان أى تحت سلطة أعدائهم

وقد انتهزت انكلترا فرصة وقوع الخلاف بين أوروبا وبين الدولة

العلية وطلبت من الدول ان تسمح لها باحتلال ثغور تركيا ومحاصرة الدردانيل . وكانت الجرائد الانكليزية تطعن وقتئذ على جلالة مولانا السلطان الاعظم (عبد الحميد خان) طعنا قبيحا وتطلب من أوروبا انزله عن عرشه ملكه الجليل . وقد اجتهدت ألمانيا في حل المشكلة حلا سلميا واعادة السكينة والسلام الي ربوع البلقان فنصحت الدولة العلية بقبول اعطاء (دولسينيو) للجبل الاسود وتسليمها لحكومته في أقرب وقت حتي لا تجد انكترا حجة لخلق المشاكل وايجاد القلاقل . فاضطرت الدولة العلية للعمل بنصيحة ألمانيا لانفرادها وحدها ضد أوروبا كلها وعدم وجود مساعد لها بين الدول الاوروبية وأعلنت أوروبا في ١٢ اكتوبر عام ١٨٨٠ بانها مستعدة للاتفاق مع امارة الجبل الاسود على اعطائها (دولسينيو) . وانتهى الامر باستيلاء امارة الجبل الاسود على هذا الثغر في ٢٦ نوفمبر عام ١٨٨٠

* *
*

ما انتهى مؤتمر برلين حتى خابرت اليونان الحكومة العثمانية في أمر تحديد تخوم جديدة بين الدولتين بمقتضى قرارات مؤتمر برلين فرضيت الدولة العلية بالتنازل لليونان عن ثلث خليج (فولو) ورفضت اعطاءها يانينا ولاريسا وفولو . ونظراً لطمع اليونان في الاستيلاء على تساليا وابيرالم تم المخابرات بين الدولتين على شيء واستنجدت اليونان بأوروبا لمساعدتها ونصرتها . فأرسل اللورد سالسبري وزير خارجية انكترا مذكرة رسمية للدول الاوروبية عرض عليها فيها عقد لجنة دولية

للفصل بين تركيا واليونان

وفي ذلك الحين تعين المسيو (جوشن) سفيراً لانكلترا لدي الباب العالي وكلف من قبل حكومته بمساعدة اليونان على أخذ تساليا وابيرا من الدولة العلية

وقد أجابت الدول الأوروبية طلب انكلترا وأرسلت بلاغا للدولة العلية أخبرتها فيه بأنها قررت عقد لجنة دولية ببرلين في شهر يونيو عام ١٨٨٠ لفصل الخلاف بينها وبين اليونان

وفي شهر يونيو اجتمعت اللجنة الدولية ببرلين كما اتفقت الدول وكان اجتماعها تحت رئاسة البرنس (دى هوهنلوه) ولم يقبل فيها مندوبو تركيا ولا مندوبو اليونان . وقد قررت اعطاء جزء عظيم من تساليا وايرامع (يانينا) و (متروفو) و (لاريسا) لليونان وقدم سفراء الدول في الاستانة وفي أثينا في ١٥ يوليو سنة ١٨٨٠ مذكرة للحكومة العثمانية والحكومة اليونانية متضمنة قرار اللجنة الدولية ببرلين . فقبلته حكومة اليونان بمزيد الامتنان ورفعت شكرها للدول الأوروبية . ولكن الباب العالي رفض هذا القرار كل الرفض وأبان للدول الأوروبية ان تنازل الدولة العلية لليونان عن هذه المدائن والمواقع يجعل لليونان طريقا على الدولة العلية ويسهل لها الاعتداء على البلاد التركية في كل وقت فضلا عن ان سكان هذه البلاد التي قررت اللجنة الدولية ببرلين اعطاءها لليونان أغلبهم من المسلمين

وقد أحت الدول الأوروبية مرة ثانية على الدولة العلية بقبول قرار

اللجنة الدولية ببرلين ولكن الدولة بقيت على خطتها الاولى ورفضت التنازل عن يانينا و متزوفو ولا ريسا

اما حكومة اليونان فقد اهتمت بتجنيد جنودها و أظهرت استعدادها لمحاربة الدولة العلية وصرحت على لسان جرائدها وخطبائها بأنها تنفذ قرار اللجنة الدولية ببرلين بالقوة ان لم تستطع أوروبا اجبار الدولة العلية على قبوله . ولكن الدولة العلية كانت تستعد للحرب أحسن استعداد ولم تهمل شيئاً من معدات القتال . وكانت اليونان تؤمل مساعدة أوروبا لها ضد الدولة العلية اذا قامت الحرب بينهما . وكان لها الحق أن تؤمل هذا الامل لانها وجدت من أوروبا المساعدة التامة في كل وقت وفي كل أمر . غير ان الدول الاوروبية كانت تأبى قيام الحرب بين الدولة العلية واليونان خوفاً منها على دمار اليونان وخرابها ومنعاً لاشتعال نيران الحرب في بلاد البلقان . فلذلك اجتهدت في فصل الخلاف بين اليونان وتركيا واقناع الباب العالي بضرورة قبول ماقدرته وما تقرر

وقد عرضت فرنسا على الدول الاوروبية وعلى تركيا واليونان تحكيم دولة من الدول لفصل الخلاف بين الحكومة العثمانية والحكومة اليونانية بصفة نهائية ولكن الدولة العلية رفضت هذا الطاب . وكان اليونانيون يعملون وقتئذ كل مافي وسعهم لاعلان الحرب على تركيا فقد عرضت حكومتهم على مجلس نوابهم مشروع عقد سلفة لشراء الاسلحة اللازمة للجيش ولاتمام الاستعدادات الحربية . وأقر مجلس النواب اليوناني على هذا المشروع بالاجماع

وفي ١٤ يناير عام ١٨٨١ عرضت الحكومة العثمانية على الدول الأوروبية ان يلغي قرار اللجنة الدولية ببرلين وان تعقد لجنة دولية جديدة بالاستانة يحضرها مندوبو الدولة العلية ولا يحضرها مندوبو اليونان ويكون قرارها نهائيا . فبادرت الدول الأوروبية بالموافقة على طلب الدولة العلية وصارت الدولة بذلك ملزمة بتنفيذ قرار اللجنة التي طلبت عقدها بالاستانة

ولما عقدت اللجنة الدولية بالاستانة طلب بعض الاعضاء التنازل لليونان عن كريد وجزء من تساليا وطلب البعض الآخر التنازل عن تساليا كلها وجزء من ابيرا . وفي أثناء مناقشة اللجنة الدولية كان اليونانيون يسالون جنودهم وينظمون جيشهم ويتمون معداتهم الحربية استعدادا لمحاربة تركيا حتى ان المسيو { تريكويس } رئيس حزب المعارضين في مجلس النواب اليوناني قال امام المجلس « بأن الحكومة اليونانية متفقة مع حزب المعارضين على أن الحرب مع تركيا لا مناص منها » . وقد أجابه المسيو (كوموندروس) رئيس الوزارة اليونانية وقتئذ « اني لا أقول بان الحرب لا مناص منها ولكني أقول بانها ربما كانت قريبة الوقوع جدا »

وقد استمرت اللجنة الدولية في مناقشتها . ولكن مندوبو الدول لم يستطيعوا الاتفاق مع مندوبو تركيا فاتفقوا على وضع قرار فيما بينهم يقدم لتركيا بصفة اذار نهائى من دول أوروبا . وأخذ مندوبو أوروبا يتناقشون وحدهم حتى اتفقوا في آخر الامر على اعطاء تساليا كلها وأبيرا لغاية نهر « أريا » لليونان وهدم قلاع « بريفيزا » التي تقرر تركها للدولة

العلية . وأبلغ سفراء الدول هذا القرار للحكومة العثمانية وللحكومة اليونانية
 فقبلته الحكومة اليونانية وأبلغت الدول ذلك في ١٢ ابريل عام
 ١٨٨١ وسألتها التعجيل بتسليمها البلاد المتنازل لها عنها . أما الحكومة
 العثمانية فانها المارات اجماع الدول واتفاقها كلها ضدها أبلغتها قبولها لقرار
 اللجنة الدولية بالاستئان وسألتها قبول الشروط الآتية : أولا عدم تجنيد
 المسلمين القاطنين بالبلاد المتنازل عنها لليونان في العسكرية اليونانية مادامت
 الدولة العلية لا تجند اليونانيين المقيمين ببلادها في عسكريتها . ثانياً هدم
 قلاع مدينة « فولو » ثالثاً جعل محاكمة اليونانيين القاطنين بتركيا امام
 محاكمها العادية

ولكن دول أوروبا بالغت في تعصيدها لليونان واعتدائها على الدولة العلية
 ورفضت قبول هذه الشروط العادلة وأمضت كلها في ٢٢ مايو على اتفاقية
 بخصوص اجبار الدولة العلية على تنفيذ قرار اللجنة لدولية فاضطرت الدولة
 العلية الى مخاربة حكومة اليونان والاتفاق معها على تنفيذ قرار اللجنة
 الدولية وعلى خروج الجنود التركية من البلاد المتنازل عنها لليونان في مدة
 لا تزيد عن خمسة أشهر

*

* *

وقد اشتغلت النمسا بعد مؤتمر برلين بالاستعداد لاحتلال مقاطعتي
 البوسنة والهرسك فأرسلت جيشاً جراراً اليهما تحت قيادة الجنرال
 {فيليبوفيتش} وأصدرت لأهالي البوسنة والهرسك منشورا أبانت لهم
 فيه أن الدول الأوروبية كلقتهم باحتلال بلادهم لتوطيد السكينة فيها واسعادها

وان جلاله السلطان أنابها عنه في تنظيم أمورهم - وهو ما يخالف الحقيقة بالمرّة وقد ذكرت النمسا ذلك كذبا لتخدع المسلمين من أهالي البوسنة والهرسك - وانها (أي النمسا) لا تميز بين الديانات بل جيل مقاصدها نشر لواء المساواة والعدل والحرية بين الاهالي

وبالرغم مما جاء في هذا المنشور فان أهالي البوسنة والهرسك من المسلمين قاموا أجمعين عند ما علموا باقتراب النمساويين من بلادهم لاحتلالها واستعدوا للدفاع عن وطنهم الدفاع الواجب وانضم اليهم الارثوذكسيون - أي الذين يدينون بدين الروسي ويخلصون الحب لها - واتخذت مدينة (بوسنة سراي) أو (سراي فو) ومدينة (موستار) مركزا للدفاع عن بلاد البوسنة والهرسك

وقد دافع أهالي البوسنة والهرسك عن بلادهم دفاع الابطال وقاوموا جنود النمسا مقاومة عنيفة وأذاقوهم مر القتال حتى اضطر قواد الجيش النمساوي للرجوع بالجيش الى الورا في مواقع كثيرة واضطرت الحكومة النمساوية الى ارسال جنود عديدة لتزداد القوة بهم ويستطيع الجيش النمساوي الانتصار على أهالي البوسنة والهرسك . وكان على رأس المسلمين من أهالي البوسنة في هذه الحركة الوطنية رجل شديد العزم والحزم اسمه (حاجي لودچا) قائد الجموع ضد النمساويين أحسن قيادة واستحق بما أتاه شكر أمته ووطنه وثناء التاريخ

وفي ١٠ أغسطس عام ١٨٧٨ سقطت مدينة (بوسنة سراي) في أيدي النمساويين وهذا اليوم كان يوما مشهودا فقد فيه النمساويون عددا

عديدا من جنودهم ورأوا أمامهم البنات والنساء تدافع عن البوسنة في مقدمة الرجال . فهكذا تكون الوطنية الحققة وهكذا يكون الذود عن الاوطان . وقد مات في هذا اليوم العبوس كثيرون من أهالي البوسنة وذهبوا شهداء الوطنية الحققة والاخلاص الملي

ولم تثبطهم أهالي البوسنة والمهرسك بسقوط عاصمة البوسنة في أيدي النمساويين بل استمروا يقاتلون قتال الأبطال واستمرت الثورة ضد النمساويين في شمال البوسنة وفي بلاد المهرسك كلها . وقد انهزم النمساويون أمام حماة البوسنة والمهرسك مرة بعد أخرى ولاقوا في هذه المعارك الدموية من الاتعاب والمصاعب وما لا يجده جيش في حرب كبيرة مع دولة عظيمة . وفي آخر شهر أغسطس عام ١٨٧٨ اضطر الجنرال (سابارى) الي ترك ما كان استولى عليه بين نهر (درينا) و (ساقب) بعد أن خسر جيشه الخسائر الجمة وفقد العدد الوافر من رجاله . وفي ١٠ سبتمبر انسحب الجنرال (زاش) هو و جنوده من موقع بيهاش فرارا من هجمات أهالي البوسنة والمهرسك الأبطال

ولم ينتصر الجيش النمساوى بعد سقوط (بوسنة سراي) الا عند ما ازداد وعده بوفود فرق جديدة من النمسا . وعندئذ استولى على مدينة « تريدينه » ومدينة « زفور نيك » وأخذ يتقدم شيئا فشيئا حتى قمع الثورة واستولى على البلاد كلها ولكن بعد ان أذاقه أهالي البوسنة والمهرسك أشد العذاب وبرهنوا على أنهم رجال لا يستسلمون للعدو ولا يسلمون وطنهم وشرفهم للاجنبي عن طيب خاطر

وقد كان المجريون من أول الازمة لآخرها مع الدولة العلية وكانت مصالحهم تقضى عليهم بذلك. فان استيلاء النمسا على البوسنه والهرسك يزيد من عدد السلافيين في المملكة النمساوية ويضر بنفوذ المجر وكذلك ازدياد نفوذ روسيا في بلاد البلقان من شأنه أن يجعل المجر في قلق مستمر على حياتها ووجودها السياسي فان روسيا هي أول وأكبر عدو للمجر وهي التي قعت الثورة المجرية عام ١٨٤٩ بعد ان خابت النمسا في قمعها واذا أضفنا الى اشتراك المجر في المصلحة مع الدولة العلية اخلاص أهالي هذه البلاد للاتراك واعترافهم بالجميل للدولة التي استقبلت ثوارهم عام ١٨٤٩ أحسن استقبال وكرمت مشواهم ورفضت تسليمهم للنمسا كل الرفض فهمنا. كنهه تظاهر المجريين بمحبة الدولة العلية واطهار أميالهم نحوها بكل قوة. ومما يخذ ذكروه أبد الدهر ان النمسا أرسلت مع الجنود النمساوية التي بعثتها للاستيلاء على البوسنه والهرسك أورطة مجرية وأصدرت اليها الاوامر بطرد جنود الاتراك من هذه البلاد فلما وصلت الاورطة ووجدت الجنود العثمانية — وهم الذين بقوا بعد اخلاء الدولة لبوسنه والهرسك — تذكرت ان هؤلاء الجنود ينتسبون لهذه الامة التركية الشريفة وانهم جنود الدولة التي أحسنت الى أبناء وطنها فألقت الاورطة كلها السلاح وأبت اطلاق الرصاص على الاتراك قائلة بصوت واحد « اننا لانطلق الرصاص على أصدقائنا ». فاغتاظ الامبراطور « فرانسوا جوزيف » من هذا العمل ومن هذه المخالفة العسكرية وأمر بضرب عشر الاورطة بالرصاص اذا استمرت على مخالفتها فابلق الامر

للجنود المجرية ولكنها فضت اظهار اعترافها بالجميل للعثمانيين عن الطاعة
لاوامر الامبراطور

وقد استحكمت الخلاف بين النمسا والمجر وظهر ظهور الشمس في رابعة
النهار عند ما طلبت النمسا من الوزارة المجرية الاشتراك معها في تقرير
مبلغ ٥٥ مليوناً من الفلورينو « أى نحو الخمسة ملايين من الجنيهات »
لمصاريف الحملة النمساوية ضد البوسنة والهرسك بعد ان صرف على
هذه الحملة مبلغ ٨٢ مليوناً من الفلورينو . فهاج المجرىون وأخذت جرائدهم
تظعن على النمسا وتوجه اليها الملام والتعنيف حتى اضطرت الوزارة المجرية
— التي كان يرأسها وقسئذ المسيو « تيسا » الشهير — الى تقديم استعفاؤها
ولما رأى الامبراطور « فرنسوا جوزيف » ان الموقف خرج سأل المسيو
« تيسا » أن يبقى في منصبه هو وزملاؤه حتي يجد من يخلفهم وأخذ يستميل
الحزب الاهلي في المجر نحوه ويرجوه عدم احداث قلاقل في البلاد
. ولكي يسهل الامبراطور على المجرىين قبول طلب الحكومة النمساوية
بشأن مصاريف الحملة على البوسنة والهرسك قرر جعلها عشرين مليوناً
من الفلورينو بدلاً عن خمسة وخمسين . وبذلك انتهى الخلاف بين
النمسا والمجر ظاهرياً . ولكن احتلال النمسا للبوسنة والهرسك أبقى
في نفوس المجرىين كراهة شديدة للنمساويين فوق الكراهة الاصلية
الكامنة في نفوسهم

وقد احتلت النمسا في ٨ ستمبر عام ١٨٧٩ اقليم « نوفي بازار »
بالاشتراك مع الجنود العثمانية — ولم يستمر احتلال النمسا له زمناً طويلاً

— وكان لهذا الاحتلال شأن مهم لان « نوفي بازار » على طريق سالونيك
وبواسطتها كان يسهل للنمساويين ان يبلغوا الاستانة قبل الروسيين اذا قامت
الحرب بين روسيا والدولة العلية

والذي أوعز للنمسا باحتلال (نوفي بازار) هو البرنس (بسمارك)
فانه لما رأى ان روسيا أظهرت العداء لالمانيا واتهمتها بنكران الجميل
عمل على الاتحاد مع النمسا ضدها كما قدمنا ووجه عنايته لاضعاف
نفوذ روسيا في بلاد البلقان وجعل نفوذ النمسا فيها قويا عظيمًا لتزداد
العداوة بين هذه الدولة وبين روسيا وتبقى بذلك النمسا مضطرة دائماً
الى المحافظة على تحالفها مع ألمانيا . وكان يقصد البرنس { بسمارك }
بتقوية نفوذ النمسا في بلاد البلقان غير ما ذكرنا إيجاد الشقاق بين النمسا
والمجر وتحويل أنظار النمسا بهذا الشقاق وبمصالحها في البلقان عن البلاد
الالمانية لتبقى دائماً تحت سلطة المانيا وفي دائرة نفوذها

وقد توصل البرنس { بسمارك } بسياسة هذه الي توطيد العلائق
والروابط بين رومانيا والنمسا وسهل عليه ذلك لحقد رومانيا على روسيا بعد
الحرب الروسية التركية . ونجح كذلك في تحسين علائق الصرب مع
النمسا وادخال بلغاريا نفسها في دائرة نفوذ النمسا

وبذلك أفلح البرنس « بسمارك » في سياسته الماهرة وبلغ متمناه
فازدادت العداوة بين النمسا وروسيا وتقربت من النمسا امارات البلقان
— التي أوجدتها روسيا بما لها ورجالها — واشتغلت النمسا ببلاد البلقان
وبمشاكلها مع المجر عن البلاد الالمانية . ولما رأى البرنس « بسمارك »

ثمّار سياسته سافر الى فيينا حيث استقبل فيها استقبالا عظيما واحتمل به سواسها وأهلها احتفالا شاقاً - ولا ينسى القاريء الكريم ان «بسمارك» هو سبب مصائب النمسا وأصل انحلالها . ولكن الامم تنازلة في مهواة التقهر والانحطاط من شأنها النسيان - وأعلن وقتئذ في كل انحاء العالم ان النمسا تحالفت مع المانيا تحالفاً دفاعياً هجومياً وان سياسة «بسمارك» توجت بالنجاح والفلاح

*
* *

أسلفنا ان البرنس «بسمارك» بذل جهده في ابعاد ايطاليا عن فرنسا وايجاد الشحنة والبغضاء بينهما وأظهر لفرنسا انه مستعد لمساعدتها على رفع حمايتها على البلاد التونسية . ولما كان سواس فرنسا ميالين لتقوية نفوذ بلادهم في تونس فقد تلقوا أقوال البرنس «بسمارك» بنهاية الارتياح وانتظروا الفرصة المناسبة لارسال حملة على البلاد التونسية وقد كانت ثلاثة أخماس ديون الامارة التونسية لفرنسا والخمسان الآخرا لاطاليا وان كثرت مما جعل لفرنسا مركزا خاصا بها في تونس . ولم يكن لها منافس بين الدول غير ايطاليا التي كانت تنصح (باى تونس) على الدوام بمعاكسة فرنسا وعرقلة مساعيها وكان الايطاليون في البلاد التونسية يجارون الفرنسيين في كل عمل ويجهدون في سبقهم الى الربح والمكسب وقد حدث ان بعض قبائل رحالة اعتدت على حدود الجزائر فانهزت فرنسا هذه الفرصة لتحقيق غايتها وتنفيذ مشروعها وقررت ارسال حملة فرنساوية على الحدود التونسية

فلما علمت الدولة العلية بذلك أرسلت مذكرة لفرنسا وللدول الأوروبية بتاريخ ٢٧ ابريل عام ١٨٨١ احتجت فيها على عمل فرنسا وأبانت ان البلاد التونسية هي جزءاً من المملكة العثمانية وان الاعتداء عليها يعتبر اعتداء على الدولة نفسها

فأجاب المسيو «بارتاجي سانت هيلير» وزير خارجية فرنسا على مذكرة الدولة العلية بمشور أرسله في ٩ مايو عام ١٨٨١ الى سفراء فرنسا لدي الدول الأوروبية أوضح فيه الاسباب التي حملت فرنسا على ارسال تجريدة الى البلاد التونسية وأبان الاعتبارات التي تجعل البلاد التونسية في نظر فرنسا مستقلة تمام الاستقلال عن الدولة العلية. وهذه الاعتبارات هي ان علاقة تونس مع الدولة العلية ليست الا علاقة دينية محضة وان امارة تونس عقدت مع دول أوروبا جملة معاهدات بدون توسط الدولة العلية أو تصديقها عليها. فقد عقدت مع فرنسا معاهدة في ٨ أغسطس عام ١٨٣٠ تعهدت فيها بالغاء الرقيق وعقدت مع انكلترا نحو عشرين معاهدة وعقدت مع ايطاليا معاهدة في عام ١٨٦٨ بدون أن تحتاج في كل هذه المعاهدات الى أمر أو الى توسط من الدولة العلية. وأضاف على ذلك وزير خارجية فرنسا ان جملة حروب قامت بين الامارة التونسية وبين بلاد أخرى بدون تداخل تركيا. ففي عام ١٨٣٣ حاربت مملكة «ساردينيا» ولاية تونس وكانت علاقتها مع الدولة العلية جيدة حسنة ولم يتكدر صفاؤها بجرها مع تونس. وقبل ذلك في عام ١٨١٩ قرر مؤتمر (راكس لاشايل) اجبار تونس على منع لصو صية البحار بدون توسط الدولة العلية

واستند كذلك وزير خارجية فرنسا على استقلال تونس بأن فرنسا استقبلت في عام ١٨٤٧ (أحمد) باي تونس كما تستقبل الملوك والأمراء وبغير توسط سفراء الدولة العلية وبأن دستور الولاية التونسية المشتمل على ١١٤ مادة لم يذكر فيه حرف واحد عن تابعة هذه الولاية للدولة العلية

وختم وزير خارجية فرنسا منشوره بقوله « وان أغلب دول أوروبا موافقة على ارسال حملة فرنسية الى البلاد التونسية ». ولاشك انه كان يشير الى المانيا والنمسا

ولكن هذه الاعتبارات التي أتى عليها وزير فرنسا كلها تسقط أمام أمر واحد وهو أن باي تونس أرسل في آخر عام ١٨٦٤ { خير الدين باشا } الى الاستانة ليستصدر فرمانا شاهانيا بتعيينه أميرا على البلاد التونسية وصدر فرمان بالفعل بمقتضى طلب باي تونس نفسه . وفي ٢٥ اكتوبر عام ١٨٧١ صدر فرمان السلطاني بتعيين (محمد الصادق) باي تونس وقرأه (خير الدين باشا) في (البارود) يوم ١٨ نوفمبر عام ١٨٧١ في حفلة حافلة فاذا سلمنا بأن البلاد التونسية كانت مستقلة تمام الاستقلال قبل عام ١٨٦٤ وعام ١٨٧١ فلا يمكن لاحد ما أن يعتبرها مستقلة من الدولة العلية بعد ارتباطها بها هذا الارتباط القاضي بصدور فرمان شاهاني لتولية الباى عند موت سلفه . وكيف يستطيع سواس أوروبا أن ينكروا تابعة تونس للدولة العلية وقد رأينا الدول الأوروبية تضع حمايتها على بعض بلاد افريقية بمجرد عقد معاهدة حية بين أمراء هذه البلاد وبينها ؟

وقد طلبت الدولة العلية من الدول الاوروبية أن تتدخل في الامر وتفصل الخلاف الواقع بينها وبين فرنسا ولكن سياسة الدول كانت قيادتها بأيدي البرنس (بسمارك) وكانت الروسية مائلة لفرنسا وعاملة على التقرب منها . فلم تجد الدولة العلية نصيراً ينصرها وينصر الحق ولما أرادت أن ترسل سفنها الى تونس هددتها فرنسا باعلان الحرب عليها اذا أرسلتها . ومن البديهي أنه كان يصعب على الدولة العلية بعد حربها مع روسيا أن تحارب فرنسا وتفتح باباً جديداً لتدخل الدول في شؤونها والاضرار بمصالحها . فلم تستطع لهذا السبب أن تتيح على عمل فرنسا في تونس احتجاجاً فعلياً بل كان كل ما في استطاعتها أن تحتج احتجاجاً قولياً ولما رأت فرنسا أن عملها في تونس لا يلقى معارضة من دول أوروبا أرسلت حملتها على البلاد التونسية وكانت مؤلفة من ٢٦٠٠٠ جندي . وقد قهرت قبائل الحدود بعد مجهودات عظيمة وتوصلت الى عقد معاهدة مع باي تونس هي في الحقيقة اعلان حماية فرنسا على البلاد التونسية وقد عرضت على مجلس النواب الفرنسي في ١٩ مايو عام ١٨٨١ صورة هذه المعاهدة التي أمضاها الجنرال (بريار) باسم فرنسا مع باي تونس في (البارديو) بتاريخ ١٢ مايو عام ١٨٨١ وهي تشمل : أولاً على احتلال فرنسا للمواقع التي تراها ضرورية لها في البلاد التونسية . ثانياً على تعهد فرنسا لباي تونس بحمايته وحماية عائلته ودفع كل خطر عنه وعنها . ثالثاً على تعهد فرنسا بضمان تنفيذ المعاهدات المعقودة بين تونس وبين الدول الاوروبية . رابعاً على تعيين وزير فرنسا في تونس

يقوم بتنفيذ هذه المعاهدة ويكون الوساطة بين فرنسا وبين الولاية التونسية . خامسا على جعل الرعايا التونسيين في الخارج تحت سلطة وحماية سفراء فرنسا وقناصلها وعلى تعهد تونس بعدم عقد معاهدة مامع دولة من الدول قبل عرضها على فرنسا والاتفاق معها عليها . وتتضمن المعاهدة غير ذلك بعض شروط بشأن تنظيم مالية تونس وبشأن الديون التونسية وبخصوص عدم وصول الاسلحة والذخائر الى القبائل المعادية لفرنسا .

وقد وافق مجلس النواب الفرنسي بالاجماع على هذه المعاهدة عند عرضها عليه . ولما علمت بها الدول رسميا هنأت المانيا والنمسا واسبانيا الحكومة الفرنسية على نجاحها . أما الباب العالي فقد احتج على عمل فرنسا باسم حقوقه الشرعية وترك للتاريخ الحكم على معاملة أوروبا للدولة العلية واعتدائها عليها

وقد أحدثت معاهدة فرنسا مع تونس في ايطاليا كدرا شديدا وسخطا على فرنسا وحولت انظار ايطاليانحو النمسا و المانيا . واشتدت العداوة بين فرنسا وايطاليا الى حد أن الفرنسيين والايطاليين صاروا يتشاحنون في كل بلد من بلاد فرنسا . ففي ١٤ يوليو سنة ١٨٨١ يوم عيد الجمهورية الفرنسية حصلت معركة كبيرة في مرسيليا بين الفرنسيين والايطاليين مات فيها ثلاثة من الفرنسيين وايطالى واحد

وقد أظهرت الجرائد الالمانية عندئذ ارتياحها للعداوة الناشئة بين

إيطاليا وفرنسا وصارت الجرائد الإيطالية تطعن على فرنسا أقبح الطعن وتسبها أخش السباب وتمدح ألمانيا وتطريء في المدح تشفيا من فرنسا وانتقاما منها، وفي شهر يونيو من عام ١٨٨١ نفسه تقابل المسيو { كيرولي } رئيس الوزارة الإيطالية وقتئذ مع البرنس { بسمارك } في مدينة { كيسينجن } وطالت المحادثة بينهما واعتبرت هذه المقابلة في كل دوائر أوروبا السياسية مبدأ لانضمام إيطاليا لتحالف الألمانى النمساوي أى نجاحا لسياسة { بسمارك }

أما فرنسا فقد استمرت على خطتها في البلاد التونسية واحتلت في ١٠ أكتوبر عام ١٨٨١ مدينة { تونس } نفسها وأرسلت جيشا جرارا لاحتلال مدينة { القيروان } . ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان أن رجلا فرنساويا دخل في دين الاسلام وسمى نفسه { سيد احمد الهادى } واجتهد في تحصيل الشريعة الفراء حتى وصل الى درجة عالية فيها وعين اماما لمسجد كبير في القيروان . فلما اقتربت الجنود الفرنسية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها وجاءه يسألونه ان يستشيرهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه فدخل الضريح وخرج مهولا لهم بما سينا لهم من المصائب وقال لهم بان الشيخ ينصحكم بالتسليم لان وقوع البلاء صار محتما . فاتبع القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن مدينة { القيروان } أقل دفاع بل دخلها الفرنسيون آمنين في ٢٦ أكتوبر عام ١٨٨١ . وهكذا سقطت المدينة في أيدي فرنسا بحيلة دخيل من الدخلاء وما سقطت بلاد اسلامية في أيدي دولة أوروبية الا وكان للدخلاء

يد في سقوطها

وبذلك لحقت البلاد التونسية بالجزائر ووقعت في قبضة فرنسا
وتمت لفرنسا الكلمة فيهما وانتهت النتيجة الاخيرة للحرب المشؤومة
بين روسيا وبين الدولة العلية

﴿ الازمة الخامسة ﴾

(المسئلة المصرية)

ان سبب مصائب مصر هي ديونها التي اقترضها { اسماعيل باشا }
 الخديو السابق . فانها العلة الوحيدة لتداخل الاجانب في شؤون مصر
 ولتداخل انكلترا على الخصوص في امورها . وقد اشتهر بين الناس كافة
 ان قاعدة سياسة التداخل الاجنبي في شؤون أمة من الامم والعمل على
 استعبادها هي { فرق تحكم } فان الشقاق والتفريق بين أفراد أمة واحدة
 يجران حتما الى اضمحلال هذه الامة وسقوطها في قبضة أعدائها . وقد
 أوجد سواس هذا العصر قاعدة جديدة لاستعباد الامم وهي { أدن
 تستعبد } فان اعتماد السياسة الاوروبية في استيلائها على البلاد الافريقية
 والاسيوية انما هو على إقراض أمرائها . فتي أرادت دولة أن تستعبد أمة
 وتستولي على بلادها سلطت على أميرها من يحسن له المدينة وزخرفها
 وتغير حاله بأحسن منها فاذا كان الامير ضعيف الرأي قصير النظر في
 العواقب أو كان ذا أهواء شريرة أصغى الي هذه الاقوال المزخرفة
 واستدان وأثقل عاتق أمتة وبلادها بالديون التي تجر وراءها التداخل الاجنبي
 والاستعباد

وقد أخذ { اسماعيل باشا } بزخارف أقوال بعض الاوروبيين
 وتعلبت عليه أمياله الطبيعية وأهواؤه فاستدان من أوروبا الديون الطائلة
 وفتح أبواب مصر للأوروبيين وجر بذلك على ملك مصر وعلى بلاد
 مصر العريضة المصائب الكبار والبلايا الجسام وانتهى به الامر أن خلعه

من كرسي ملكه أصحاب الديون أنفسهم أى أولئك الذين كان يظنهم
أصدقاء له وكان يفضلهم على بنى وطنه ويعمل بأرائهم ونصائحهم . وهى
عبرة تاريخية يجب على أمراء الشرق كافة ان يعتبروا بها . فان قوة الممالك
فى قوة الأمم وسعادتها الحقيقية لافى الزخرف الكاذب والطلاء الباطل
. وكلما كانت الامة قليلة الديون كان استقلالها قويا متينا وكانت كلمتها
عالية عزيزة وبالعكس كلما ازدادت ديون أمة ازدادت مصائبها وتسلط
الاجنبى عليها وهددت فى استقلالها وفى حياتها نفسها

وقد تغيرت أمور مصر وتغيرت سياسة الدول نحوها من عام ١٨٧٥
بشراء انكلترا من (اسماعيل باشا) لأسهم مصر فى قنال السويس حيث
ازداد نفوذ هذه الدولة فى بلادنا العزيزة وصارت منافسة لفرنسا أشد
المنافسة . وقد توصلت انكلترا بمصارها من النفوذ فى الستين الاخيرة من
حكم (اسماعيل باشا) الى تعيين جملة موظفين من الانكليز فى ادارات
مصر وفى السودان المصرى وجعلتهم ذريعتها فى بذر بذور السوء والقتل فى
فى أرض مصر . وتوصلت كذلك الى عتد معاهدة منع الرقيق مع
الحكومة المصرية عام ١٨٧٧ وهى المعاهدة التى منحت انكلترا فى المادة
السادسة منها « حق جولان الطرادات الانكليزية فى مياه البحر الاحمر
وحق البحث فى السفن المصرية الحاملة للرق أو المشتبه فى أنها حاملة له
والاستيلاء عليها لتسليمها فيما بعد للحكومة المصرية وحق الاستيلاء
على الرقيق الذى تعثر عليه احدى الطرادات الانكليزية فى سفينة مصرية
وتأخذ الوسائل اللازمة لتحريره » . أى منح الانكليز سيطرة عالية على ما هو

من شؤون مصر وحقوقها ومنحهم حق التداخل في أحوال مصر
وبازدياد نفوذ انكثرا في مصر ازدادت المشا كل في بلادنا وتمهدت
لهاسب احتلالها . فقد قررت انشاء المراقبة على المالية المصرية بالاشتراك
مع فرنسا وكانت أول عاملة على خلع (اسماعيل باشا) . وبعد تولية المغفور
له (توفيق باشا) نشرت سماسرتها في كل أنحاء مصر وشجعت الحزب
الوطني من جهة وفرقت بينه وبين مولاه و فريق آخر من المصريين
من جهة أخرى حتى نزل القضاء باحتلالها لمصر وتمت خديعتها لاء مصر بين
واللدولة العلية ولاأوروبا كلها

ومن سوء حظ مصر ان سماسرة الانكليز نجحوا في التفريق بين
المصريين وبعضهم فاستحكم الشقاق بين الجراكسة والمصريين في
الجيش وبعبارة أخرى بين المصريين وبعضهم لانه لا يمكن اعتبار الجراكسة
الذين قضوا في مصر طول حياتهم واستوطنوا البلاد وتناسلوا فيها اجانب
عنها بل هم فيها مصريون لافرق بينهم وبين سلالة انقراغنة القدماء
. ولو كان زال من بين الجراكسة والمصريين سوء التفاهم وعرفوا
انهم كلهم مصريون تجمعهم جامعة الوطن العزيز وأن لبلادهم عدوا
طامحا الى الاستيلاء عليها من عهد بعيد لكانت نجت مصر من الخطر
الجسيم الذي هي واقعة فيه الآن ولكانت تمت لمصر السعادة والرفاهية والحرية
، ولكن العداوة استحكمت بين بنيتها ففشل أمرهم وذهبت ريمهم
وتداخل الاجنبي بينهم وتساقطت على مصر المصائب العديدة . وهذا شأن كل
أمة يقع الشقاق والتفريق بين أفرادها

وقد ابتدأت الحركة العرابية باتفاق جملة ضباط مصريين على رفع عريضة شكوى للمغفور له (توفيق باشا) ضد (عثمان باشا رفاقي) ناظر الحربية بسبب تعصبه ضد المصريين وتحزبه للجزراكسة وتكليف أحمد عرابي بك وعلى فهمي بك وعبد العال حلمي بك بتقديمها للخديوى . وما تقدمت هذه العريضة حتى اهتم بالامر أصحاب الدسائس الاجنبية العاملون على ضياع مصر وبدلوا جهدهم في توسيع الخرق وجعل الشقاق عظيما فنصحوا برفت عرابي وعلى فهمي وعبد العال حلمي . وبالفعل استدعى (عثمان باشا رفاقي) هؤلاء الضباط الى نظارة الحربية وأعلنهم أمام مجلس مكوّن من الذوات بانهم صرفوتون من وظائفهم وان ثلاثة من الضباط الجزراكسة عينوا في مناصبهم وأمر بسجنهم فقبضت عليهم الجنود وسجنتهم وأمر كذلك بارسال كل الضباط المصريين المعروفين بالميل لعرابي وزميليه الى سجن القلعة . فهاجت الضباط والعساكر المصرية عند ما علمت بما جرى لرؤسائهم وهجموا على سجن نظارة الحربية وأخرجوهم منه وابتدأ بهذه الحركة الاضطراب في البلاد وقلقت الافكار كما كان يتغنيه أصحاب الغايات وأرباب الدسائس الاجنبية .

وبعد ان خرج عرابي وزميلاه من السجن أرسل (عرابي) الى قناصل الدول الاوروبية في مصر كتابا بتفصيل ماجري واستلفت أنظارهم الى هذه الامور وذهب الى عابدين وقابل سمو الخديو فصرح له بالمرحوم (توفيق باشا) بانه عفا عنه وعن كل الضباط وأخبره بأنه عين (محمود باشا سامى البارودى) ناظرا للجهادية بدلا من { عثمان باشا رفاقي } . وكان

ذلك في يوم ٢ فبراير عام ١٨٨١ . وقد أفهم السير { ماليت } قنصل انكلترا الجنرال { عرابي } وأنصاره بأنه هو الذي نصح الخديو بالنعو عنهم وباستبدال عثمان باشا رفي . وقصد بذلك استمالتهم اليه وتعريضهم بأنه نصير لهم

وفي يوم ٤ فبراير من السنة نفسها أمر الخديوي عرابي وعلى فهمي بأن يذهبا الى قنصل فرنسا وانكلترا ويؤكداهما بأنهما يتكفلان بالراحة العمومية ويضمنان المحافظة على أرواح وأموال الاثروبيين فتوجها وعملا بأمر العزيز

ولو كان الأمر وقف عند هذا الحد لكانت انتهت المسئلة وبقى السلام سائدا في ربوع مصر ولكن أصحاب الدسائس كانوا يبذلون الجهد الجهد في بلوغ غاياتهم السيئة فأوعزوا الى بعض خدمة الخديو الخصوصيين بتسيح الجنود ضد ضباطهم وباعرائهم على القتل بهم . وقد وجدت هذه الايعازات السيئة آذانا صاغية عند بعض ضعفاء العقول وذهب { فرج بك الزيني } ليلا الى أحد الأليات وحرص العساكر على قتل ضباطهم فلم توافقه العساكر وقبضت عليه وفي اليوم الثاني أرسل لئنظارة الحربية وجرى التحقيق بشأنه ، وقد ظهر من التحقيق أنه أمر بتجريض الجنود على قتل ضباطهم من أحد خدمة الخديو ويقول (عرابي باشا) في تقريره ان خادم الخديو أمر بذلك من مولاه . وجرأت جملة مور من هذا القبيل حكم على الذين أتوا بها بالابعاد الى السودان . ولما كان لبعض الاشخاص الذين أبعدهوا الى السودان علاقات ببعض خدمة الخديو فقد

أحدث ابعادهم غضباً شديداً عند حاشية العزيز واستعمل ذوو النفوذ في المعية نفوذهم في اقناع الخديو بضرورة عزل محمود باشا سامي من نظارة الحربية فعمل العزيز برأيهم وطلب من محمود باشا سامي الاستقالة فاستقال وعين مكانه { داود باشا } صهر العائلة الخديوية . وماتين حتى أصدر الاوامر بعدم اجتماع الضباط مع بعضهم والتشديد عليهم كل التشديد ، ويقول (عراي باشا) في تقريره انه وضع على بيته وعلى بيت عبد العال بك حلمي ارواما للفتك بهما

وقد أحدثت هذه الامور كلها تأثيراً سيئاً على نفوس الضباط فاتفقوا على عمل حركة أهلية عامة لتغيير دستور البلاد ونظامها واسقاط وزارة (رياض باشا) التي كانوا يتهمونها بمعارضتهم وبتقوية السلطة الاستبدادية في البلاد . وانضم اليهم الكثيرون من أعيان البلاد وفضلائها وفي ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ ذهبت الجنود المصرية في الساعة الثالثة بعد الظهر تحت قيادة (عراي) الى ميدان عابدين وطلبت من الحضرة الخديوية اسقاط وزارة رياض باشا وانشاء مجلس نواب مصري وجعل عدد الجيش ١٨٠٠٠ جندي كما تسمح به فرمانات الشاهانية . واقتضت الصدفة وقتئذ ان قنصل فرنسا الجنرال والمراقب الفرنسي كانا غائبين عن مصر وكان المراقب الانكليزي المستر (كوكفيل) موجوداً في مصر مع المستر (كوكسون) الذي كان قائماً مقام السير { ماليت } قنصل انكلترا الجنرال . فنصح المستر كوكفيل والمستر كوكسون الخديو بقبول مطالب (عراي) وجنوده ، ولم يمض الا ساعتان

حتى قبل الحديو طلبات { عرابي } وأسقط وزارة (رياض باشا)
وأمر (شريف باشا) بتشكيل وزارة تحت رئاسته
وقد استفادت انكلترا في هذه الحادثة ازدياد نفوذها عند رجال
الحزب الوطني وعند المغفور له { توفيق باشا } وعند خدامه وأنصاره
فصار بذلك وكلاؤها في مصر محل ثقة الفريقين
وان السياسة التي اتبعتها انكلترا من أول الحوادث العرابية لآخرها
لسياسة كلها غش وخداع وكذب . أو كما يقول عنها السياسيون سياسة
كلها دهاء ومهارة . فانها أفلحت في تكبير الشقاق بين الجراكسة
والمصريين أي بين افراد أمة واحدة وأفلحت في القاء بذور النفور
والعداوة بين الحديو و (عرابي) إذ ظن عرابي وحزبه ان الحديو
يريد الفتك بهم وانه هو المحرض على قتلهم . وأفلحت في تفهيم المغفور
له (توفيق باشا) ان جلالة السلطان يريد خلعه ومحو حقوق العائلة الحديوية
في مصر وأفلحت كذلك في تفهيم رجال الدولة العلية ان (توفيق باشا)
طامح الي انتهاج خطة المغفور له { محمد علي باشا } في مسألة الشام ضد الدولة
. وبذلك صارت انكلترا مسموعة الكلمة عند عزيز مصر وعند رجال الحزب
الوطني وعند رجال الدولة العلية . وصارت الحوادث تجري حسب مشيئتها
وكما تقضيه آمالها وأمانها

وما تظاهر (عرابي) بمظاهرة الحربية في ٩ ستمبر عام ١٨٨١ حتى
شجع سواس بريطانيا الباب العالي على الانتقام من { توفيق باشا } وانتهاز
هذه الفرصة لنوال سلطة فعلية على مصر بمساعدة الحزب الوطني وتمضيده

. ولم تكتف وقتئذ الوزارة البريطانية بتحرير الباب العالي على تشجيع
 { عرابي } بواسطة سفيرها في الاستانة بل أوحى الي الجرائد الانكليزية
 أن تساعد في سياستها فنادت التيمس وزميلاتها وقتئذ بأن الطريقة
 الوحيدة لايقاف تيار القلاقل والاضطرابات في مصر هي تداخل الدولة
 العلية واحتلال الجنود التركية للديار المصرية

وقد اتخذت الدولة العلية لسواس بريطانيا وحسبتهم صادقين في أقوالهم
 مصافين لها في مسألة مصر وظنت انه يمكنها الاعتماد عليهم وقررت
 حسب إشارتهم ارسال وفد لمصر لدراسة الاحوال فيها ورفع تقرير لجلالة
 السلطان. فخر لمصر وفد مكون من علي باشا نظامي وأحمد أسعد أفندي
 وقدرى أفندي. وقبل وصول هذا الوفد الي مصر يومين صدرت
 الاوامر بسفر ألابي (عرابي) الي التل الكبير وألابي {عبد العال بك} الي
 ابي دمياط لكي لا يجتمع عرابي وعبد العال باعضاء الوفد ولكنهما لم
 يسافرا وتقابل مع الوفد عند حضوره. وقد حقق المغفور له (توفيق
 باشا) لاعضاء الوفد بانه متفق مع (عرابي) وانه راض عن جيشه. ولما
 علمت فرنسا وانكلترا بأن الدولة العلية أرسلت وفدا لمصر أرسلتا أسطوايهما
 الي ميناء الاسكندرية. وقد غادر الوفد العثماني مصر وعاد للاستانة في ١٩
 اكتوبر عام ١٨٨١ وبعد سفره بارحت سفن فرنسا وانكلترا نغر
 الاسكندرية. وقد أشيع وقتئذ في سائر أنحاء العالم ان الوفد العثماني
 كان مكلفا بتشجيع (عرابي) وحزبه واعتقدت الامة المصرية كلها بهذه
 الاشاعة وصارت تعتبر (عرابي) {عرابي} النائب الحقيقي عن جلالة السلطان في

مصر والمدافع عن حقوقه فيها

وقد جرت انتخابات أعضاء مجلس النواب المصري في ١٠ نوفمبر عام ١٨٨١ وأظهر (شريف باشا) ارتياحه من النتيجة التي تمت عليها الانتخابات . واجتمع المجلس لأول مرة في ٢٦ ديسمبر من السنة نفسها وفي ٣١ يناير عام ١٨٨٢ نشرت جريدة (التيمس) الانكليزية مبادئ الحزب الوطني في مصر وهي تتحصر في ستة أمور : أولا الاعتراف بسيادة الدولة العلية مع المحافظة على الامتيازات الممنوحة لمصر . ثانيا الطاعة والاخلاص لسمو الخديو مادام محترما لو عودته التي فاه بهاني سبتمبر عام ١٨٨١ . ثالثا الاعتراف بالخدم الجليلة التي أدتها فرنسا وانكترامصر وبان المراقبة الثنائية موافقة لحالة البلاد المالية ولازمة لضمانة حقوق الدائنين . رابعا المحافظة على الامن في سائر أنحاء مصر وضمانة أرواح وأموال الاهالي والنزلاء . خامسا اعلان مبادئ الحرية الدينية والسياسية في بلاد مصر واعتبار سائر المصريين سواء أمام القانون وتشكيل مجلس نواب مصري وتحديد حقوق كل سلطة . سادسا ترقية شأن البلاد بنشر التعليم في كل أرجائها

وقد أعجبت التيمس بمبادئ الحزب الوطني وأمياله وأظهرت تخوفها من تداخل فرنسا في مصر تداخلا عسكريا وأبانت ان تداخل فرنسا أو أية دولة أوروبية في مصر تداخلا عسكريا يجر على مصر وعلى مصالح أوروبا فيها أكبر الاخطار . ولكن التيمس نسيت رأيها هذا بالمرّة ولم تتذكر عند احتلال الجنود الانكليزية لمصر بل صفقت لهذا

الاحتلال طربا واستحسانا

أما الأمة المصرية فقد أظهرت من مبدأ الحوادث العرابية ميلها لعرابي وموافقتها له على عمله وشجعت به بكل أنواع التشجيع . ولم يكن ذلك عن كراهة للمغفور له (توفيق باشا) الذي لم يسيء إلى الاهالي قط بل عن رغبة الأمة في نوال حريتها وتحقيق سعادتها واستقامة أحوالها . وقد أوجد حكم (اسماعيل باشا) في نفوس المصريين كافة بغضا شديدا للحكم المطلق وكراهة لدودة للسلطة الاستبدادية وتشوق الكل إلى جعل حكومة مصر حكومة دستورية شوروية حتى قام (عرابي) وجماعته فانضمت إليهم أصوات الأمة واجتمعت حولهم المثات والالوف من أبنائها . ونظرا لكون الجنود كانوا في قبضة يمين « عرابي » فإن الفلاحين البسطاء أنفسهم كانوا يهللون ويكبرون عندما يذكرون اسم « عرابي » وكانوا ينتظرون من ذلك المصري البحت السعادة المرغوبة والرفاهية المأمولة

وهذه الحركة الوطنية التي لم يعهد لها مثيل من قبل في الأمة المصرية كانت تعود ولا محالة على مصر بالفوائد الجملة والتقدم السريع لو كانت وقعت في الامور في الحوادث العرابية عند حد محدود . ولكن الشقاق والطمع والجمل والدسائس الاجنبية أوقعت البلاد في حضيض الذل والهوان بعد ان كانت مشرفة على الخير والسعادة والحرية

وقد تعين { عرابي } وكيلا لوزارة الحربية في ٤ يناير عام ١٨٨٢ وازدادت بذلك سلطته في الجيش وقوى نفوذه واجتمع حوله من الاهالي

خلق كثيرون . وقد كثرت عندئذ الاشاعات بان الدولة العلية مساعدة لعرايى سرأ وانها تجتهد فى استمالة بعض الدول الاوروبية لتعضيدها على محو حقوق العائلة الخديوية وجعل مصر ولاية عثمانية كالشام وطرابلس واستبدل الناشرون لهذه الاشاعات على صحتها — وما كانوا الا سماسرة للانكليز — بان الدولة العلية أرسلت على نظامي باشا ورشيد بك الى برلين وفيينا فى مأمورية سرية . وادعوا أن هذه المأمورية انما هى السعى فى بلوغ تلك الغاية

ولا شك ان هذه الاشاعات كان من شأنها ان تزيد فى النفور والشقاق بين المغفور له (توفيق باشا) وبين جلالة السلطان الاعظم وكان الانكليز يستخدمونها عند الخديو ويحسمونها له لئيتعد عن الدولة العلية ويبقى دائماً تحت سلطتهم وآلة فى أيديهم

ولما رأت فرنسا ان نفوذ الحزب الوطنى يزداد كل يوم وان كل شىء فى مصر صار فى قبضة العسكرية خافت على مركز الخديو وأرسلت بالاتفاق مع انكلترا مذكرة لوكيلها فى مصر أمرته فيها كما أمرت انكلترا وكيلها أن يبلغ المغفور له (توفيق باشا) ان فرنسا وانكلترا متفقتان على مساعدته كل المساعدة ضد المصاعب القائمة فى وجهه وانهما تعتبران سلامة مصر وسلامة مصالح أوروبا بها فى بقاءه على كرسى الخديوية

فكانت هذه المذكرة بمثابة اعلان للعالم كله بان فرنسا وانكلترا متفقتان كل الاتفاق فى المسئلة المصرية وانهما تعملان بالاشتراك . ولو

كانت فرنسا اتبعت هذه السياسة الى النهاية لكانت سلمت مصر من مخالب انكلترا ولسكانت بقيت المصالح الفرنسية في مأمن من الخطر . وقد أظهرت الجرائد الانكليزية سخطها على حكومة بلادها لاتفاقها مع فرنسا واشترآكها معها في إرسال هذه المذكرة . وبالجملة كانت الصحف الانكليزية تلح كل يوم على وزارة انكلترا بالانفصال عن فرنسا والعمل بالانفراد أما الباب العالي فقد احتج على ارسال هذه المذكرة بكتاب بعث به لسفرائه في الخارج بتاريخ ١٣ يناير عام ١٨٨٢ مظهر فيه ان للدولة العلية وحدها حق التداخل في مصر بصفتها صاحبة السيادة عليها . فضلا عن انه لم يحصل بمصر أقل أمر يحمل فرنسا وانكلترا على ارسال هذه المذكرة

ومن سوء حظ مصر أن وزارة « غمبتا » سقطت في فرنسا وقتئذ واستبدلت بوزارة « فريسينيه » . وكانت سياسة « غمبتا » في المسئلة المصرية واضحة صريحة ترمي الى السير مع انكلترا في كل خطواتها ومشاركتها في كل عمل وعدم تركها تعمل شيأ ما بانفرادها . ولو كان « غمبتا » بقي رئيسا لوزارة فرنسا لكانت اشتركت مع انكلترا في احتلالها مصر وكانتا خرجتا معاً أو لكانت اجتنبت فرنسا وانكلترا ضرب الاسكندرية واحتلال مصر . وعلى أى حال كانت نجت بلادنا العزيزة من الوقوع في أيدي الانكليز . ولكن بلية الجمهورية الفرنسية ان وزارتها قصيرة الاجل وقد سن مجلس النواب المصري بعض القوانين ولكنه لم يتفق مع وزارة « شريف باشا » على مسئلة المناقشة في الميزانية المصرية . فشريف باشا كان يرى أنه يسوء فرنسا وانكلترا ان مجلس نواب مصر يتناقش في كل فروع

الميزانية حتى فيما يختص بالديون ويغير ويبدل فيها كيف يشاء مع ان هاتين الدولتين عينتا لجنة مراقبة لتقرير الميزانية مع الحكومة المصرية ومراقبة سيرها . ومجلس النواب المصري كان يرى انه من اول حقوقه وواجباته دراسة الميزانية والمناقشة في موضوعاتها موضوعا موضوعا . وبذلك حصل الخلاف بين المجلس وبين الوزارة الشريفة واضطر (شريف باشا) للاستقالة هو وبقية النظار في يوم ٢ فبراير عام ١٨٨٢ . وقد تعين « محمود باشا سامي البارودي » رئيسا للنظار بدلا منه وتعين « عرابي » وزيرا للحربية وأعطى لقب باشا هو وبعض زملائه من رجال العسكرية . واتفق محمود باشا سامي مع أعضاء مجلس النواب بشأن الميزانية فقرر معهم انتخاب لجنة منهم يكون عددها مسايا لعدد النظار تدرس مع النظار الميزانية وأن يكون تقرير الميزانية بأجماع أصوات أعضاء اللجنة والنظار معاً أو بالأغلبية . وانه اذا وقع خلاف بين النظار وبين أعضاء اللجنة أو تساوت الأصوات يعرض الامر على المجلس للفصل فيه وقد أغضب سقوط وزارة (شريف باشا) سائر الدائنين واعتبرت فرنسا وانكلترا تمسك مجلس النواب المصري بدراسة الميزانية كلها وتقريرها حسب مرامه اعتداء على حقوق المراقبة الثانية أي اعتداء على حقوق الدولتين في مصر . وقد استعفى وقتئذ المراقبان الفرنسيان والانكليزي . وكان ولا محالة من الحكمة والصواب ان الحزب الوطني في مصر يقف عند حد محدود في هذه الاوقات المضطربة ويرضى بالنتائج السامية التي نالها . وكان من نهاية السداد في الرأي

والتبصر في العواقب ان النواب المصريين يرضون بدراسة الميزانية الا
ما يختص بالديون فيها . ولكن قضي على رجال الحزب الوطني في مصر
يومئذ أن يتمسكوا بأمر أضاع عليهم التمسك به أتعابهم وجرّ على الوطن
المصري أشد البلاء . على أن نوال الحرية والعدالة والمساواة في أمة
لا يكون دفعة واحدة ولا يأتي في يوم واحد . وانه كان يكفي الحزب
الوطني أن ينال تشكيل مجلس نواب مصرى ومنح المصريين الحقوق
السياسية والمالية التي لسائر الافراد في الامم المتمدنة . فانها خير نتيجة
يحق لكل مصرى محب لبلاده أن يفتخر بها

ومما زاد في تخوف الاوروبيين وهلعهم هو تعيين { عرابى } وزيراً
للحرية فانهم كانوا يعتبرونه المحرض لمجلس النواب المصرى علي طلب
المناقشة في كل فروع الميزانية والمسبب لسقوط وزارة { شريف باشا }
وانعامل على الاضرار بمصالح أوروبا وبمصالح رعاياها باستلام زمام القوة
والسلطة في مصر

وقد قام المسيو { دلافوس } في مجلس النواب الفرنساوي في يوم
٢٣ فبراير عام ١٨٨٢ وسأل المسيو (فريسينيه) رئيس الوزارة ووزير
الخارجية عن الخطة السياسية التي تنوى فرنسا اتباعها بعد تغيير الوزارة
المصرية وحدوث هذا الانقلاب العظيم . فأجابه المسيو (فريسينيه) بان
فرنسا وانكائرا تتخبران مع أوروبا في الامر وتعملان لاشراك الدول
معهما في مسألة مصر

ولما كانت الدسائس الاجنبية عاملة على تفريق كلمة المصريين

وتقويض أركان الاستقلال المصري أو عن المفسدون وسماسة السوء الي جماعة من الجراكسة بالفتك بعراي وأنصاره والتخلص منهم . ولكن أحدهؤلاء الجراكسة لم يقبل الاشتراك في هذه الدسيسة وأخبر (طلبه باشا) بأمرها فكتب هذا الاخير الي نظارة الجهادية والى رئاسة النظار والى سمو الخديو بتفصيل المسئلة . وعندئذ تقرر محاكمة الجراكسة المتهمين بتدبير المسكيدة . وقد حوكموا وصدر الحكم عليهم بالابعاد الي السودان فلما علم المرحوم « توفيق باشا » بالحكم أرسل تلغرافيا الي الحضرة السلطانية يعرض عليها الامر ويسألها عما يجب عليه عمله . وقبل وصول الرد السلطاني تداخل قنصل فرنسا الجزائر وقنصل انكلترا الجزائر وطلبا من الجناب الخديوى تعديل الحكم بالابعاد الي الشام . فعمل العزيز برأيهما وسافر الجراكسة الي الشام . وقد نشأ من ذلك نفور بين العزيز وبين وزارته وكتب قنصلا فرنسا وانكلترا الي دولتيهما بان « محمود باشا سامي » هدد حياة الخديو وحياة الاوربيين في حضرة الخديو نفسه فاتفقت الدولتان على ارسال أسطولييهما الي مياه الاسكندرية . وبعثتا في ١٦ مايو عام ١٨٨٢ مذكرة الي الباب العالي أعلنتاه فيها باتفاقهما على ارسال أسطولييهما الي ثغر الاسكندرية وسألته عدم إرسال الاسطول التركي وعدم الاشتراك معهما . وقد أجاب الباب العالي على هذه المذكرة بتاريخ ١٧ مايو بان الدولة العلية هي وحدها دون غيرها صاحبة السيادة على مصر وانه ليس لاحد غيرها حق التداخل في شؤون هذه البلاد وأرسل في الوقت نفسه تلغرافا الي وزراء مصر أمرهم فيه بعدم مخالفة

أوامر الجناب الخديوي

وبعد ان جاء الاسطولان الفرنسيان والانكليزي الي مياه الاسكندرية رفع وكيلا دولتي فرنسا وانكلترا في ٢٥ مايو عام ١٨٨٢ كتاباً الي سمو الخديو ذكر له فيه أن { سلطان باشا } رئيس مجلس النواب المصري رأي ان وطنيته تقضي عليه بأن يعرض على (محمود باشا ساهي) رئيس الوزارة المصرية الاقتراحات الآتية التي تضمن راحة مصر وسلامتها وهي : أولاً إبعاد { عرابي باشا } عن مصر ابعاداً مؤقتاً مع بقاءه في رتبته العسكرية ونقده مرتبه الشهرى . ثانياً إبعاد (على فهمي باشا) و(عبدالعال حلمي باشا) الي داخل البلاد المصرية . ثالثاً استعفاء وزارة محمود باشا ساهي . وأبأن وكيلا دولتي فرنسا وانكلترا سمو العزير أنهما يعضدان رأي (سلطان باشا) كل التعضيد ويطلبان من الجناب الخديوي تنفيذ اقتراحاته الثلاثة

وقد دل هذا الكتاب على وجود اختلاف في الرأي بين الحزب العسكري وبين بعض أعضاء مجلس النواب الذين كانوا يعملون برأي رئيسهم. أما المرحوم (توفيق باشا) فقد قبل كتاب وكيلي فرنسا وانكلترا ورأي رأيهما خلافاً لوزرائه . وقد اجتمع النظار عندئذ ورأوا تقديم استعفاتهم الي الخديو بعله ان قبول مطالب وكيلي فرنسا وانكلترا يعتبر اجحافاً بحق جلاله السلطان في مصر وتداخلاً أجنبياً في شؤون مصر الداخلية . كأن أعضاء الوزارة المصرية كانوا مجهلون يومئذ ان فرنسا وانكلترا تداخلتا من قبل في شؤون مصر الداخلية وان هذه ليست

بأول مرة تداخلت فيها الدولتان

ولاريب أن كل مصري يخلص الحب لبلاده ويتألم من نتائج الحوادث
العرايية الوحيدة يرى انه كان يجب على (عراي باشا) أن يتعد عن
مصر ويعمل برأي (سلطان باشا) لتطمئن الخواطر وتزول أسباب التداخل
الاجنبي . نعم ان (عراي باشا) كان يحزنه كثيرا أن يترك مصر بهذه الحالة
ويترك خصومه يعتبرون خروجه من مصر هزيمة معنوية له ولحزبه ولكن
رجلا مثله قام بدعوة أمة للحرية والاستقلال الداخلي وتولى رئاسة الحزب
الوطني فيها كان يجب عليه ان يقلب نظره في التاريخ ويتذكر أن انكلترا
شرعت في أوائل القرن الحاضر في الاستيلاء على مصر وانها تمني نفسها
دائما بهذه الامنية العزيزة وأن اضطرابات مصر وقلقلها لا تفيد الا هذه
الدولة الماهرة في السياسة ذات الدسائس القوية والمكائد العظيمة وكان
يتحتم عليه (أي على عراي) أن يخرج من بلاده ويدفع عنها الخطر
وقد أجاب (عراي باشا) على اعتراض القائمين بضرورة خروجه من
مصر وقتئذ بأن خروجه يعتبر من جهة تنفيذاً لاوامر فرنسا وانكلترا في
مصر وتبريراً لتداخل هاتين الدولتين في أحوال البلاد الداخلية ويجعل من
جهة أخرى أنصاره تحت رحمة أعدائهم وعلى خطر عظيم . ولكن هذا
الجواب ضعيف جدا فان فرنسا وانكلترا تداخلتا في أحوال مصر الداخلية
في عهد « اسماعيل باشا » وهما اللتان عزلتاه باستمالة الحضرة السلطانية
اليهما . ومن مبدئ الحوادث العرايية تداخلت الدولتان . و (عراي باشا) نفسه
كان يعتقد ان السير « ماليت » فتمصل جنرال انكلترا هو أول من نصح

الخدوي في يوم ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ - أي يوم مظاهرة الجنود المصرية تحت رئاسة «عراي» في ميدان عابدين - بعزل الوزارة الرياضية وقبول طلبات الجيش . أما من حيث الخطر الذي كان يخافه {عراي باشا} على انصاره بعد خروجه من مصر فهو خطر وهمي . لأن {عراي باشا} كان يعلم جيداً أن في أنصاره رجالاً كثيرين يغارون مثله على حقوق بلادهم ويطالبون بحريتها وتسليم زمام أمورها لابنائها . فلو كان {عراي باشا} خرج من وطنه واتبع رأي «سلطان باشا» لكانت هددت الاحوال وبطلت دسائس أعداء مصر وفشلت مكائدهم ولكان بقي شريعاً جليلاً في أعين العالمين غير متحمل للمسئولية الكبرى التي يتحملها اليوم أمام الوطن وأمام التاريخ بالرغم عن حسن نيته وصدق اخلاصه لوطنه

وقد اجتهدت الوزارة قبل استعفائها في عقد مجلس النواب ولكن الخديو لم يقبل اصدار الامر بعقده . بل قبل استعفاء الوزارة واشتغل بتشكيل وزارة جديدة . ولما كانت السلطة العسكرية في قبضة يمين «عراي» رأى (سلطان باشا) وأصدقاؤه من أعضاء مجلس النواب أنه اذا لم يتعين «عراي» باشا» وزيراً للحربية كما كان اشتد النفور بينه وبين العزيز واتسع الخرق على الراقق فعرضوا على الجناب الخديوي إرجاعه في وظيفة ناظر الحربية . فقبل المغفور له (توفيق باشا) ذلك وعين (عراي باشا) وزيراً للجهادية للمرة الثانية

وعندئذ عرضت فرنسا على كافة الدول الأوروبية ان تسأل معها الباب العالي استدعاء عراي ورفقائه الي الاستانة للتشرف بمقابلة جلالة

السلطان وتلقى أوامره فاشتركت معها الدول في هذا الطلب ولكن انكثرا نصحت الباب العالي بعدم قبول طلب الدول وبارسال مندوب عثمانى لدراسة الاحوال في مصر . فاتبع الباب العالي نصيحة انكثرا وعمل بها

ولما كانت السياسة الانكليزية في الحوادث العربية سياسة ذات وجهين فقد سحب السير (ماليت) قنصل انكثرا الجنرال بمصر كتابه الذي أرسله لسمير الحديوي في ٢٥ مايو بالاشتراك مع قنصل فرنسا وأرضي بذلك الحزب الوطني . وقد اعتبر هذا العمل مبدأ لانفصال انكثرا من فرنسا في المسئلة المصرية . وعند ما رأيت فرنسا ذلك عرضت على الدول الأوروبية عقد لجنة دولية بالاستانة للمداولة في مسئلة مصر فقبلت الدول واتفقت على احترام التعهدات الدولية المختصة بمصر واحترام فرماني عام ١٨٧٣ و ١٨٧٩ وقد دارت المناقشة في مجلس النواب الفرنسي في أول يونيه عام ١٨٨٢ على مسئلة مصر . وكان الرأي العام الفرنسي وقتئذ ميالا لعرايبي وحزبه متصراً للدعوة التي هم قائمون بها وكان يأبى تداخل فرنسا في مصر تداخلا عسكريا وقد وقف المسيو (دلافوس) على منبر الخطابة وسأل وزير خارجية فرنسا عن السياسة المتبعة لها فرنسا في الازمة المصرية فأجابته المسيو (فريسينيه) بان سياسته مقتضاها عدم تداخل فرنسا في مصر تداخلا عسكريا وعدم ترك الدولة العلية ترسل جنودها لمصر . وكانت حجته في معارضة مجيء الجنود التركية لمصر هي ان تداخل تركيا في مصر يرفع من شأن الدولة العلية في أعين المسلمين كافة ويكون سببا لقيام

التونسيين والجزائريين في وجه فرنسا . وقد ندد المسيو (دولافوس)
 بسياسة المسيو { فريسينيه } وقال ان مصلحة فرنسا تقضي عليها بالاتفاق
 مع تركيا والعمل على رفع شأنها ليسهل لها حكم المسلمين واستمالتهم
 نحوها وأثبت أن حل المشكلة المصرية لا يكون الا بتدخل الدولة العلية
 . وقد ألقى المسيو (غمبتا) في هذه الجلسة نفسها خطبة طويلة على المسئلة
 المصرية نصح فيها للوزارة الفرنسية بعدم ترك انكلترا تعمل بانفرادها
 وبأن تشترك معها في كل عمل وأنذرها بسوء العاقبة اذا بقيت على الحيادة
 وتركت مصر لانكلترا

وان السياسة التي اتبعها المسيو (فريسينيه) لسياسة خرقاء فانه أبا
 التداخل في مسئلة مصر تداخلا عسكريا وعارض الدولة العلية في ارسال جنودها
 لمصر . وكانت نتيجة هذه السياسة تداخل انكلترا وحدها وسقوط
 مصر في قبضتها !

وقد جرت مناقشة في مجلس النواب الانكليزي في يوم ١ يونيه
 نفسه على مسئلة مصر قال فيها المستر (غلادستون) بصفته رئيسا للوزارة
 الانكليزية ان (عمراي) يعمل على عزل توفيق باشا وتعيين البرنس «حليم»
 مكانه ولكن الدول متفقة على تعضيد الخديو الحالي أي توفيق باشا وانها
 اذا كانت لا تريد احتلال جنودها لمصر فذلك لانها تخاف استعمال نيران
 التعصب الديني في مصر وجعل حياة الخديو في خطر

وهو تصريح من الغرابة بمكان . وما كان يقصده به المستر { غلادستون }
 الا زيادة استمالة توفيق باشا الي الانكليز وثقتهم واعتماده عليهم

وما علم سواس بريطانيا بتصریحات المسیو «فریسیثیه» حتی ظاروا
 بهافرحا وتحققوا أن الجوا خلاصهم واهتموا بتدبیر الدسائس لاحتلال مصر
 وقد رأت انكلترا وقتئذ انها في حاجة لتمیز تركيا وتفهمها أن
 نواياها حسنة من جهتها في مسألة مصر فأوحت الي المغفور له { توفیق باشا }
 بان يطلب من الحضرة السلطانية ارسال مندوب عثمانی عال لمصر وعززت
 هذا الطلب في الاستانة . فأجابت الدولة طلب الخديو وحضر { درویش
 باشا } الي مصر حيث وصلها في ٧ يونيو عام ١٨٨٢ . وكان للانكليز
 مصلحتان في حضور { درویش باشا } لمصر : أولا تفهم رجال الدولة
 العلية بانهم يريدون تداخلها في مصر . ثانيا تشجيع الدولة بواسطة (درویش
 باشا) لرجال الحزب الوطني في مصر

وكان وكلاء انكلترا في مصر وصنائعها يعملون وقتئذ على احداث
 اضطراب عظيم . فكنت تري السير (ماليت) قنصل انكلترا الجنرال
 ينصح الانكليز المقيمين في مصر بالسفر لاوروبا «نجاة من خطر قريب
 الحدوث» . وكنت تري المستر (كوكسون) قنصل انكلترا بالاسكندرية
 يفرق بنفسه الاسلحة والذخائر على الانكليز القاطنين بالاسكندرية —
 وقد أرسلت اليه هذه الاسلحة والذخائر من الاسطول الانكليزي الواقف
 في ثغر الاسكندرية —

وقد وضع المستر «كوكسون» بالاشتراك مع الضابط الانكليزي
 «ماريوت» خطة للدفاع عن الاوربيين ضد المصريين وهي تقتضي تسليح
 ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ أوروبي بالاسكندرية . وقد أخبر المستر «كوكسون» بهذه

الخطّة زميله الفرنسي ساوى في ٧ يونيو عام ١٨٨٢ وأبلغها لوكلاء الدول في القاهرة غير أنهم لما علموا بها صرحوا جميعاً بأن هذا التسليح يحدث اضطراباً عظيماً في البلاد وهي أجاغاما وأمرنا قناصل دولهم في الاسكندرية بالامتناع عن كل عمل عدائى

ولكن المستر « كوكسون » لم يرضخ لقرار وكلاء الدول بالقاهرة وسلاح كل الماطيين وجميع اليونانيين وسائر سفلة الافرنج الموجودين بالاسكندرية مما يدل دلالة صريحة على ان المدير لمذبجة الاسكندرية والمسبب لها انما هي انكلترا دون سواها

وقد ابتدأت المذبجة بمشاجرة وقعت بين مالطي وحمار مصري وأطلقت فيها البنادق من الشبابيك على المصريين واستمرت طول يوم ١١ يونيو المشؤوم . ويحقق الكثيرون بأن الماطي الذي سبب المشاجرة والمذبجة هو شقيق خادم المستر (كوكسون) نفسه

وقد اجتذت فرنسا وانكلترا انزال عساكرهما الى البر وقت مذبجة الاسكندرية . وذلك بناء على رأى انكلترا التي كانت تخاف اشتراك فرنسا معها في احتلال مصر

ولما انتشر خبر مذبجة الاسكندرية في أوروبا ادعى كتاب الانكليز وسواسهم ان سبب هذه المذبجة هو التعصب الدينى عند المصريين . ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها هي أن الانكليز وصنائعهم هم أصل هذه المذبجة المشؤومة وهم الموجودون لها . وقد صرح المسيو (دى فريسينيه) رئيس الوزارة الفرنسية في ١٢ يونيو أمام مجلس الشيوخ « بأن عدة

أسلحة أعطيت للمالطين قبل المذبحة بأيام قلائل وان نسبة المذبحة للتعصب الديني خطأ محض ، وأثنى المسيو { دي فريسينيه } على خطة حكومة مصر في هذه الحادثة

ولما علمت الحكومة المصرية بمذبحة الاسكندرية أرسلت في الحال (يعقوب باشا سامي) وكيل الجهادية على رأس الأيمن من الياذة و بطاريتين من الطوبجية وأورطتين من السواري لحفظ الامن العام في الاسكندرية واعادة السكنية بين أهاليها

وقد أرادت الحكومة المصرية اجراء تحقيق بشأن مذبحة الاسكندرية و اظهار الحقيقة فيها وعرضت على فرنسا وانكلترا عقد لجنة مكونة من تسعة أعضاء مصريين ومن تسعة أوروبيين لاجراء هذا التحقيق فرفضت انكلترا ذلك بتاتا

وفي صديحة مذبحة الاسكندرية أرسلت ايطاليا والنمسا أسطوليهما الى مياه الاسكندرية للمحافظة على حياة رعاياهما. وفي ذلك اليوم نفسه وقف اللورد سالسبورى في مجلس اللوردات وعنف الحكومة الانكليزية على عدم احتلالها الاسكندرية وقت المذبحة فأجابه اللورد (غرانفيل) بان الوزارة الانكليزية تركت للاميرال { سيمور } الحرية التامة فهو يعمل متى رأى لزوم العمل. ولا شك أن كل سواس بريطانيا كانوا يعلمون ان السبب في عدم تداخل الاسطول الانكليزى وقت مذبحة الاسكندرية وعدم نزول العساكر الانكليزية الى البر هو تخوف الاميرال الانكليزى من اشتراك الاسطول الفرنسي معه في الامر

وقد سافر الجناب الخديوي و(درويش باشا) والقناصل الى الاسكندرية بعد المذبحة لتطمئن خواطر النزلاء وتم السكنينة المدينة. وتشكلت عندئذ الوزارة المصرية في ١٧ يونيو عام ١٨٨٢ تحت رئاسة (راغب باشا) وبقى فيها (عمر ابى باشا) وزيراً للحربية

ولما شعرت دول فرنسا والروسيا والمانيا والنمسا وايطاليا باشتداد الازمة ألحت على الدولة العلية بضرورة اشتراكها مع باقي اللجنة الدولية المزمع عقدها بالاستانة. ولكن سواس تركيا أصغوا للنصائح الانكاز ورفضوا الاشتراك مع الدول الاوربية معتلين ذلك بان اشتراك تركيا في اللجنة الدولية يعتبر اعترافاً منها بأن حقوقها في مصر تعادل حقوق الدول الاخرى. وقد اضطر مندوبو الدول وقسئذ أن يجتمعوا في الاستانة بدون اشتراك سواس تركيا معهم. وحضر هذه اللجنة رسمياً اللورد (دوفرين) بصفتة مندوباً عن الحكومة الانكليزية وأمضى مع بقية المندوبين في ٢٥ يونيو عام ١٨٨٢ القرار أو البروتوكول الآتي :

«تعهد الحكومات التي يمضي مندوبوها على هذا القرار بانها في كل اتفاق يقع بشأن تسوية المسئلة المصرية لا تبحث على امتلاك شيء من أراضى مصر ولا على الحصول على امتياز خاص بها (أى باحدى الحكومات دون سواها) ولا على نوال امتياز تجارى لرعاياها يكون غير ممكن لرعايا الحكومات الاخرى نواله»

وهذا التقرير يعتبر تعهداً من دول أوروبا بعدم المساس بحقوق مصر وبعدم الاعتماد عليها. وهو تعهد قبلته الحكومة الانكليزية على نفسها

كسائر الحكومات الاوروبية وأمضاه بالنيابة عنها اللورد {دوفرين} أي سياسي من أكبر سواها . ويمكننا أن نعتبر هذا التمهد - بقطع النظر عن تصريحات جلالة الملكة ووزراء انكلترا بشأن الجلاء - احتجاجا أديا من أوروبا ضد احتلال الانكليز لمصر ومن انكلترا نفسها ضد عملها في بلادنا .

وفي أثناء اشتغال اللجنة الدولية في الاستانة بالمداولة والاتفاق على حل الازمة المصرية كانت انكلترا تجهز سفنها وتستعد لتقوية أسطولها في الاسكندرية وكانت الجرائد الانكليزية تلح على حكومة بلادها باحتلال مصر وحدها . وقد أثرت كتابات الجرائد الانكليزية على الرأي العام الانكليزي وصار يطالب الحكومة البريطانية بالعمل وحدها حتى أن اللورد (كامبرلي) وزير المستعمرات وقف خطيبا وقال . ان انكلترا بالرغم عن ميلها للسلام واحترامها لآراء أوروبا لا يمكنها أن تترك سلامة قنال السويس للصدفة أو ان تهمل الدفاع عن مصالحها في الشرق . وعندئذ أذر الاميرال (سيمور) الحكومة المصرية بانها اذا عملت أي عمل عدائي ضد أسطوله ضرب الاسكندرية ودمرها .

وقد اهتمت فرنسا بتجهيز سفنها أسوة بانكلترا وعرض المسيو (فريسينييه) يوم ٨ يوليو عام ١٨٨٢ على مجلس النواب الفرنسي طلب ثمانية ملايين من الفرنكات لهذا الغرض الا أنه صرح بأنه لا يقصد ارسال جيش فرنساوي لمصر وانه لا يأمر بتداخل فرنسا في وادي النيل تداخلا عسكريا الا بقرار من مجلس النواب نفسه وان القصد بتجهيز السفن

هو الاستعداد للطوارئ

ولما رأته انكثرت ان من صالح سياستها زيادة التقرب بين {عراقي باشا} وبين الحضرة السلطانية وزيادة النفير بين عزيز مصر وبين جلالة السلطان أشارت على رجال الدولة العلية - الذين لم يسيئوا الظن بالانكليز لحظة واحدة في الحوادث العراقية كلها - بارسال نيشان لعراقي اظهاراً لرضي جلالة السلطان عنه وامتنانه من خطته وعمله ، فعمل رجال الدولة بآشارة انكثرتا وأرسل النيشان المجيدي الاول مع الفرمان الخاص به لعراقي باشا . فكان هذا الانعام تشجيعاً لعراقي وحزبه وتنفيراً للجناب الخديوي من الدولة العلية . وكان من شأنه أن يحمل عزيز مصر على الالتجاء الى الانكليز

وعند ما تحقق رجال السياسة الانكليزية من أن فرنسا لا تتدخل في مصر تداخلا عسكريا وانها تجتنب ذلك كل الاجتناب أمروا الاميرال الانكليزي {سيمور} بمخلق الاسباب الداعية لضرب الاسكندرية . فأرسل هذا الاميرال انذاراً للحكومة المصرية بانها ان لم تكف عن اصلاح الاستحكامات ضرب الاسكندرية لأنه يعتبر اصلاح الاستحكامات أو ترميم الطوابي تهديداً للاسطول الانكليزي !!! فأمر الخديو ببناء على أمر الحضرة السلطانية بابطال اصلاح الاستحكامات وعدم ترميم الطوابي . فامثل رجال الجيش أمره وأبطالوا كل اصلاح وكل ترميم في الاستحكامات والطوابي غير ان الاميرال (سيمور) كان مكلفاً بمخلق الاسباب لضرب الاسكندرية فلذلك أرسل انذاراً ثانياً للحكومة المصرية قال لها فيه ان عمالها يقفلون

بوغاز الاسكندرية بالأحجار وأنهم ان لم يمتنعوا عن رمي الاحجار أمر
 أسطوله بضرب الاسكندرية . فأجابته الحكومة المصرية بانها لم تأمر
 مطلقاً باقتال بوغاز الاسكندرية وان عمالها لم يرموا فيه أحجاراً وأن
 لاحقية البتة لهذه الدعوى . وسمح له وكيل البحرية المصرية بالقبض على
 كل من يرمي أحجاراً في البوغاز . ولكن الاميرال { سيمور } لم يقتنع بالحق
 وأرسل في يوم ١٠ يوليو عام ١٨٨٢ خطاباً آخر للحكومة المصرية ادعي
 فيه كذباً أنها تشتغل بوضع مدافع جديدة في طابية صالح والمكس وقائد
 بك وأندرها بانها ان لم تسلمه جميع المدافع والاسلحة الموجودة في طوابي
 الاسكندرية من العجمي الى قائد بك ضرب الاسكندرية !

ولما علم قناصل الدول بالاسكندرية بتهديدات الاميرال (سيمور)
 للحكومة المصرية كتبوا اليه كتاباً سألوه فيه ان يمتنع عن ضرب الاسكندرية
 لان هذا العمل يضر بمصالح الاوروبيين كافة ويدمر منازلهم وأملاكهم
 وتعهدوا له بالاتفاق مع الحكومة المصرية على ما يرضيه . فأجابهم الاميرال
 بان منازل الاوروبيين وأملاكهم ستكون في مأمن من الخطر لانه لا
 يقصد الاتدمير طوابي الاسكندرية . وكان يريد الاميرال { سيمور }
 بهذا الجواب تطمين خواطر القناصل ولكنه كان يعمل لتدمير الاسكندرية
 كلها وتكليف الحكومة المصرية بدفع الغرامات الطائلة !

وقد عقد المغفور له { توفيق باشا } مجلساً من الوزراء تحت رئاسته في
 يوم ١٠ يوليو لتقرير ما يلزم عمله نحو الاميرال (سيمور) وحضر هذا
 المجلس { درويش باشا } المندوب العثماني العالي واتفق كل الحاضرين في

المجلس على ارسال ناظر المالية وناظر الخارجية ووكيل البحرية وأحد رجال
 المعية الى الاميرال (سيمور) ليبلغوه أن طوابي صالح والمكس وقائد بك
 هي كما كانت في عهد ساكن الجنان (محمد على باشا الكبير) وانه ليس
 بها أشغال ولم توضع فيها أسلحة ولا مدافع جديدة وان الحكومة
 المصرية تقبل انه (أى الاميرال سيمور) يطاع عليها . فتوجه الاربعة
 المذكورون وأبلغوا الاميرال (سيمور) هذا الجواب فلم يقتنع به بل كرر
 طلبه الاول بشأن تسليمه الاسلحة والمدافع الموجودة فى الطوابي . فلما
 عرض هذا الطلب على سمو الخديو وعلى النظار أقر رأي الجميع على
 ان قبوله يكون عارا كبيرا على مصر وانه اذا أطلقت السفن
 الانكليزية على الطوابي أجابتها الطوابي بعد خروج خمس أوست طلقات
 من مدافع السفن الانكليزية حتى تقع المسؤولية كلها على الاسطول الانكليزى
 وأرسلت الحكومة المصرية فى مساء ١٠ يوليو عام ١٨٨٢ كتابا الى الاميرال
 (سيمور) قالت له فيه « انها لم تعمل شيئاً ما يستوجب اعتداء الاسطول
 الانكليزى على نهر الاسكندرية وانها محافظة على شرفها ومقامها لا تقبل
 مطلقاً تسليمه الاسلحة والمدافع الموجودة فى الطوابي وانها تلتقي مسؤولية
 النتائج الوخيمة التي ستنتج من ضرب الاسكندرية على الامة التي اعتدت
 بغير سبب وبدون اعلان الحرب بينها وبين مصر على الاسكندرية مخالفة
 فى ذلك القانون العام ونواميس الحرب »

ولما علم المسيو (فريسينيه) وزير خارجية فرنسا بالانذار الاخير
 الذي أرسله الاميرال « سيمور » للحكومة المصرية أمر الاسطول

الفرنساوي — الذي كان واقفا في مياه الاسكندرية بجوار الاسطول
الانكليزي — بالابتعاد عن الاسكندرية والسفر الى بورسعيد . وبذلك
قضت فرنسا على مصالحها في مصر وخالفت سياسة قرن كامل وارتكبت
أكبر خطأ سياسي في تاريخها . ولقد تحمل المسيو « فريسينيه » تبعه هذا
العمل وصار مبعوضا في أمته واتهمه الكثيرون من الفرنسيين بالخيانة
وبأنه باع شرف فرنسا لانكلترا . ولكن للحوادث العرابية ولسياسة الدول
فيها أسرار لم يكشفها لنا التاريخ الي اليوم . وعلى كل حال فان المسيو
« فريسينيه » اتبع في الحوادث العرابية سياسة خرقاء وأوجد لبلاده
مشكلة لا تنقص عن مسألة الازاس واللورين أهمية وخطارة

وقد أرسل اللورد (غرانفيل) في مساء ١٠ يوليه مذكرة للدول
الاوربية أخبرها فيها بان ضرب الاسطول الانكليزي للاسكندرية
ليس الادفاعا اقتضته الضرورة وان انكلترا لانوى ضد مصر شيئا
آخر . فما هي الظروف التي اقتضت ضرب الاسكندرية وما هذا
الدفاع ؟ ألم يكن الاسطول الفرنسي واقفا بجوار الاسطول الانكليزي
فلم يدع أن طوابي الاسكندرية تهدده ؟ ألم تكن سفن ايطاليا والنمسا
واقفة في مياه الاسكندرية فلم تدع ان طوابي الاسكندرية تهددها
وانه يجب عليها الدفاع عن نفسها ؟ ألم يعترف قناصل الدول بالاسكندرية
بان الحكومة المصرية اتبعت مع الاميرال (سيمور) تساهلا
لامثيل له وانها لم تهدد أسطوله أبدا ؟ ألم تسمح الحكومة المصرية للاميرال
(سيمور) بالقبض على كل من يرمى أحجارا في قنال الاسكندرية ؟ ألم تسمح

له بتفتيش طوابي الاسكندرية ؟ وهل أطلقت طوابي الاسكندرية مدافعها على الاسطول الانكليزي حتى اضطر للمدافعة عن نفسه ؟
ان هذه الرواية المخزنة لعمار كبير على دولة تدعي محبة العدل والانسانية ولفضيحة تبي حديثاً اللامم على تعاقب الايام والسنين
وما طاعت شمس يوم الثلاثاء ١١ يوليو عام ١٨٨٢ - وهو اسماً أيام مصر وأشقاها - حتى أطلقت السفن الانكليزية كلها المدافع على الطوابي المصرية وبعد خروج نحو ١٥ كلة من مراكب الاسطول الانكليزي أجابتها الطوابي المصرية واستمر القريقان على اطلاق الككل مدة عشر ساعات متوالية حتى تهدمت الطوابي كلها وتدمر جزء من سراي رأس التين واحترقت منازل عديدة . وقد اجتمع مجلس النظاري مساء ذلك اليوم العبوس تحت رئاسة سمو الخديو وقرروا انه اذا استمر الاسطول الانكليزي على اطلاق الككل رفعت الرايات البيضاء علامة على طلب اجراء المخبرات السلمية وفي صبيحة ١٢ يوليو ابتدأت المراكب الانكليزية تطلق المدافع على مدينة الاسكندرية نفسها ثانياً - وليتذكر القاريء ان الاميرال (سيمور) حقق لقناصل الدول بان أسطوله لا يتعرض للمدينة بسوء - فرفعت الرايات البيضاء وانقطع بذلك ضرب الاسطول الانكليزي لمدينة الاسكندرية . وذهب طلبه باشا الي الاميرال (سيمور) فقابله أحد ضباط الاسطول وأخبره بان الاميرال الانكليزي يطلب صدور أمر الخديو قبل الساعة الثالثة بعد الظهر بتسليمه طابية العجمي وطابية المكس وطابية العرب لجعلها معسكراً للجنود الانكليزية . فعاد طلبه باشا وأخبر الخديو

والنظار بطلب الاميرال الانكليزي . فلما علموا به قرروا ارسال تلغراف
للحضرة السلطانية لعرض الامر عليها اذ انه لا يمكنهم تسليم أرض من
أراضي مصر لدولة أجنبية بغير أمر الدولة العلية وكلفوا طلبه باشا بتبليغ
ذلك للاميرال (سيمور) . غير ان الوقت الذي حدده الاميرال لا انتظار
الجواب كان قد فات وترك مندوب الاميرال في ديوان البحرية المصرية
خبراً بأن الاسطول الانكليزي سيضرب الاسكندرية مرة ثانية . وعندئذ
أمر المغفور له الحديو السابق (عراي باشا) بارسال الجنود المصرية الى
جهة طابية العجمي لمنع العساكر الانكليزية من الخروج الى البر واحتلال
ساحل مصر . فلم يتبع (عراي باشا) أمر الحديو واعتذر « بأن الارض
هناك مكشوفة وأن مقذوفات المراكب الانكليزية لا تمكن العساكر
المصرية من الدنو الى البحر »

ولما علمت أهالي الاسكندرية بعزم الاسطول الانكليزي على ضرب
المدينة هاجت وماجت وأخذ الكل يهاجر واضطربت أحوال الاسكندرية
وانتشر السفلة والاشرار والصوص في المدينة حتى سلبوا كل شيء في
أسواقها ورأت مدينة الاسكندرية الزاهرة يومئذ مالم تعهده من قبل في
تاريخها . وهكذا قضت بريطانيا المتمدنة أن يضرب أسطولها مدينة آمنة
مطمئنة كان الاوربيون والمصريون يعيشون فيها كالاخوة وان يعود الى
ضربها مرة ثانية حتي انتشرت الفوضى فيها وعم الفرع أرجاءها وهاجر
منها أهلها وسكانها !

وقد كثر عندئذ تجمع العساكر المصرية حول سراي الحديو بالرمل

حتى ظن العزيز أن (عراي باشا) يريد الفتك به ورأى أن ملجأه الوحيد
انما هي انكلترا! ويقول «عراي باشا» ان تجمع العساكر حول سراي العزيز كان
بقصد المحافظة على حياة سموه . وبعد ضرب الاسكندرية بأيام قلائل
توجه المغفور له (توفيق باشا) الي سراي الاسكندرية تحت حرس انكليزي
أما (عراي باشا) فقد غادر الاسكندرية وجمع الجيش في جهة (كنج
عثمان) وابتدأت العساكر في عمل المتاريس وأخذ الاحتياطات اللازمة
. وأعلن وقتئذ في كافة أنحاء مصر أن البلاد صارت في حالة عرفة لوجودها
في حالة الحرب وتشكل مجلس حربي في نظارة الجهادية تحت رئاسة وكيلها
لتنظر في جميع المسائل والقضايا . وفي يوم ١٧ يوليو أرسل الخديو تلغرافا
لعراي باشا يخبره فيه بأن الصلح تم بين مصر وبين الاميرال الانكليزي
ويأمره بالسفر لمقابلة سموه بالاسكندرية فطلب (عراي باشا) تلغرافيا
من سمو الخديو أن يرسل اليه بشروط الصلح فلم يجبه العزيز بشيء لعدم
اتباعه أمره بالسفر للاسكندرية . وعندئذ أرسل الخديو لجميع مصالح الحكومة
ولنظارة الحربية بأن الصلح تم عقد بين مصر وانكلترا وان الاستعداد للحرب
غير واجب فاجتمع بنظارة الحربية تحت رئاسة وكيلها مجلس من وكلاء
النظارات ورؤساء الدواوين والمصالح والعلماء والأعيان للمداولة في الأمر
وقرروا إرسال وفد يدعو الخديو للحضور الي القاهرة فسافر الوفد وعاد
مخبرا (عراي) وأعضاء المجلس بأن الخديو لا يمكنه مبارحة الاسكندرية
الا باذن خصوصي من الانكليز . فازداد حقد العرايين على المغفور له
{ توفيق باشا } ونادى بعضهم بعزله . وكان وقتئذ (مصطفى باشا فهمي)

— رئيس الوزارة المصرية الآن — من أشد الناس ميلا لعرايى وأكثرهم مجاهرة بالانتصار لعمله وخطته !

وفى يوم ٢٠ يوليو عام ١٨٨٢ أصدر سمو الخديو اعلانا بعزل (عرايى) بحجة انه لم يتبع أمره ولم يرسل العساكر المصرية الى جهة العجمي لمنع الجنود الانكليزية من النزول الى البروانه أخذ الجيش وتوجه الى كفر الدوار بغير اذن العزيز . وأبلغ سمو الخديو تلغرافيا أمره الصادر بعزل (عرايى) الى وكيل الحربه وأمره بابطال التجهيزات العسكرية . فجمع وكيل الحربه مجلسا حافلا حضره بعض أمراء العائلة الخديوية وأغلب العلماء ووكلاء النظارات ورؤساء جميع المصالح ووكلاؤها وتجارها . وكان عدد الذين حضروا هذا المجلس يزيد عن خمسمائة نفس وقد عرض عليهم وكيل الحربه تلغراف الحضرة الخديوية فقرروا بعد المذاكرة والمناقشة أن لا يتبع للخديو أمر وان يكاف (عرايى باشا) بالدفاع عن البلاد وصد الانكليز عنها . وقرروا كذلك تشكيل مجلس اداري للنظر فى أحوال البلاد وحفظ النظام فيها . وختموا جميعا على هذا القرار وأرسلوه للحضرة السلطانية وأبلغوه رسميا لعرايى باشا فكان الخديو وقتئذ مع الانكليز فى الاسكندرية والامة كلها مع الجيش ضده وضدهم

هذا ماجرى فى مصر بعد ضرب الاسكندرية أمانى أوروبا فقد أحدث ضرب الاسكندرية اندهاشا عاما وأرسلت الدولة العلية فى مساء ١١ يوليو نفسه لكافة الدول الأوروبية احتجاجا ضد عمل الاسطول الانكليزي وسأتها

الاهتمام بالامر . فقرر أعضاء اللجنة الدولية بالاستئانة — ولم يخالفهم مندوب انكلترا في ذلك لعلمه بان سواس تركيا سيملون بنصيحة دولته — في ١٥ يوليو عام ١٨٨٢ إرسال مذكرة للباب العالي يكلفون فيها الدولة العلية باسم أوروبا بارسال جنودها لاحتلال مصر على شرط أن الدول تحدد اختصاصات القائد العثماني الذي يرسل على رأس الجنود وأن لا يتداخل هذا القائد في ادارات مصر وأن لا يكون لهذا الاحتلال تأثير على امتيازات مصر الممنوحة لها بمقتضى الثمرانات السلطانية والاتفاقيات الدولية وان تتفق الدول على تحديد أجل للاحتلال التركي وان تكون مصاريف الحملة العثمانية على نفقة مصر . وقد أرسلت هذه المذكرة الى الباب العالي في مساء يوم ١٥ يوليو ولبثت الدول منتظرة الجواب عليها . وكان ولا محالة من صالح تركيا ومن صالح مصر أن تقبل الدولة العلية تكليف أوروبا لها باحتلال مصر وترسل جنودها المظفرة الى بلادنا العزيزة ولكن قضي على سواس تركيا أن يتبعوا نصائح الانكليز حتى بعد ضرب الاسكندرية ويجيبوا مندوبي الدول بأن قبول تركيا لتكليف أوروبا لها باحتلال مصر يعد ماسا بحقوق الدولة التي هي صاحبة السيادة على مصر والتي لها الحق في ارسال جنودها اليها بغير تكليف من أوروبا . ولا يدهشن القارئ أن انكلترا كانت ذات وجهين في سياستها فهذه عاداتها ومن القواعد الثابتة عند سواسها أن ارتكاب الامور الدنيئة في سبيل الوصول الي غرض كبير يعد أمراً شريفاً . فسواس بريطانيا كانوا يفهمون تركيا أن أوروبا تريد السوء لها وانهم لم يشتركوامع

مندوبى اللجنة الدولية بالاستانة الا ليقفوا على نواياهم ويعرقلوا مساعيهم
 وفي هذا الاثناء طلبت الحكومة الفرنسية من مجلس النواب
 الفرنسية تقرير المبالغ اللازمة لتجهيز السفن استعداداً للطوارئ وبقصد
 حماية قنال السويس عند الحاجة . فدارت المناقشة بسبب هذا الطلب
 على مسألة مصر وتعاقب الخطباء على منبر الخطابة مندداً بعضهم بالوزارة
 ومصوباً البعض الآخر خطتها وانتهت الجلسة بقبول طلب الحكومة
 وتقرير المبالغ اللازمة . ولم يكف المجلس الوزارة باتباع خطة مخصوصة
 في مصر كما أنه لم يظهر موافقته على سياستها بل انتظر نتائج هذه السياسة
 وقبل ان يبعث الباب العالى جوابه على مذكرة أعضاء اللجنة الدولية
 المرسلة اليه في ١٥ يوليو عرض مندوب فرنسا وانكلترا على اللجنة تعيين الدولة
 أو الدول التي يجب عليها المحافظة على قنال السويس . ولكن أعضاء اللجنة
 انتظروا جواب تركيا على مذكرة ١٥ يوليو . وقد أرسل { سعيد باشا }
 للجنة الدولية في ١٩ يوليو جواب الدولة العلية على مذكرة ١٥ يوليو
 وهو عبارة عن قبول تركيا الاشتراك مع مندوبى الدول فى مداولاتهم
 بشأن مصر . ولم يذكر شيء ما عن قبول الدولة أو رفضها لتكليف الدول
 لها باحتلال مصر . فهي بعد ان رفضت الاشتراك مع أعضاء اللجنة
 قبلت الاشتراك معهم وبعد ان كلفتها أوروبا باحتلال مصر أهملت هذا
 التكليف وأخذت تتناقش مع أعضاء اللجنة ! ومن الاسف الشديد أن
 يدون التاريخ هذه السياسة التي لم تخدم الا الاغراض البريطانية مع أن
 سواس تركيا اشتروا في كل الحوادث والازمات بالدهاء العظيم

وقد جرت المناقشة حينئذ في يوم ٢٥ يوليو عام ١٨٨٢ في مجلس الشيوخ الفرنسي بعد أن جرت في مجلس النواب . فقبل المجلس تقرير المبالغ اللازمة لتجهيز السفن وتقوية البحرية ولكنه وجه الى الوزارة أشد الملام والتعنيف عن سياستها في المسئلة المصرية . وبعد أن أقر مجلس الشيوخ على طلب الحكومة عرض المسيو { فريسينيه } على مجلس النواب الفرنسي تقرير مبلغ تسعة ملايين ونصف من الفرنكات لحماية قنال السويس فعين المجلس لجنة للنظر في هذا الطلب والمناقشة مع الحكومة وتقديم تقرير للمجلس . وكان المسيو « فريسينيه » مختلفا في الرأي مع الاميرال « زوريجيرى » وزير البحرية بشأن احتلال قنال السويس . فكان هو يرى ان الجنود الفرنسية يجب ان لا تحتل الا الشاطئ الشمالي للقانل وكان وزير البحرية الفرنسية يرى ضرورة احتلال الجنود الفرنسية لمدينة « الزقازيق » . ولما علمت اللجنة التي عينها مجلس النواب لدراسة مشروع احتلال قنال السويس باختلاف الوزيرين في الرأي وبأن أوروبا لم ترض تكليف فرنسا وانكثرتا باحتلال القنال وتركتهما يتحملان مسؤولية أعمالهما رفضت تقرير مبلغ التسعة ملايين ونصف وأظهرت برفضها هذا عدم موافقتها على خطة الوزارة وسياستها . ولما دارت المناقشة في مجلس النواب الفرنسي يوم ٢٩ يوليو عام ١٨٨٢ على طلب مبلغ التسعة ملايين ونصف قام المسيو « فريسينيه » وشرح سياسته في المسئلة المصرية - التي عرفها القاريء من مبدئها - وسأل المجلس اعلان ثقته بالوزارة فقام الخطباء واحدا بعد واحد وكلهم نددوا

بسياسة « فريسينيه ». وبعد انتهاء المناقشة كرر المسيو « فريسينيه » طلب الاقتراع على الثقة بالحكومة فأقر المجلس بأغلبية ٤١٧ صوتاً ضد ٧٥ صوتاً على عدم ثقته بالوزارة وسقط بذلك المسيو { فريسينيه } وأعضاء وزارته . ولو كان مجلس النواب الفرنسي تنبه لخطأ وزارة « فريسينيه » في سياستها وأسقطها قبل ضرب الاسكندرية لكانت نجت مصر من مصائبها وخرجت فرنسا من الازمة ظافرة . إلا أن المجلس ترك المسيو (فريسينيه) في الوزارة مؤملاً سيره على خطة قوية وطريق مستقيم ولكنه لم يتبع السياسة خرقاء خدّمها انكثراً أجل خدمة وأضر بها فرنسا ومصر الضرر الجسيم

وقد أعلنت الدولة العلية اللجنة الدولية بالاستانة ببلاغ أرسلته اليها في يوم ٢٨ يوليو عام ١٨٨٢ - أي قبل سقوط وزارة فريسينيه بيوم واحد - أنها تقبل ارسال جنودها لاحتلال مصر ولكنها تشترط جلاء العساكر الانكليزية عنها عند وصول الجنود التركية اليها . فأجاب اللورد (دوفرين) على بلاغ الدولة العلية بأن انكثراً لا تقبل احتلال الجنود التركية لمصر الا اذا أصدر جلالته السلطان « اعلاناً بعصيان عرابي » ! فهي بعد أن شجعت عرابي وحزبه وبعدها أوعزت الى تركيا المرة بعد المرة بتشجيع الحزب الوطني ورئيسه سألت الدولة العلية ان تعلن عصيان عرابي ! وفي الوقت نفسه كتب الخديو الي الاميرال « سيمور » كتاباً سمح له فيه باحتلال قنال السويس وبأخذ كل الاحتياطات الضرورية لمنع العرابيين من الوصول اليه . وكان المسيو « دي لسبس » قد وعد « عرابي باشا »

بعدم احتلال الجنود الانكليزية لقنال السويس وعداً صريحاً وطلب منه مقابل ذلك عدم احتلال الجنود المصرية له وعدم الاعتداء عليه. فقبل «عراي باشا» سؤال الميسو «دى لسبس» ووظن أن الانكليز يجتنبون احتلال القنال وفاء بوعده (دى لسبس) ولكن الانكليز من عاداتهم أن يأتوا كل أمر يفيدهم ولو كان في ذلك مخالفة وعودهم العريضة وأيمانهم العلنية !

أما اللجنة الدولية بالاستانة فانها تناقشت طويلاً في اقتراح قدمه المندوب الايطالي يتضمن احتلال كل دول أوروبا لقنال السويس احتلالاً مؤقتاً فقبلت المانيا والنمسا والروسيا هذا الاقتراح . وكانت روسيا أشد الدول ميلاً لدولة العلية في المسئلة المصرية واكثرها تقرباً منها . وقد جرت في ذلك على السياسة التي أوضحناها في آخر الفصل السالف من انها تصافي تركيا اذا عادت انكلترا — فعرضت عليها مساعدتها بكل ما في وسعها وتأجيل قبض الغرامة الحربية المتأخرة من حرب عام ١٨٧٧ لكي ترسل بجنودها لمصر

وفي ٢ أغسطس عام ١٨٨٢ احتلت الجنود الانكليزية الآتية من الهند مدينة «السويس» . ولم تنفذ دول أوروبا مشروع احتلالها لقنال السويس لأن تركيا وعدتها باحتلال مصر . وكانت الحكومة العثمانية تتخبر مع اللورد (دوفرين) في عقد اتفاقية حربية بخصوص الاحتلال المشترك لتركيا وانكلترا . وان اتفاق دول أوروبا عندئذ على احتلال قنال السويس وحمايته يعد اجماعاً منها على رفض الاحتلال الانكليزي وعدم الموافقة عليه

وقد جرت مناقشة في مجلس العموم الانكليزي يوم ١١ أغسطس عام ١٨٨٢ على المسئلة المصرية فصرح المستر (غلادستون) بأن مقصد انكثرا من احتلال مصر هو اعادة الأمن والسلام فيها وأنه سيعرض المسئلة المصرية على دول أوروبا لتسويتها التسوية النهائية

وفي يومى ١٩ و ٢٠ أغسطس احتلت الجنود الانكليزية بورسعيد والاسماعيلية وأصدر الجنرال (ولسلي) أمره باقفال قنال السويس في وجه السفن التجارية ليسهل للسفن الحربية الانكليزية المرور فيه وانزال الجنود على شواطئه . وقد احتج المسيو (دى لسبس) على عمل الجنرال (ولسلي) ولكن هذا الاحتجاج لم يقد شيئاً ما . ولما انتشر خبر احتلال الجنود الانكليزية لقنال السويس هاجت الصحف الفرنسية وسخطت على وزارة (فريسينيه) التي أضرت بفرنسا ضرراً عظيماً . أما الجرائد الالمانية فكانت لهجتها لهجة تهكم بفرنسا التي قضى شقاقها الداخلى على مصالحها في الشرق وكانت تصرح بأن ليس لالمانيا مصلحة في مصر سوى رغبتها في مساعدة تركيا صديقتها

وقد جرت الحرب بين الجيش المصري والجيش الانكليزي في « المحسمة » يوم ٢٥ أغسطس عام ١٨٨٢ وقطع الانكليز عن المصريين خط الرجعة فانهمزمت العساكر المصرية وكان معهم الشهم الصادق (راشد باشا حسنى) -- وليعتبر بهذا الشهم سائر المصريين فانه مع كونه جركسي الاصل انضم الي جيش (عرايى) عند ما علم بأن الانكليز احتلوا الاسكندرية وانهم عازمون على دخول البلاد المصرية وقام للدفاع عن

الوطن العزيز ناسياً كراهة الجراكسة للعرايين وكراهة العرايين للجراكسة —
وعندئذ اتخذ (عرابي باشا) التل الكبير مركزاً له وتتابع ورود
العساكر المصرية من القاهرة

ولم يمض الأيام قليلة بعد هذه الواقعة حتى انهزمت الجنود المصرية
في التل الكبير وسار الانكليز على القاهرة . وهذا ما ذكره (عرابي
باشا) عن واقعة التل الكبير في تقريره الذي كتبه بعد دخول الانكليز
القاهرة وقبل سفره لأميني حيث قال

« ومع ذلك حصل حركتان حريتان جهة كوبري القصاصين ثبت
فيهما الجيشان ثباتاً عظيماً وجرح في ثابتهما مساعدة راشد باشا حسني فاستبدله
سعادة على باشا الروبي وقبل أن تتمكن من انشاء المتاريس كما ذكر
عاجلتنا العساكر الانكليزية والهندية وهاجمتنا السوارى ومعها الطوبجية
السوارى التي تطير معها أينما طارت وعلى حين غفلة في ظلام الفجر
اشتعلت نيران الطوبجية والبيادة المهلكة من الطرفين مقدار ساعتين ثم أتت
فرقة سوارى وطوبجيتها من وراء الجيش فكان ذلك سبباً لخذلانه وتشتته
في يوم الاربعاء ٢٩ شوال سنة ٩٩ الموافق ١٣ ستمبر سنة ١٨٨٢ افرنجيه
. ولما حصل هذا الخذلان توجهت من الجبل الى بليس وسوارى الانكليز
على مقربة مني وهناك تقابلت مع سعادة على باشا الروبي فوجهنا الى
محطة أنشاص ومن هناك ركبنا وابور السكة الحديدية وتوجهنا الى مصر
فوجدنا أهل المجلس جميعه في ديوان الجهادية وحضرات البرنسات أيضا
حضر والى الديوان وبعد المداولة والتميقن بان دولة الانكليز لا تريد الاستيلاء

على مصر تقرر أنه حيث الامر كما ذكر فلا يلزم مدافعة بعد ذلك
اعتماداً على ان دولة الانكليز موصوفة بحب الانسانية والاعتدال وأنها
متي تحققت الامر ووقفت على أفكار أهل البلاد لاشك انها تسمي في
تحريرهم وراحتهم وحفظهم »

وإن الانسان لتستولى عليه الدهشة عند ما يقرأ هذه الفقرة ويتساءل
كيف ان (عرابي باشا) بعد مذبح الاسكندرية وبعد ضرب الاسطول
الانكليزي لهذا الثغر العزيز كان يثق بالانكليز ويقول عن دولة انكلترا
انها موصوفة بحب الانسانية والاعتدال وان لا لزوم للدفاع عن مصر
مادامت انكلترا هي الداخلة فيها ؟ فهل كان { عرابي باشا } يعتبر مذبح
الاسكندرية عملاً نقاباً بدولة موصوفة بحب الانسانية والاعتدال ؟ أو هل
كان يعتبر ضرب الاسكندرية دليلاً على حسن نوايا الانكليز نحو مصر ؟
لاريب ان الانكليز قد استطاعوا ان يخدعوا بدهائهم تركيا كما قدمنا
وان يخدعوا عزيز مصر ورجال الحزب الوطني !.

وفي اثناء اشتعال نيران الحرب بين عساكر مصر وجنود بريطانيا كان
الباب العالي يتخابر مع اللورد (دوفرين) في عقد الاتفاقية الحربية وكان
هذا الاخير يبذل جهده في تأخير سفر الجنود العثمانية ويقدم كل يوم شرطا
جديداً ويغير كل يوم مادة من مواد الاتفاقية ويلج على الدولة بضرورة
« اعلان عصيان عرابي ». وقد بلغ اللورد (دوفرين) متمناه وأصدر
جلالة السلطان في يوم ٥ سبتمبر عام ١٨٨٢ منشوراً أعلن فيه « عصيان
عرابي » وأمر الجنود المصرية وسائر المصريين بعدم اتباعه في أمر من الامور !

ولا ينس القاريء ان الدولة العلية عضدت قبل ذلك {عرايى} كثيرًا وان
 الحضرة السلطانية أنعمت عليه بالنيشان المجيدى الاول اظهار الرضاها عنه !
 ولا ريب ان هذا الاعلان - الذى صدر قبل واقعة التل الكبير بأسبوع
 واحد - كان من شأنه ان يضعف همم الجنود والاهالي فان الجميع كانوا يعتبرون
 (عرايى) مدافعاً عن حقوق جلالة السلطان في مصر وحائز الرضى جلالاته .
 واذا أضفنا الي ذلك ان الحديو السابق كان مع الانكيز ضد (عرايى)
 وانه كان متفقاً معهم على خطتهم الحربية وانه أرسل معهم ضباطاً مصريين
 لارشادهم في سيرهم أدركنا حرج الموقف الذى كان صار اليه {عرايى} فى
 آخر الحوادث العرايية وقبل انهزام الجيش الهزيمة النهائية .

وقد كان الباب العالى لا يزال يؤمل احتلال مصر والاتفاق مع الانكيز
 ولكن الجنود الانكليزية دخلت القاهرة فى ١٤ سبتمبر عام ١٨٨٢ وبعد
 دخولها بثلاثة أيام أعلن اللورد (دوفرين) الباب العالى بأن لا حاجة لسفر
 الجنود التركية لمصر !!!

وهكذا خدعت انكتر الدولة العلية . فانها أوعزت اليها بتعصيد (عرايى)
 عند ما كان من مصلحتها تعصيده وخلق أسباب الشقاق والنفور بين
 المصريين وبعضهم وبين الحزب الوطنى وسمو الحديوى . ولما رأت
 أن مصلتها تقضى عليها باعلان الحضرة السلطانية لعصيان (عرايى) سألت
 الدولة ذلك وأجيب سؤالها . ولما كلفت دول أوروبا الدولة العلية رسمياً
 باحتلال مصر لم تجبها الدولة لطلبها بل قبلت الاشتراك فى مداورات
 اللجنة الدولية بالاستئانة بعد ان رفضت ذلك . ولما ألت عليها اللجنة

باحتمال مصر وقبلت هذا الاحتمال قضت زمنا طويلا في مخابرة اللورد
 {دوفرين} بشأن عقد اتفاقية عسكرية ولم تعجل بارسال جنودها لمصر وتركت
 سواس انكلترا يحددونها أكبر خديعة ! وهو درس تاريخي يجب ذكره
 وتذكره في كل فرصة وفي كل آن . فان انكلترا لا تضر باعدادها الظاهرين
 مثل ما تضر بمن تتظاهر لهم بالصدقة

وبعد دخول الانكليز القاهرة أصدر الخديو أمراً بالغاء الجيش
 المصرى وشرع بالاتفاق مع الانكليز في انشاء جيش جديد يكون تحت
 امره ضباط من الانكليز

وقد رأي الانكليز بعد احتلالهم لمصر أن بقاء المراقبة الثنائية يعوق
 سيرهم ويضايقهم في أغراضهم فقرروا الغاءها . ولذلك أعلن السير
 كولفين المراقب الانكليزي في ٣٠ اكتوبر عام ١٨٨٢ الحكومة المصرية
 « بأنه بناء على أمر واردا اليه من حكومته لا يحضر من ذلك اليوم فصاعداً
 جلسات مجلس المنظار » فكان في الحقيقة هذا الاعلان الغاء للمراقبة الثنائية
 لانها كانت زهوية والمراقب الفرنسي وحده لا يستطيع تكوينها . وبذلك
 اعتدت انكلترا على نفوذ فرنسا في مصر وابتدأت في أعمالها العدائية ضدها
 وقد سلم (عراي باشا) ورفقاؤه أنفسهم الى الجنرال {لو} بعد دخول
 الانكليز القاهرة وجرت محاكمتهم امام محكمة عسكرية وكان المدافعون
 عن {عراي} محامين من الانكليز . وجرت المحاكمة بغاية السرعة وبعد
 أن حكم على (عراي) وزملائه بالاعدام صدر أمر الخديو بتغيير الحكم
 بالنفي المؤبد . وكان دولتو (رياض باشا) وزيرا للداخلية وقتئذ فلما رأى

أن المحاكمة جرت بغاية السرعة ولم تظهر المسؤولية الحقيقية في الحوادث
العربية خلافاً للرأيه قدم استعفاءه واعتزل الوزارة
وبذلك انتهت الحوادث العربية المحزنة وخابت آمال المصريين وأفلح
الانكليز في سياسة الخداع والكذب والافتراء التي اتبعوها لاحتلال
مصر وبلوغ غاياتهم وتحقيق مآربهم

*
**

لقد اختلف المصريون والناس كافة في الحكم على الحوادث العربية
وتوزيع المسؤولية على الاشخاص الذين كان لهم يد فيها . فمن قائل ان
(عراي باشا) كان متفقاً مع الانكليز على تسليمهم مصر أى أنه كان خائناً
لوطنه فاقد الذمة والشرف . وهو قول أراه غير صحيح بالمرّة فان الرجل
كان سليم النية وغاية ما يؤخذ عليه انه تعجل كثيراً وأخذع كثيراً . ومن قائل
ان (توفيق باشا) كان متواطئاً مع الانكليز من بادى الأمر وكان يتظاهر بأنه
لم يجد حيلة للتخلص من الحزب العرايى الا بدعوة الانكليز لاحتلال مصر .
وهو قول غير صحيح أيضاً فان (توفيق باشا) كان يعلم ان مصيبة الامم هي
تداخل الاجانب في أمورها وكان يود ولا محالة استقامة الاحوال بغير
تداخل أجنبي ولكنه أفهم بعد ضرب الاسكندرية ان العرايين
يريدون خلعه أو التفتك به وان الدولة العلية مساعدة لهم على ذلك فلما لم
يجد نصيراً من قومه ينصره ضد العرايين ألقى بنفسه بين أيدي الانكليز
محافظة على ملكه وعلى حياته . ولارباب المغفور له {توفيق باشا} كان
متألماً من الاحتلال الانكليزى غاية التألم والذين سمعوه يشكوه منه

يمكنهم أن يشهدوا بذلك أمام التاريخ . والافهل يعقل أن أميراً من سلالة
 (محمد علي) يرضي عن طيب خاطر بتسليم مملكه وبلاده لدولة اشتهرت
 بالشره والاطماع ؛ وانما غاية ما يؤخذ به على المغفور له {توفيق باشا} في كل حياته
 هو أنه كان كثير الميل للسلم حتى انه كان يضعف في بعض الظروف ويظهر
 مستسلاً . ولا شك انه لو كان شديد الحزم قوي الارادة لكانت نجت مصر
 من أخطار كثيرة

ومع ذلك فانه يتعذر على المؤرخ أن يقدم لقرائه حكماً صريحاً على
 الحوادث العرايية وعلى الاشخاص الذين كان لهم شأن فيها . فان هنالك
 أسراراً كثيرة لا تزال مستورة لو ظهرت وانكشفت لتغير الحكم على أمور
 حجة وعلى أشخاص عديدين

وعلى كل حال فان العبرة التاريخية التي تظهر للعيان من الحوادث العرايية
 هي أن الشقاق سبب ضياع الأثم وسبب دمارها فلولا الشقاق بين الحزب
 العرابي والجرأ كسة ما أوجدت الحوادث العرايية . ولولا الشقاق بين
 الحزب العرابي والمغفور له (توفيق باشا) ما كبرت الحوادث وتجمعت
 وتداخلت انكثرا في الامر . ولولا الشقاق بين جلالة السلطان والحديو
 السابق ما وثقت الدولة العلية بانكثرا وما شجعت الحزب العرابي وما لجأ
 المغفور له «توفيق باشا» الى الانكليز ؛ وبالجملة لولا ذلك الشقاق المشؤوم
 ما احتل الانكليز مصرنا العزيزة

فيجب اذن على سائر المصريين ان يتحدوا كل الاتحاد فيما بينهم وان
 لا يتركوا للجانب والدخلاء وسماسرة السوء والفساد سبيلاً لالقاء بذور

الشقاق بينهم وبين بعضهم . فنهضن اليوم أمام أعداء كبار يعملون بالاتحاد بالرغم عن قوتهم فكيف بنا ونحن أقل منهم قوة ؟ انه ليجب على كافة أبناء مصر ان يتعلقوا بسمو الخديو المعظم أشد التعلق وان يدافعوا عن أريكته ولو ماتوا عن آخرهم في سلامة الخديوية الجليلة سلامة الوطن العزيز وكل سوء يمس عزيز مصر يمس مصر نفسها . وليس الحزب الوطني في مصر الآن ذا أميال مناقضة لأميل العزيز بل الرئيس الحقيقي لهذا الحزب — أي الامة كلها — هو سمو الخديو (عباس حلمي باشا الثاني) الذي أيقظ العواطف الوطنية في بلاد مصر ونبه الامة عن بكرتها إليها الى حقوقها المقدسة

ويجب على المصريين فوق ذلك أن يتمسكوا أشد التمسك بالرابطة الاكيدة التي تربطهم بالسلطنة العثمانية . وقد أدرك سمو الخديو المعظم هذا الواجب قبل كل انسان فجدد ريث الصلة بين مصر والدولة العلية وملاً بذلك قلوب المصريين آملاً في المستقبل وفي نجاة الوطن العزيز

*
* *

ما احتلت انكلترا مصر حتى أعلن سواها ووزراؤها ان هذا الاحتلال مؤقت لا تريد به الدولة البريطانية سواً لمصر وانها أرسلت بجنودها الي وادي النيل لتوطيد دعائم العرش الخديوي و لترقية شأن الامة المصرية وانها متى أتمت مأموريتها تركت البلاد لاهلها يدرون أمورها بغير سلطة أجنبية وبدون تدخل أجنبي . وإن الكاتب لو أراد ان يسرد تصريحات وزراء انكلترا وسواها بشأن مصر ووعودهم العلية بالجلء عن بلادنا

العزيزة لملاً الصحف بهذه التصريحات وبهذه الوعود . فكم من مرة قام اللورد « سالسبورى » وأمثاله ونادوا على مسمع من أمتهم ومن أمم العالم كلها بأن شرف أنكلترا يقتضى الجلاء عن مصر وان هذا الشرف الرفيع لا يسلم الا باعطاء المصريين بلادهم وتسليمهم زمام الامور فيها . وكم من مرة وقف رجال الحكومة البريطانية وأشهدوا العالمين على أنهم انما يخدمون المدنية والانسانية في مصر وأن الجلاء أمر مقرر . وكم من مرة أقسم ساسة بريطانيا بالشرف البريطانى وتباج جلالته الملكة أن مال مصر للمصريين وان الجنود الانكليزية خارجة من بلاد النيل بعد استتباب الامن فيها وتوطيد مركز الامير . وكم من مرة قال المستر { غلادستون } بصوته الرنان « ان امتلاك مصر شئ جميل ولكن الوفاء بوعود بريطانيا أشرف وأجمل » .

وآخر تصريح من هاته التصريحات الجميلة هو الكتاب الذى بعث به الى المستر (غلادستون) فى يناير عام ١٨٩٦ وقال فيه :

« أما آرائى فانها لم تتغير قط وهى دائماً انه يجب علينا ان نترك مصر بعد أن تتم فيها بكل شرف وفى فائدة مصر نفسها العمل الذى من أجله دخلناها

وان زمن الجلاء عن مصر على ما أعلم قد وافى منذ سنين ولما كنت فى منصبى أخيراً أملت مساعدة الحكومات الاخرى توصلنا الى تسوية هذه المسئلة (المصرية) المهمة . والسلوك الذى اتبعه المسيو وادنجتون (سفير فرنسا بانكلترا وقتئذ) فى عام ١٨٩٢ شجع أملى

غير ان المخبرات لم تخط خطوة واحدة مع عظم ما أملنا اذ ذلك . ولست
أدرى لاي سبب

فاعترف المستر (غلاستون) بنفسه في هذا الكتاب بان زمن الجلاء
قد وافي . أي ان العمل الذي من أجله دخلت انكلترا مصر قد تم منذ سنين . فلماذا
لم تسحب انكلترا عساكرها من مصر ؟ ؟

وقد اغتر الكثيرون من المصريين ومن سواس أوروبا أنفسهم في
مبدأ الاحتلال بهذه التصريحات الجميلة والوعود الصريحة وظنوا ان انكلترا
التي دبرت مذبحه الاسكندرية بأفضل الوسائل والتي ضربت الاسكندرية
بطريقة يابها التاريخ وتعافها نفوس الامم كافة والتي لطخت شرفها في
الحوادث العربية بدسائسها وخداعها ونفاقها أرادت أن تقدم للنوع
البشري بعد الذي عملت ضد مصر مثلامن أمثال مدينتها وبرهانا على صدقها
في وعودها واحترامها لشرفها

ولكن أعمالها في مصر برهنت على ان وعودها الصريحة وعودها
العننية لم تكن الا ستارا لا طمعاها ورمادا ألقته في أعين سواس أوروبا
وفي أعين المصريين ودلت خطتها في بلادنا الاسييفة على أن عبارات
{ الشرف البريطاني } و { تاج جلاله الملكة } و (مقام الامه البريطانية)
التي كنا نحسبها مقدسة يصبح لسواس بريطانيا أن يستعملوها للتنمية
والتغريب ! فلقد اتبعت انكلترا في مصر سياسة واحدة ثابتة هذه مبادئها:
أولا . هدم كل سلطنة أوروبية وقتل كل نفوذ أجنبي « غير انكليزي »

في مصر

ثانيا . قتل النفوذ المعنوي لجلالة السلطان الاعظم في مصر وقطع الروابط

التي تربط مصر بالدولة العلية شيئا فشيئا

ثالثا . سلب الجناب الخديوى سلطته والاستيلاء على الادارات المصرية وطرده المصريين من الوظائف السامية وتعيين الانكليز مكانهم

رابعا . خلق الاضطراب في مصر ويجاد الاسباب الموجبة لدوام الاحتلال خامسا . نشر النمام والاكاذيب في أوروبا على المصريين

فلمعد اعتدت انكلترا على حقوق فرنسا في مصر وطاردت

الفرنساويين في المصالح بكل قوتها وعملت على إضعاف اللغة الفرنسية في المدارس ونشر اللغة الانكليزية . ولم يكن لها الاعتداء على نفوذ

فرنسا بل اعتدت كذلك على كل حقوق أوروبا وأعمالها الحديثة في صندوق الدين وأظهرت لكل الدائنين ولحملة القراطيس انها اذا استولت

على مصر { لا قدر الله } بصفة نهائية قضت على حقوقهم ومصالحهم أشد قضاء . وخطتها في الهند وفي سائر مستعمراتها تبين جليا انها اذا

صارت صاحبة الحكمة الوحيدة في مصر قتلت تجارة أوروبا ووارداتها في بلادنا وحرمت على كل أوروبي المعيشة والتكسب على شواطئ

نهر النيل . وهو أمر يعرفه كل الاجانب في مصر . وقد كانت انكلترا في السنين الاولى للاحتلال معتمدة كل الاعتماد في المسئلة المصرية

على المانيا ولكن هذه الدولة عرفت في الاعوام الاخيرة أن انكلترا هي اكبر عدوة لها . وقد قضت عليها مصالحها الصناعية والتجارية ان

تنافسها في كل بلد وفي كل ثغر . وإن تقدم المانيا في الاستعمار لحادث

من أهم حوادث السياسة المصرية فإنه سيجعل العداوة بين انكلترا
والمانيا في مصر قوية شديدة مستمرة . ومن يعيش ير
فلم يبق اليوم أحد من الاوروبيين يعتقد ان انكلترا تخدم في مصر
المصالح الاوروبية وان بقاءها في بلادنا وازدياد نفوذها وسلطانها
لا يضران بأوروبا

وكما ان الانكليز وجهوا عنايتهم لقتل نفوذ أوروبا في مصر فانهم عملوا
ما في استطاعتهم لتغيير المصريين من الدولة العلية ومن جلالة السلطان
الاعظم . فأوعزوا الى فئة من الدخلاء الذين لا وطن لهم ولا شرف ولا
عقيدة بالطمع على جلالة الخليفة الاكبر والسلطان الاعظم وتشويه
أعمال الدولة العلية وأحوالها . ولم يسمحوا بمحاكمة هؤلاء الطاعنين
الذين يسبون الأمة المصرية وعقيدتها أعظم السباب بطعنهم على خليفة
الاسلام وسلطان مصر

ولكن الانكليز لم يفلحوا ولن يفلحوا أبداً في تغيير المصريين من
الدولة العلية . فبني مصر للدولة العثمانية ولسطانها المعظم حب صادق
امتزج بالدم وبالحياة ولا يخرج من قلوبهم الا مع الأرواح يوم ترد لحالها جل
شأنه . وقد وهب الله المصريين في سمو العباس أميراً عالي الذكاء بعيد
النظر فقوي دعائم الصلة بين مصر والدولة العلية وحقق بذلك أمانى
المصريين عن بكرة أبيهم وبنية العثمانيين أجمع . وما أظهر العباس اخلاصه
لسلطانه العلى الشأن حتى حنق الانكليز عليهما ودرسوا الدسائس ضد الدولة في
كل بلادها وخلقوا المسئلة الارمنية وأوحوا الى سماسرتهم في الاستانة بذر

بذور الشقاق والبغضاء بين العباس وبين جلالة السلطان الاعظم ، ولكن حكمتهما أحبطت المساعي الانكليزية وخرجت انكثرا من المسئلة الارمنية بالفشل والخذلان بفضل السياسة الحميدية النبيلة والمجهودات العظيمة العديدة التي بذلتها انكثرا للتفريق بين مصر والدولة العلية وتكدير صفاء العلائق بين سمو الخديو المعظم وجمالة السلطان الاعظم هي دليل ساطع على أن في الاتفاق بين مصر والدولة العلية سلامة مصر وخيبة انكثرا.

ولقد ادعت انكثرا قبل الاحتلال الانكليزي وبعده أن جل أمانها تقوية السلطة الخديوية في مصر وترقية شأن المصريين وجعلهم كفؤا لأن يحكموا بلادهم بأنفسهم . ولكنها لما احتلت مصر جرت على نقيض ذلك فعملت على هدم السلطة الخديوية ودك أركانها وملاأت المصالح والادارات بالانكليز وطردت المصريين من الوظائف السامية . وقد ظهرت أعمال الانكليز في مصر ونواياهم ظهور الشمس في رابعة النهار في عهد سمو الخديو الحالي { عباس حلمي باشا الثاني } حيث جاء مطالباً بحقوقه الشرعية متمسكا بحقوق أمته واستقلالها فعارضته انكثرا ووجهت اليه على لسان جرأئدها وصنائعها الطعن القبيح وصار الانكليز في مصر يقربون منهم كل دخيل أو كل خائن يتظاهر بكراهة الامير المحبوب وبمخالفة آرائه واحساساته ويبعدون عنهم ويعاقبون كل مخلص لسموه . وأصبحت القاعدة الاولى للتوظيف في بلادنا التعيسة هي الجحود للوطنية وكراهة العزيز . فليكن طالب الوظيفة جاهلا ما استطاع وليكن

غير كفؤ ما أراد فانه يعين ويقدم ويساعد من الانكليز متى كان جا حدا
للوطنية عدوا للعزير . وهكذا قام الانكليز بوفاء وعودهم وعملوا على تقوية
السلطة الخديوية وتوطيد دعائم العرش الخديوي !

ولسكن مصالح الامة المصرية صارت اليوم متفقة مع مصالح الخديوية
وصارت آمال الامة وأمانها متفقة مع آمال سمو الخديو وأمانه فيستحيل
على بني مصر ان يتعدوا عن سمو العزيز (عباس حلمي باشا) لحظة واحدة بل
انهم سيحافظون على ولائه أبداً بالدهر وسيكونون على الدوام أنصاره وأعوانه
. وكلما اعتدى الانكليز على حقوق سموه أو أظهروا كراهتهم لمقامه العالي
ازدادت تعلق المصريين بعرضه وتمكن من أفئدتهم الا خلاص لجناحه الرفيع

ولما رأت انكلترا ان إعادة الأمن والسلام الي ربوع مصر لا تحتاج
لزم من طويل وان أوروبا ستطالبها بعد الاحتلال بالجلاء خلقت المسئلة
السودانية ليطول احتلالها في مصر وليبقى السودان خزان الاضطرابات
والقلاقل . وقد عرف القارئ من أول هذا الفصل ان (اسماعيل باشا)
قد عين بعض الانكليز حكاماً على السودان فكانت وظيفتهم تنحصر
في ايجاد دواعي الاضطراب وتفسير السودانين من المصريين
ومن حكومة مصر . فآلقوا بأيديهم بذور الثورة والمهيجان في السودان
بمال مصر نفسها حتي قامت الثورة العربية واختلفت أحوال بلادنا ودخلها
الانكليز فرفع السودان راية العصيان في وجه مصر كما ابتغت انكلترا
. ولما كان في مصر كثير من الجنود المصرية الاشداء وقت احتلال الانكليز
لبلادنا العزيزة رأى سواس بريطانيا ان أول واجب عليهم هو اعدام

هؤلاء الجنود وحرمان مصر من أعز أبنائها فأرسلوا الحملات على السودان
 ودبروا هزيمة حتى هزمت وفقدت مصر في ثلاث سنين أكثر من ستين
 ألفاً من جنودها الاعزاء والذين نجوا من هاته الحملات المشؤومة
 يصرحون جهاراً بأن الخطة التي سار عليها القواد الانكليز للجيش المصري
 تدل دلالة لا ريب فيها على انهم كانوا يقصدون الهزيمة وسقوطه في قبضة
 الدراويش

وقد طلب الانكليز من الحكومة المصرية تقرير سلخ السودان
 عن مصر في يناير عام ١٨٨٤ حيث كانت مصلحتهم تقتضي ذلك وقتئذ
 فرفض (شريف باشا) قبول هذا الطلب بكل شمم ورفعة نفس وقدم
 استعناؤه تاركا المنصب للوزير الارمني (نوبار باشا) الذي قرر فصل
 السودان عن مصر . ولما اقتضت المصلحة الانكليزية تسيير حملة على
 السودان استصدر الانكليز أمراً عالياً بذلك وأشركوا الجنود الانكليزية
 مع جنود مصر لتزداد المسئلة السودانية والمسئلة المصرية اشكالا وتعقيداً
 وبالجملة فان انكلترا جعلت السودان خزاناً لسياستها في مصر تخرج
 منه القلاقل والاضطرابات كلما رأت ضرورة لذلك وكلما نوديت بأن
 الامن استتب في مصر وأن لا لزوم للاحتلال الانكليزي

ولما كان سلاح أوروبا ضد المسلمين هي مسئلة الدين وكانت انكلترا
 تهول دائماً على أوروبا بأن المسلمين متعصبون في الدين كلما اقتضت ذلك
 حاجتها فانها أذاعت في كل أوروبا بان المصريين متحفزون للقيام بالثورة
 ضد المسيحيين وان سلامة الاوروبيين في مصر متعلقة بدوام الاحتلال

الانكليزي . وهي وشاية سافلة ينفىها تاريخ مصر ويدحضها ماشتهر عن المصريين من التساهل والاعتدال وإكرام الغرباء والنزلاء ، ومذبحة الاسكندرية التي تذكرنا بها الصحف الانكليزية ليست بنت التعصب الديني عند المصريين بل هي ثمرة دسائس انكلترا نفسها وانه يستحيل على التاريخ أن يلقى على المصريين مسؤولية هذه المذبحة بل المسؤول عنها انما هي انكلترا دون غيرها

وكذلك أشاعت انكلترا في كل أوروبا أن المصريين قوم لا يصلحون لاستلام زمام أمور بلادهم وليسوا باكفاء لأن يحكموا أنفسهم بانفسهم وانهم في حاجة لمعونة ومساعدة الاحتلال الانكليزي . أى ان انكلترا لشفقها على المصريين تركت أبناءها في مصر يديرون أمورها ويتردون المصريين من الوظائف والادارات ! وإن تاريخ مصر في عهد العائلة الخديوية لملوء بالبراهين الداحضة لدعوى عدم كفاءة المصريين فان أبناء مصر هم الذين نظموها ورتبوا اداراتها وقادوا زمامها قبل الاحتلال الانكليزي . والذين تعاملوا وتهذبوا من أبناء مصر هم ولا محالة أكثر بكثير من الذين كانوا متعلمين من أبناء بلغاريا وصربيا يوم فصلت أوروبا هاتين الامارتين من الدولة العلية وأعلنت استقلالهما . وقد بني الانكليز على دعوى عدم كفاءة المصريين أن مصالح الدائنين تكون في خطر اذا سلمت مصر لابنائها وان في الاحتلال الانكليزي خير كفالة وأحسن ضمانا لرعاية هذه المصالح . وهو قول تكذبه الشواهد والحقائق فان المصريين لا يرفضون قبول المراقبة الدولية على المالية المصرية ، والحزب

العراقي نفسه كان يعلن في كل فرصة انه لا يريد المساس بحقوق الدائنين
وانه يقبل المراقبة الثنائية . واذا كان هناك خطر على مصالح الدائنين فهو
في بقاء انكترا في مصر فان أطماعها وأغراضها سولت لها وضع يدها
بواسطة الحكومة المصرية على جزء من أموال صندوق الدين للانتفاع
به في الحملة السودانية واضطرت أن ترده ثانية عند ما حكمت عليها
المحاكم المختلطة . ولكن بعد أن تحقق الدائنون وحملة القراطيس من ان
انكترا لا تخدم في مصر سوى مصالحها وانها تضحي مصالحهم في سبيل
سياستها وآراءها

*

* *

رأى القارىء مما سبق ان انكترا دبرت مذمجة الاسكندرية
وتركت هذه المدينة الزاهرة ميدانا للاشرار والاصوص فهبت المخازن
والاسواق واضطرت الحكومة المصرية لدفع التعويضات الطائلة بعد دخول
الانكليز في مصر . ولما رأت الحكومة المصرية انها في عوز شديد للعمال
اقتضت في عام ١٨٨٥ مبلغ تسعة ملايين من الجنيهات ودعت الحكومة
الانكليزية الدبل الاوروبية للاشتراك معها في تقرير المسئلة المالية في
مصر . فاجتمعت لجنة دولية بلوندره وقررت في ١٧ مارس عام ١٨٨٥
جعل مصاريف الادارات المصرية في كل عام خمسة ملايين من
الجنيهات .

واتفقت الدول على عقد لجنة دولية أخرى بباريس في ٣٠ مارس
عام ١٨٨٥ نفسه لتقرير جعل قنال السويس على الحيادة وتقرير حرية

المرور فيه لكل دولة وفي كل وقت . فاجتمعت اللجنة الدولية في باريس وتداولت في المسئلة واتفقت على جعل قنال السويس على الحيادة وختمت جلساتها في ١٣ يونيو عام ١٨٨٥ ولكنها لم تنفق على نقطة واحدة وهي طريقة تنفيذ قرارها . فمندوب فرنسا عرض على اللجنة اناطة تنفيذ هذا القرار بلجنة مشككة من مندوبين من كل الدول العظمي ومن مندوب مصرى يكون له رأي استشارى وجعل هذه اللجنة تحت رئاسة مندوب عثمانى . ولكن مندوب انكلترا رفض هذا الاقتراح وعرض على اللجنة تكليف الحكومة المصرية (التى للانكليز فيها الكلمة النافذة) بتنفيذ هذا القرار الدولى المختص بقنال السويس

وهذا الاختلاف في طريقة تنفيذ القرار الدولى جعل عمل اللجنة لاغياً بالمرّة لان المسئلة وقفت عند هذه النقطة . ويتضح للقاريء جلياً من اقتراح المندوب الانكليزى فى اللجنة الدولية أن انكلترا تريد مد سيطرتها على قنال السويس وجعله ترعة انكليزية واستعماله وقت الحرب ضد الدولة أو الدول التى تكون محاربة لها . وما عملته انكلترا فى قنال السويس أيام الحوادث العرابية مع وعدّها السابق للمسيو (دى لسبس) بعدم المساس به وعدم ارسال جنودها اليه يدل بأوضح بيان على ان انكلترا لا تحترم عهدا ولا ترعى ميثاقا متى اقتضت مصلحتها انتهاك حرمة العهد والميثاق

وانه لا يمكن للدولة الاوروبية ان تأمن خطر استئثار الانكليز بقنال السويس الا اذا حررت مصر وسلمتها لابنائها وجعلت « حيادة قنال

السويس وحرية المرور فيه لكل دولة وفي كل وقت « تحت رعاية الحكومة المصرية الاهلية الحرة لا تحت رعاية حكومة مصرية زمامها بأيدي الانكليز . فمسئلة قنال السويس هي من أهم المسائل التي تحتم على اوروبا الالتفات لمسئلة مصر والعمل على حلها . وان تقدم المانيا في الاستعمار وانتشار تجارتها في الشرق الاقصى لمن الامور التي تحتم على هذه الدولة في المستقبل ان تكون أول الدول اهتماماً بمسئلة مصر وأكثرها عملاً على تخليص بلادنا العزيزة من تحت نير الانكليز

*

* *

لقد عمل الانكليز في عام ١٨٨٥ على أن يخذعوا تركيا مرة جديدة وينتفعوا بها ضد روسيا بدون ان ينفعوها ، وذلك انه لما اشتد الخلاف بين انكلترا وروسيا بسبب مسئلة افغانستان أرسل اللورد سالسبورى الى الاستانة السير { درومندولف } بحجة عقد اتفاقية مع الباب العالي بشأن مصر تحل فيها عقد المسئلة المصرية . وكان المقصد الحقيقي من مأمورية السير { درومندولف } هو استمالة تركيا الى انكلترا والعمل على عقد اتحاد معاهضد روسيا وتغريرها بأن انكلترا مستعدة للجلاء عن مصر حتى تقبل عقد هذا الاتحاد . ولكن الخلاف بين روسيا وانكلترا سوى في لوندرة أثناء وجود السير { درومندولف } بالاستانة واتفقت الدولتان في ١٠ سبتمبر عام ١٨٨٥ على استيلاء روسيا على « البندجية » وترك « ميروسحاق » و « ذوالفقار » الى افغانستان . فانتهت بذلك مأمورية السير (درومندولف) في الاستانة ولكنه بقي في العاصمة العثمانية زمناً لكي

لا تظهر حقيقة اغراض انكلترا . وقد اتفقت معه الحكومة العثمانية على ارسال مندوب عثمانى عال بصحته الى مصر لدراسة أحوالها معاً ووضع اتفاقية بالاشتراك تعرض بعدئذ على تركيا وانكلترا للتصديق عليها . فسافر الى مصر مع دولة الغازي (مختار باشا) وأخذ يماطله طول عام ١٨٨٦ بدون فائدة ثم عاد فجأة الى لوندرة وترك المندوب العثماني وحده ، وقد وضع عندئذ دولة الغازي { مختار باشا } تقريراً جليلاً على تنظيم الجيش المصري واسترداد السودان

ولما علمت الحكومة العثمانية والحكومة الفرنسية بسفر السير (درومندولف) الى لوندرة سألتنا الحكومة الانكليزية عن سبب هذا السفر فأجابتهما وزارة لوندرة بارسال السير (درومندولف) الى الاستانة للمخاطبة مع الحكومة العثمانية مباشرة . ولما وصل السير (ولف) الى الاستانة — وكان ذلك في عام ١٨٨٧ — عرض على الحكومة التركية مشروع اتفاقية بشأن مصر تتضمن انجلاء العساكر الانكليزية من مصر بعد ثلاث سنين من عام ١٨٨٧ (أي في عام ١٨٩٠) ولكن على شرط انه لو حصل قبل انجلائها اضطراب في مصر يدعو الى استمرار الاحتلال بقيت الجنود الانكليزية وأطول أمد الاحتلال وأنه اذا حصل في مصر بعد خروج العساكر الانكليزية منها أي هيجان أو أي اضطراب يكون لانكلترا وحدها دون سواها الحق في ارسال جنودها الى مصر

وقد قبلت الدولة العلية هذه الاتفاقية وأمضي عليها الصدر الأعظم في ٢٢ مايو عام ١٨٨٧ ولم يبق الا تصديق جلالة السلطان الاعظم عليها

. ولكن فرنسا المعلمت بها عارضت تصديق جلالة السلطان عليها كل المعارضة واستعانت بالروسيا على مساعدتها لدي الحضرة السلطانية . وهذه هي المرة الاولى التي اتفقت فيها فرنسا والروسيا على مسألة سياسية بعد مؤتمر برلين .

وقد أرسل الميسيو (فلورانس) وزير خارجية فرنسا وقتئذ منشورا للسفراء فرنسا في الخارج أبان لهم فيه ان اتفاقية (درومندولف) تجعل احتلال انكلترا لمصر احتلالا أبدياً إذ انه يمكنها خلق الاضطرابات والقلاقل متى شاءت خصوصا وان المسئلة السودانية لا تزال قائمة . وأبان ان هذه الاتفاقية من شأنها محو سلطة الدولة العلية عن مصر . ومما جاء في هذا المنشور قول الميسيو (فلورانس) !

« واننا { أى فرنسا } بصفتنا دولة اسلامية في البحر الابيض المتوسط لانقبل ابدأ المساس بحقوق جلالة السلطان الاعظم . فان هذا المساس يكون ذا نتيجة خيرة جدا . فكانت سياسة الميسيو (فلورانس) ترمي الى احترام حقوق الحضرة السلطانية واستمالة المسلمين الخاضعين لفرنسا بالتقرب من جلالة السلطان وباحترام حقوق الدولة العلية

وقد نجحت فرنسا والروسيا في اقتناع جلالة السلطان الاعظم بسوء نية انكلترا وباضرار معاهدة (درومندولف) فرفض جلالته التصديق على هذه المعاهدة وغادر المندوب الانكليزي الاستننة عائدا الي لوندرة ولم تحدث بعد ذلك مخبرات بشأن مصر الا في عام ١٨٩٠ ولكن اللورد سالسبورى رفض صراحة في هذه المرة تحديد أجل للجلاء

*
*

لقد اعتمدت دائماً انكلترا في سياستها في المسئلة المصرية على ألمانيا والنمسا وإيطاليا أي على دول التحالف الثلاثي. وقد صرح اللورد (غرانفيل) بعد احتلال الانكليز لمصر بأن البرنس (بسمارك) هو الذي نصح انكلترا بأرسال جنودها الى وادي النيل . فالبرنس (بسمارك) كان يري ان احتلال الانكليز لمصر يشغل فرنسا عن مسئلة الانزاس واللورين ويخلق العداوة بينها وبين انكلترا ويجبر الدولة العلية على مصافاة ألمانيا والعمل على استماتها ضد انكلترا . ولذلك ساعد الانكليز في مصر كثيرا وبقيت دول التحالف اثنائي زمنا طويلا عضداً قويا لانكلترا في مصر . وكان من دهاء سواس بريطانيا أنهم خدعوا إيطاليا وأظهروا لها المودة والمحبة وسلموها بعض شواطئ البحر الاحمر وأوقعوها في شباك الاستعمار فاضطرت لمساعدتهم في مصر . ولما انهزمت جيوشها أمام الاحباش استغاثت بانكلترا وتوسلت اليها بألمانيا فاهتمت انكلترا بالأمر وتظاهرت بالميل لمساعدة الايطاليين واتقاذهم وجبرت الحكومة المصرية على إرسال حملة دنقلة بحجة نصره إيطاليا وتخليصها من أيدي الاحباش والدررايش !! وبدهاء السياسة الانكليزية أفلحت انكلترا في الاعتماد على ألمانيا ودواتي النمسا وإيطاليا حليفتيها في مسئلة مصر وحققت كثيرا من أمانها . وقد أفهم سواس بريطانيا رجال السياسة الألمانية ان فرنسا تنوي الاستيلاء على مصر وان جنودها تحتل مصر اذا خرجت هي منها . فالتجذع لهذه

الاباطيل سواس ألمانيا واعتقدوا - أو تظاهروا بالاعتقاد - بأن المسئلة المصرية مسئلة فرنساوية وأن السمي في الجلاء يكون خدمة كبري لفرنسا . وما تحدثت مع سياسي ألماني في برلين الا وصرح لي بأن ألمانيا تعتبر المسئلة المصرية مسئلة فرنساوية وانها لذلك تفضل مساعدة انكلترا على مساعدة فرنسا

وهذا الاعتقاد الفاسد الراسخ في أذهان الكثيرين من الالمانيين هو ولا شك من أهم أسباب مساعدة ألمانيا لانكلترا في مصر . فبينما نرى السياسة الالمانية تعضد الدولة العلية كل التعضيد وتساعد على إحباط مساعي انكلترا ودسائسها في أرمنيا وكريد واليونان نرى هذه السياسة نفسها نصيرة لانكلترا في مصر !! كأن المسئلة المصرية غير مرتبطة بالمسئلة الشرقية وكأن مصر ليست بجزء من الدولة العثمانية !

ولكنه يمكننا أن نجزم بأن السياسة الالمانية لاتخدم المصالح الانكليزية في مصر الي النهاية . فان علاقات ألمانيا مع انكلترا تكدرت كثيرا عن ذي قبل والمنافسة تزداد كل يوم بين الدولتين في التجارة والاستعمار . ولا ريب عندي ان السياسة الحميدية النبيلة تجذب اليها ألمانيا في المسئلة المصرية كما جذبتها نحوها في المسئلة الشرقية . ولكن بلوغ هذه الغاية لا يكون الا اذا جاءت الظروف المناسبة وحانت الفرص . وفضلا عن ذلك فان مستعمرات ألمانيا في أفريقيا وفي آسيا تقع تحت خطر عظيم اذا وقعت بلاد النيل في قبضة انكلترا وصارت ملكا لها . فان مصر مفتاح افريقية وآسيا وماضيها وحاضرها ينذران الامم كافة بأن الدولة الحاكمة لها تكون

أقوي الدول بطشاً ويكون في استطاعتها أن تضرب بمصالح العالمين
 فمسئلة مصر ليست كبقية المسائل الافريقية والاسيوية بل هي المعضلة
 الكبرى في سياسة هذا العصر . ولا يغرن القراء تقدم انكلترا في مصر
 وازدياد سلطتها فيها وفي حكومتها فذلك لا يؤثر مطلقاً على جوهر المسئلة
 المصرية نفسها . وسواء كان الانكليز في مصر ثلاثة أشخاص أو ثلاثة
 ملايين وسواء كانوا بغير سلطة أو أصحاب السلطة كلها فالمسئلة المصرية
 واحدة لا يؤثر عليها قلة عدد الانكليز في مصر أو كثرتهم . وكما أن مصر
 كانت في الماضي كنانة الله في الارض فهي كذلك لا تزال قبرا
 للامم الطاغية . وأفراد الانكليز الذين يحكمون على المستقبل بالماضي
 ويعرفون أن أدوار التاريخ تتجدد ولا تتغير حكوا صريحا بان دوام
 الانكليز في مصر خطر على الدولة البريطانية وأنه يكون سبباً لدمارها . ولقد
 قال اللورد (سالسبوري) أخيراً في إحدى خطباته « ان سياسة الطمع هي
 سبب خراب الممالك العظمى » . فليعتبر هو نفسه وليعتبر سواس بريطانيا جميعا
 بهذه الحكمة العالية . فان سياسة بريطانيا في مصر سياسة طمع وشراهة لا مثيل
 لهما . كيف لا وهي ترمي الى تأسيس مملكة افريقية بتنديء من الاسكندرية
 وتنتهي عند رأس الرجاء الصالح وتعمل لهذا الغرض غير ملتفتة الى حقوق
 الأمم التي تستعبد لها ولا الى المصائب التي تسببها عليها ولا الى الدماء التي
 تسيلها فيها»

ولقد أبنا في رسالة (اخطار الاحتلال الانكليزي) النتائج الخطيرة
 التي تنتج عن بقاء الانكليز في مصر وأوضحنا ان وراء المسئلة المصرية

جملة مسائل سياسية من الخطارة والأهمية بمكان، فوراها مسألة تجارية دولية . ومسئلة البحر الابيض المتوسط . ومسئلة افريقية . ومسئلة اسبوية . ومسئلة مسيحية . ومسئلة اسلامية

فاذا استولت انكلترا على مصر صار من المستحيل على الاوروبيين القاطنين بها أن يعيشوا فيها فان انكلترا تضيق عليهم مسالك الحياة لينفرد أبنائها بمكاسب مصر وخيراتها ولتكون أبواب مصر مفتوحة للتجارة الانكليزية دون سواها. وهذه سياسة انكلترا في كل بقعة ترفع عليها رايها ويقضي عليها سوء الحظ بالوقوع في قبضتها . ذلك فضلا عن ان التجارة الاوروبية يستحيل عليها عندئذ ان تصل الي السودان أو الى أواسط افريقيا فان طريق النيل البديع يكون محتكراً للانكليز وللتجارة الانكليزية ليس الا . فامتلاك انكلترا لمصر هو في الحقيقة موت للتجارة الاوروبية في مصر وفي السودان وفي افريقيا الوسطى وقضاء على الاوروبيين القاطنين بمصر

واذا امتلكت انكلترا مصر صار البحر الابيض المتوسط بحيرة انكليزية وضاعت الموازنة بين الدول الاوروبية . فان انكلترا يمكنها بواسطة جبل طارق ومالطة وقبرص وموانئ مصر وقنال السويس ان تقتل بحرية كل دولة وأن تبقى وحدها سيدة البحر الابيض المتوسط . وهو خطر لا محالة عظيم على الدول الاوروبية لا يمكن لها دفعه بغير تحرير مصر وتركها مستقلة في إدارتها مستقلة بالسيادة العالية للدولة العلية

وامتلاك انكلترا الوادي النيل يجعل مستعمرات الدول الاوروبية

بأفريقيا عديمة النفع ويضيع التوازن الدولي من أفريقيا . فان بقية المستعمرات الدولية منفصلة عن داخل أفريقيا بصحاري واسعة وجبال صخرية وعرة لا كوادي النيل يجري فيه نهر عظيم يوصل التجارة وأصحابها الي أواسط أفريقيا ويسهل لأصحابه الوصول الي أي جهة من الجهات الأفريقية

وكما ان الموازنة بين الدول في أفريقيا تضيع تماماً باستيلاء الانكليز على مصر فان هذه الموازنة تضيع أيضاً من آسيا اذا تمت لانكلترا الكلمة في وادي النيل . فان السياحة في الشرق الاقصى وفي المياه الاسيوية تكون متعلقة باهواء انكلترا ورغائبها ومستعمرات الدول في آسيا تكون تحت رحمة انكلترا . فبريطانيا التي أنزلت جنودها على شواطئ قنال السويس في عام ١٨٨٢ واستأثرت بمنافع القنال وقتئذ هي بعينها بريطانيا التي يمكنها متى اقتضت حاجتها ذلك أن تقفل قنال السويس في وجه الدول كافة وتفصل بينها وبين مستعمراتها الأسيوية

وقد علم القارئ مما كتبناه عن (مسألة الشام بين مصر والدولة العلية) أن المغفور له (محمد علي باشا) كان يريد الاستيلاء على الشام لتقوية ملكه في مصر عملاً برأي نابليون من أن الشام ضروري لمصر ومصر ضرورية للشام . فاذا استولت انكلترا على مصر هل تكون الشام وقتئذ في مأمن من اعتداء الانكليز عليها ؛ وفي أية حالة تكون الدنيا اذا صار بيت المقدس والاماكن المقدسة في أيدي بريطانيا البروتستانتية ؛ وماذا يعمل الكاثوليكيون والارثوذكسيون حين ذلك ؛ بل وماذا

يعمل المسلمون ؟

إن استيلاء انكلترا على مصر لخطر عظيم على العالمين وحادث يجر على
 بنى الإنسان اكبر المصائب وأشد النوائب ، وقد يقول بعض الناس
 باستحالة تحقق هذه النتائج التي أتينا عليها أو بعد إمكانها . ولكن رجال
 السياسة يجب عليهم أن ينظروا الى النتائج البعيدة وأن يتداركوا الاخطار
 الآتية ولو كان وقوعها بعد قرن أو بعد قرون

وقد قلنا ان وراء المسئلة المصرية مسئلة إسلامية وأو ضمنا في مقدمة هذا
 الكتاب ان انكلترا تعمل من يوم احتلالها لمصر على تقسيم الدولة العلية
 ولا تري لوجودها في مصر سلامة الا بهدم السلطنة العثمانية ووضع
 يدها على مصر بصفة نهائية وضم بلاد العرب اليها وجعل الخلافة عربية
 في قبضة رجل يكون آلهما . فلذلك كانت مسئلة مصر روح المسئلة
 الشرقية وكان وجود الانكليز في مصر خطرا كبيرا على المملكة العثمانية .
 ولذلك يجب على سواس الدولة العلية ان يهتموا بمسئلة مصر أشد
 الاهتمام وان يجعلوها في مقدمة المسائل الحيوية للدولة والملة . وكما أن
 انكلترا خدعتهم في الحوادث العراقية أعظم خديعة دونها التاريخ فانه يجب
 عليهم ان يعملوا على إخراجها من مصر إرضاء لشرف الدولة العلية وانقاذاً
 لها من أشد الاخطار

ولا ريب ان أنظار المسلمين في سائر أنحاء الارض موجهة الى مصر
 فهي بعد الحجاز البلاد التي يحج اليها المسلمون أكثر من سواها . ولقد
 ذكرت بلادنا العزيزة في القرآن الشريف ثلاثة وثلاثين مرة استلفاناً

لا تُنظر المسلمين إليها ودلالة على أهميتها الخاصة بها بين البلاد الإسلامية .
وسماها الرسول عليه الصلاة والسلام بالرباط الأكبر لأنه بواسطتها يمكن
للخلافة الإسلامية أن تدافع عن المدائن المقدسة { بيت المقدس ومكة
والمدينة }

وقد اعتبر المسلمون من عهد النبي الكريم أن بلاد الشام وبلاد مصر
وببلاد العرب يجب أن تبقى إلى الأبد ملكاً للإسلام . فهذه البلاد هي التي
سكنتها سلالة سيدنا الخليل (إبراهيم) عليه السلام الذي جري رسولنا
الكريم على سنته وجاء متمم الدينه وشريعته . ولما دخل الصليبيون الشام
أيام الحروب الصليبية قام المسلمون أجمعون لاسترجاعها وما هدأت أحوال
العالم إلا برجوعها في قبضة الإسلام . فكذلك مصر لا يطمئن المسلمون بها
وبأحوالها إلا إذا خرج الإنكليز منها وعادت تحت السلطة الإسلامية الحقيقية
وإذا أضفنا إلى ما تقدم أن مصر مشرق الأنوار بين المسلمين ومهد
العلوم والعرفان وأنها محط رحال الذين يريدون التعلم والتحصيل علمنا مقدار
اهتمام العالم الإسلامي بأحوال بلادنا المحبوبة وعلمنا خطورة المسئلة المصرية
بالنسبة للمسلمين خصوصاً

ولا غرابة إذا كنا تكلمنا على المسئلة المصرية من الوجهة الدينية
الإسلامية فإن السياسة لا انفصال لها عن الدين . وبالاحساسات الدينية
تقاد الأمم أسهل مما تقاد بالاعتبارات السياسية . وقد أرتنا أمم أوروبا
التمتدنة نفسها أن الدين أساس السياسة وانها مهما بلغت من الحضارة والمدنية
فإن الشعائر الدينية هي عامل من أهم العوامل في حياة الأمم بل أهمها وأعظمها

• وأوضح دليل على ذلك تداخل أوروبا في شؤون الدولة العلية باسم الدين
ومعاداة المسيحيين لليهود في كل بلاد أوروبا وتظاهرهم ضدهم في مجالس
النواب وفي الشوارع وفي المتنديات
وبالجملة فمسئلة مصر تعتبر أول مسئلة حيوية للدولة العلية وللخلافة
الاسلامية . ودسائس انكلترا ضد الدولة في المسئلة الارمنية وفي غيرها
من المسائل تظهر للقاريء بأجلى بيان أهمية المسئلة المصرية وضرورة اهتمام
العالم كله بها

واذ كانت مسئلة بلادنا بهذه الأهمية وكان خروج الانكليز منها مما
لا بد منه عاجلاً كان أو آجلاً فيجب على سائر المصريين أن يتسكوا بحقوقهم
المقدسة أشد التمسك وان يطالبوا بها بكل الوسائل وفي كل وقت وأن
فأصحاب الحقوق في مسئلة مصر عديدون وليكن أكثرهم حقوقاً
واكبرهم نصيباً هم ولا محالة المصريون

وقصاري القول انه يجب علينا أن نعمل لتقريب ميعاد الجلاء وان
ننشر المعارف في انحاء البلاد وفي سائر القرى حتي يعرف كل مصري حقوقه
وواجباته نحو الوطن والامة وحتى لا يعتدى لصوص الحرية على بني الوطن العزيز
وان الوطني الحقيقي هو الذي يظهر وطنيته في وقت الشدائد ويقول
ويعمل بهذا القول : « انى لو استطعت ان اغير وجه البسيطة لا تقاذ
بلادى لغيرته بدون تردد »



— ❧ الأزمة السادسة ❧ —

(المسئلة البلغارية والمسئلة اليونانية)

من عام ١٨٨٥ الي عام ١٨٨٧

علم القارىء مما سلف ان الروسية أسالت دماء أبنائها في حرب عام ١٨٧٧ مع الدولة العلية وصرفت الاموال الطائلة لاخراج بلغاريا من تحت سلطة الدولة وتشكيلها إمارة قائمة بنفسها وانها في معاهدة سان اسطفانوس اشترطت جعل البلاد التي يسكنها البلغاريون إمارة واحدة أى عدم تقسيم بلغاريا الي قسمين . وعلم القارىء أيضا أن مؤتمر برلين قرر فصل الاراضي البلغارية الي قسمين وتسمية القسم الجنوبي منها بالروملي الشرقي وجعله تحت سلطة تركيا مباشرة . وقد أبنا ان الروسية بذلت غاية جهدها في تحريض أهالى الروملي الشرقي على رفع لواء العصيان في وجه الدولة العلية والانضمام الي بلغاريا . وكان ذلك عقب مؤتمر برلين أي لما كانت الروسية تؤمل استعمال بلغاريا آلة لهائي البلقان وتسيير أمورها حسب مرامها . ولكن البرنس { بسمارك } أوجد الشقاق بين الروسية والنمسا في بلاد البلقان وعلى الخصوص في بلغاريا حيث استمال هذه الامارة الناشئة الي النمسا وجعلها في دائرة نفوذها

ولما كانت العداوة بين الروسية والنمسا واشددة وكانت الروسية تتقرب من فرنسا رأى سوّاس بريطانيا أن خير وسيلة تضمن لهم استمرار الاحتلال الانكليزي في مصر هي خدمة التحالف الثلاثي في البلقان ومساعدة النمسا ضد الروسية . فذلك أرسل اللورد سالسبرى الي البرنس (ألكسندر

دي باتبرغ) أمير بلغاريا رسائل التودد وأظهر له الميل الشديد حتى جعل هذا البرنس وجهته انكلترا وارتبط بالعائلة المالكة الانكليزية ارتباطاً أكيداً وعقد قران شقيقه البرنس { هنري دي باتبرغ } على البرنس { أليس } إحدى بنات ملكة الانكليز . ومن ذلك الحين صار أمير البلغار آلة في أيدي سواس انكلترا والنمسا . فأعزوا اليه باحداث انقلاب في الروملي الشرقي يكون بالقبض على الحاكم العثماني واعلان انضمام الروملي الي بلغاريا تحت امارته . فعمل بهذه الآراء والاياعات . وفي يوم ١٨ سبتمبر عام ١٨٨٥ قبض رجال الشرطة في الروملي الشرقي على (جافريل باشا) الحاكم العثماني وتشكلت لجنة ثورية دعت الامة للانضمام الى بلغاريا فأجابت الامة الدعوة وفي ثاني يوم لهذه الثورة ذهب البرنس (ألكسندر) الى { فيلبوبوليس } وأعلن انضمام الروملي الشرقي الى بلغاريا وتولى زمام الأمور .

وفي يوم ٢٤ سبتمبر أرسل البرنس (ألكسندر) مذكرة رسمية لكافة الدول الاوروبية أخبرها فيها بمحدث ١٨ سبتمبر وسألها اعتبار الروملي الشرقي جزءاً من بلغاريا والتوسط لدي الدولة العلية لكي تعترف بهذا الانقلاب الجديد

وما انتشر خبر انضمام الروملي الشرقي الى بلغاريا في أوروبا حتى ظن الكثيرون ممن يجهلون أسرار السياسة في البلقان ان روسيا هي المحرصة على هذا الانقلاب وانه يسرها أن تري كل البلغاريين تحت حكومة واحدة وان تؤسس { بلغاريا الكبرى } . ولكن الحقيقة

مناقضة لذلك فان روسيا رأت بعين السخط انضمام الروملي الشرقي الى بلغاريا وساءها تأسيس (بلغاريا الكبرى) لانها كانت تود تأسيسها وهي ربيبة لها لا وهي عدوة تعمل بآراء النمسا وانكلترا . فلذلك احتجت على هذا الانقلاب واستعفي ضباطها الذين كانوا في الجيش البلغاري وطلبت من أوروبا عقد لجنة دولية بالاستانة للنظر في مسألة بلغاريا لما في انضمام الروملي الشرقي اليها من مخالفة قرارات مؤتمر برلين فأجابت الدول سوؤها وقررت عقد لجنة دولية بالاستانة

أما الدولة العلية فقد رأى وزراؤها انها مضطرة لقبول قرارات أوروبا وانه لا يمكنها استرداد الروملي الشرقي بالقوة . ولكن جلالة السلطان الاعظم كان يرى ضرورة استعمال القوة والمحافظة على حقوق الدولة بكل الوسائل فأسقط وزارة (سعيد باشا) وأمر (كامل باشا) الذي كان وقتئذ سفيراً للدولة العلية في سان بطرسبورغ بتشكيل وزارة جديدة وعينه صدراً أعظم . وقد كان جلالة السلطان الاعظم يؤمل مساعدة روسيا له ضد دول التحالف الثلاثي وضد انكلترا غير ان رجال السياسة الروسية أفهوا (كامل باشا) أنهم لا يرون بداً من الانصياع لقرارات اللجنة الدولية المزمع عقدها بالاستانة . فاضطرت الدولة العلية لقبول تعيين مندوب من قبلها لحضور هذه اللجنة

ولقد كانت نتيجة انضمام الروملي الشرقي الى بلغاريا ان اليونان و صربيا قامتتا بالبتين بنصيدهما من أملاك الدولة العلية مقابل مانات بلغاريا وأخذت كل واحدة من هاتين المملكتين تجهز جنودها وتستعد للحرب . وقد حشدت

بلغاريا كذلك جيشها على حدود صربيا وعلى حدود الدولة العلية وكان يتخيل لكل انسان وقتئذ ان نيران الاضطراب في البلقان ستمتد الي أوروبا وتشعل الحرب فيها . فلما رأت ذلك دول أوروبا أرسلت في ١٥ اكتوبر عام ١٨٨٥ مذكرة الي الدولة العلية والي بلغاريا ابانت فيها انها غير موافقة على عمل بلغاريا وانها تحترم معاهدة برلين وحقوق جلالة السلطان ونصحت فيها بلغاريا بعدم حشد جنودها على الحدود التركية

وقد اجتمعت اللجنة الدولية بالاستانة في ٥ نوفمبر وبعد اجتماعها بتسعة أيام أعلن (ميلان) ملك الصرب الحرب على بلغاريا . ولما وصل اعلان الحرب الي البرنس (الكسندر) أمير بلغاريا استغاث هذا الامير بالدولة العلية بصفتها صاحبة السيادة العالية على بلغاريا واستأذنها في رد الصربيين عن بلاد بلغاريا . وبعد اصطلاء نيران الحرب بزمن قليل انتصر البلغاريون على الصربيين في (سليفيتزا) وردوهم على أعقابهم خاسرين . وقد هاجت أوروبا لهذه الحرب وخافت عواقبها فأرسلت في ٢٤ نوفمبر عام ١٨٨٥ مذكرة الي الحكومة الصربية طلبت منها ان تسأل بلغاريا عقد الهدنة وعدم الاستمرار على إسالة دماء «الاشقاء» أي الصربيين والبلغاريين فقبلت الصرب ذلك ولكن بلغاريا لم تقبل بحجة أنها المعتدى عليها وانها مضطرة لطرد الصربيين خارج حدودها . فاستمر البرنس (الكسندر) يحارب الصربيين وينتصر عليهم حتي وصل مدينة (بيرو) وعندئذ أذرتة النمسا بعدم التقدم الي الامام فوققف وقبل عقد الهدنة

أما روسيا فقد بقيت على الحيادة أثناء الحرب ولكنها بالرغم عن

احتجاجها ضد ضم الروملى الشرقى الى بلغاريا هنأت البلغاريين على انتصارهم وشكرت شهامتهم . وهذا يدل على ان العواطف الدينية تغلب دائماً على الاميال السياسية وان الدين هو فى أغلب الظروف رائد الامم والدول فى سياستها

وقد استمرت اللجنة الدولية بالاستانة فى مناقشاتها ولكن المندوب الانكليزي اجتهد فى جعل هاته المناقشات بغير نتيجة فرفض تعيين حاكم عثماني للروملى الشرقى وإجبار البلغاريين على احترام معاهدة برلين ولما رأت أوروبا ان جيش بلغاريا لا يزال واقفاً أمام الجيش الصربي قررت ارسال لجنة دولية مشكلة من بعض رجال العسكرية فى أوروبا لفصل الخلاف بين المتحاربين فسافرت اللجنة الدولية وقررت انجلاء العساكر الصربية من ضواحي (فيدين) — وهى مدينة بلغارية — قبل انجلاء العساكر البلغارية من (بيرو) بيومين

وقد أرسلت الدولة العلية مندوبين الى الروملى الشرقى لدراسة أحوالها واستمالة الاهالى الى الدولة ولكنهم لم يفلحوا فى مأموريتها . وبعثت كذلك مندوباً عالياً الى البرنس (الكسندر) ليرشده فى مخبراته بشأن عقد الصلح مع الصرب . وكانت انكلترا فى ذلك الحين تظهر لتركيا المحبة والولاء وكان السير (درومندولف) فى الاستانة يفهم رجال تركيا بان بريطانيا ترغب الاتفاق مع الدولة العثمانية وتقرير الجلاء عن مصر معها . فالتحق رجال السياسة التركية لاقوال السير (ولف) وازداد نفوذ انكلترا فى تركيا وقتئذ ازيداً عظيماً . وكانت نتيجة هذا النفوذ

غبن تركيا في مصر وفي الروملى الشرقى غبنا فاحشا . فان الدولة العلية رضيت
 أن تضحى الروملى الشرقى في سبيل خروج العساكر الانكليزية من
 مصر وتساهلت مع انكلترا فقبلت طلبها بشأن تعيين البرنس (الكسندر)
 أمير بلغاريا حاكما على الروملى الشرقى

*
 * *

وقد أخذت اليونان تجهز معدات الحرب وتسلح جنودها وتستعد
 لمحاربة الدولة العلية . وفي ٣١ ديسمبر عام ١٨٨٥ أرسلت الوزارة اليونانية
 -- التي كان يرأسها وقتئذ المسيو (دليانيس) -- منشورا لوكلائها لدى
 الدول الاوروبية أمرتهم فيه بتبليغ هاته الدول بان اليونان لم تستول على
 كل ماقرته لها اللجنة الدولية بالاستانة في عام ١٨٨١ وانها مستعدة لأخذ
 نصيبها من أملاك تركيا بالقوة والسلاح . فنصحتها أوروبا كما نصحت صربيا
 وبلغاريا بالقاء السلاح وبالكف عن حشد الجنود فلم ترضخ النصيحة الدول
 واستمرت على غيها . ولما رأت أوروبا ان الحرب اذا قامت بين اليونان و تركيا
 كانت الطامة الكبرى على اليونان عملت على انقاذ هذه المملكة بالرغم عنها
 وقررت ارسال سفنها وأساطيلها في مياه اليونان لارهابها واجبارها على
 الخضوع والامثال لارادتها . وقد تجنبت فرنسا الاشتراك مع بقية الدول في
 هذه المظاهرة البحرية لما لليونانيين من المكانة في قلوب الفرنسيين

أما صربيا وبلغاريا فقد أنذرتهم أوروبا بمذكرة تاريخها ٣١ يناير
 عام ١٨٨٦ بانه اذا اعتدت احدهما على الاخرى ساعدت أوروبا المعتدى
 عليها ولا تسمح للمملكة المعتدية بالاستيلاء على شيء ما من أراضي

المعتدى عليها. وقد كان البرنس {كاراجورجفيتش} صهراً أمير الجبل الأسود يطوف وقتئذ عواصم أوروبا ويعمل لخلق الملك (ميلان) وتوليته مكانه ملكاً على صربيا فاضطر الملك ميلان الى عقد الصلح مع بلغاريا بمدينة (بوخارست) في ٢ مارس عام ١٨٨٦ لكي لا تتغير عواطف أوروبا من جهته وقد طلبت روسيا من دول أوروبا النظر في المسئلة البلغارية وجعل تعيين البرنس (الكسندر) حاكماً على الروملى الشرقى لمدة خمس سنوات فقط كما تقتضيه قرارات مؤتمر برلين. فرفض البرنس قبول هذا الطلب وعزم على معارضة روسيا غير حاسب لتنتائج هذه المعارضة حساباً. ولكن روسيا توصلت الى تحقيق ماعرضته على أوروبا فقررت اللجنة الدولية بالاستئانة في ٥ ابريل عام ١٨٨٦ جعل تعيين البرنس (الكسندر) حاكماً على الروملى الشرقى لمدة خمس سنوات وتعيين لجنة مشتركة من مندوبين من الدولة العلية ومن مندوبين من أمير البلغار لدراسة أحوال الروملى الشرقى والوقوف على احتياجاتها وعرض النظام الذى يتفق عليه المندوبون على اللجنة الدولية. فرضخ البرنس (الكسندر) لقرار اللجنة الدولية بالاستئانة وشكل مجلساً أهلياً مشتركاً من مندوبى الروملى الشرقى ومن مندوبى بلغاريا جعله بمثابة مجلس نواب ولم تنكف اليونان في هذا الاثناء عن حشد جنودها على حدود تركيا ومعاداة الدولة العلية. فلما رأى الباب العالى ان هذه الحالة التى ليست بالسلم وليست بالحرب تضر بالدولة كثيراً وتحملها النفقات الباهظة والمبالغ الطائلة سأل الدول الاوروبية أن تجبر اليونان على سحب جنودها من

الحدود او أن تترك الدولة العلية تؤذيها بالحرب . فاهتمت اوروبا بالامر وقررت منع الحرب بين الدولة واليونان بكل الوسائط الممكنة وارسلت لهذا الغرض انذاراً للحكومة اليونانية بالقاء السلاح والكف عن الاعتداء على حدود تركيا والخضوع لرغائب اوروبا وأخبرتها في هذا الانذار بانها تجبرها على احترام رغائبها بالقوة ان لم تحترمها من نفسها وبمحض إدارتها . وقد أظهرت فرنسا من بادىء الامر ميلها لليونان ولم ترض الاشتراك مع بقية الدول في عمل مظاهره بحرية . فلما اندرت الدول اليونان رأت من واجباتها ان تنصحها بصفحتها نصيرتها الوحيدة بالرضوخ لاوامر اوروبا . فقدم الوكيل السياسي لفرنسا في أثينا مذكرة للمسيو (دليانيس) بتاريخ ٢٣ ابريل عام ١٨٨٦ نصحه فيها بعدم اعلان الحرب على تركيا وعدم مخالفة رغائب الدول الاوروبية فتظاهر المسيو (دليانيس) بتقبل هذه النصيحة وفي ٢٥ ابريل من السنة نفسها بعث الي وكيل فرنسا بأثينا يخبره بانها قبل نصيحة الحكومة الفرنسية وأنه سيعمل بها

ولكن الدول الاوروبية لم تقتنع بهذا الجواب لعلمها بان اليونانيين لا يصدقون في أقوالهم وأنهم يريدون اصطلاء نيران الحرب في كل بلاد البلقان ليختطفوا شيئاً من أملاك تركيا فارسلت الي الحكومة اليونانية في مساء ٢٦ ابريل عام ١٨٨٦ انذاراً شديداً للهجمة طلبت منها إعادة عدد الجيش الي ما كان عليه من قبل والكف عن كل عمل عدائي ضد تركيا والقيام بتنفيذ ارادة اوروبا في مدة لا تزيد عن أسبوع واحد . ولا ينس القاري أن أوروبا كانت تعمل لخير اليونان ومصالحها فان الدولة العلية

كانت تهزم اليونان شرهزيمة لو كانت أعلنت الحرب . فلذلك كان تهديد أوروبا لليونان بمثابة انقاذ لها من الوقوع في مهواة الخطر والاضمحلال .

وقد رفضت اليونان قبول الانذار الدولي وسافر وكلاء الدول بأثينا من عاصمة اليونان الا وكيل فرنسا فانه بقي بها بعدهم قليلا ثم غادرها بحجة انه يريد المداولة في الامر مع المسيو (فريسينيه) وزير خارجية فرنسا . ولما رأت الدول ان اليونان تظهر الكبرياء والترفع عن الانصياع لرغائبها أمرت قواد أساطيلها في مياه اليونان بمحاصرة الثغور اليونانية محاصرة شديدة حتى تمثلت الحكومة اليونانية لأوامر أوروبا الشفوقة عليها . فحوصرت الثغور اليونانية واضطرت وزارة (دليانيس) للاستقالة وفي ٢١ مايو عام ١٨٨٦ استلم المسيو (تريكويس) مقاليد الوزارة اليونانية فأعلن الدول الأوروبية بأنه مستعد للرضوخ لأمرها ولكنه في أثناء ذلك أوعز الى فرقة من الجيش اليوناني بالهجوم على طليعة الجيش التركي وادعى ان جيش جلالة السلطان هو المعتدي على جيش اليونان لتساعده الدول ضد الدولة العلية وترفع الحصار عن الثغور اليونانية . ولكن الدول تبهت للحيلة وطالبت الحكومة اليونانية بالقاء السلاح وإعادة عدد الجيش الى ما كان عليه من قبل وسحب الجنود من الحدود . فامثل اليونانيون للأمر وفي ٨ يونيو عام ١٨٨٦ رفعت الدول الحصار عن ثغور اليونان

وإن استعداد اليونان للحرب وتظاهرها بالعداء اتركيا في عام ١٨٨٦

ليدلان جيداً على ان هذه المملكة كانت تستعد من عهد بعيد لمحاربة تركيا وأنها لم تغفل لحظة واحدة عن تسليح جنودها وتجهيز جيشها . فلنزامها في الحرب الاخيرة دواء شاف لها من مرض غرورها . ولا أقول انه يشفيها الى الابد فان المرض كامن في النفس وعداوتها للعثمانيين والمسلمين قوية لدودة . ولكن انتصارات { أدهم باشا } تشفيها من غرورها زمنا طويلا وقد اجتهد في ذلك الحين البرنس (الكسندر دي باتنبرغ) أمير بلغاريا في تحقيق انضمام الروملي الشرقي الى بلغاريا فأنشأ الجمارك على حدود الروملي أمام حدود تركيا وصارت البضائع التركية لا تدخل في هذه المقاطعة التركية الا اذا دفعت رسوم الجمارك . وصرح أمام الجمعية العمومية التي شكلها كجلس نواب لبلغاريا والروملي بان الوحدة البلغارية تكونت وانه لا يستطيع انفصالها . فلما علمت بذلك روسيا ازداد حنقها على بلغاريا وأميرها وأرسلت في آخريونه عام ١٨٨٦ مذكرة الى الباب العالي سألته فيها أن يؤدب بلغاريا ويوقفها عند حد محدود فأجابها الباب العالي معذراً بان بلغاريا معضدة من أغلب دول أوروبا . فعند ذلك أعلنت روسيا أنها عازمة علي جعل ثغر (باطوم) ثغراً حربياً روسيا لا ثغر حراً . ولا يخفي ان ذلك يخالف المادة ٥٩ من معاهدة برلين ولكن روسيا لما رأت ان معاهدة برلين غير محترمة من البلغار أرادت أن تنتقم من الدول المعضدة لها وعلى الخصوص من انكلترا بجعل ثغر (باطوم) غير حر للتجارة . وقد احتجت انكلترا على عمل روسيا ولكن احتجاجها لم يفد شيئاً مذكوراً

وقد اجتمع مندوبو تركيا مع مندوبي أمير البلغار للنظر في شؤون الرومالي الشرقي للاتفاق على وضع دستور لها ولكن الخلاف استحکم بينهم بشأن تابعيتها فمندوبو تركيا كانوا يطالبون بجعلها كما كانت تابعة مباشرة للدولة العلية مع جعل البرنس (الأكسندر) حاكما عليها ومندوبو البلغار كانوا يطالبون بضمها تماما الى بلغاريا

ولما كانت كراهة الروسيا للبرنس (الأكسندر) تزداد كل يوم فان هذه الدولة دبرت له دسيسة عظيمة وعملت على خلعها من امارة بلغاريا. وذلك انها أوحت الي صنائها في صوفيا ان يلقوا القبض عليه ويخرجوه من بلغاريا ويؤسسوا حكومة مؤقتة. فعملوا بايعاز الروسيا وفي يوم ٢١ أغسطس عام ١٨٨٦ تمت المكيدة وقبض على البرنس (الأكسندر) وأرسل على باخرة لجهة غير معلومة. وزج المسيو (كارا فلوف) وزيره الاول في السجن وأسس أصحاب المكيدة لجنة منهم للنظر في الامور لحين تعيين أمير جديد لبلغاريا. ولا شك ان هذا الحادث الخطير كان ضربة قاضية على سياسة انكلترا في الشرق وكان من شأنه ان يزيد في النفور بينها وبين الروسيا. وقد حسبت انكلترا انه يمكنها مقاومة الروسيا في بلغاريا بمساعدة ألمانيا والنمسا واعادة البرنس (الأكسندر) أميراً على بلغاريا ولكن المانيا التي كانت بيدها سياستها وسياسة النمسا تخوفت من معاداة الروسيا الي هذا الحد وتركت مسألة البرنس (الأكسندر) للظروف والحوادث. وكان الكثيرون من رجال السياسة يحسبون ان الامة البلغارية تقابل خلع البرنس (الأكسندر) بغير حراك وتمثل لارادة اللجنة الثورية التي خلعت بايعاز الروسيا ولكن الامة البلغارية

كانت متعلقة بالبرنس (الكسندر) ولم تنس انه نصرها على صربيا نصرًا
 ميناوأنه ضم الى بلغاريا (الروملى الشرقى فهاجت وماجت وتظاهرت فى
 الشوارع والمنتديات العمومية بالميل للبرنس (الكسندر) طالبة اعادته أميراً عليها
 . وفى يوم ٢٤ أغسطس عام ١٨٨٦ أي بعد ثلاثة أيام من خلع البرنس (الكسندر)
 قبض الالهالى على أعضاء اللجنة التي خلعت البرنس وزجوههم فى السجن
 وشكلوا لجنة مكونة من الميسو (ستامبولوف) والميسو (مارافلوف)
 ومن آخرين بهيئة حكومة مؤقتة وكفوههم باخبار البرنس (الكسندر)
 رسمياً بأن الامة البلغارية تريد رجوعه أميراً عليها ، فأخذوا يبحثون عن
 مقر البرنس حتى علموا أنه فى المانيا فأخبروه تلغرافياً بالامر ودعوه
 للعودة الى صوفيا فاسافر اليها فى ٢٩ أغسطس عام ١٨٨٦ واستلم من الحكومة
 المؤقتة زمام الامور

وقد احتفلت أهالى بلغاريا بعودة البرنس (الكسندر) الاحتفالات العظيمة
 ولكن الروسيا بقيت على نيتها الأولى فلما رأى البرنس ان سلامته وسلامة
 ملكه فى يد الروسيا ارسل الى القيصر تلغراف عرض عليه فيه خضوعه لاوامره
 واستعداده لقبول كل مطالبه فأجابه القيصر بأنه لايعتنى بأمر بلغاريا
 الا اذا غادرها هو (أى البرنس الكسندر). فكانت نتيجة اتباع هذا
 الامير لارشادات انكتراتى الروسيا ضده وعدم مساعدة المانيا
 والنسالة وابتعاد انكتراتى نفسها عنه كل الابتعاد حتى أن وكيل وزارة
 الخارجية الانكليزية صرح فى ٦ سبتمبر عام ١٨٨٦ أمام مجلس العموم
 بأن انكتراتى لم تعهد بشيء نحو بلغاريا وان ليس لها مصالح فيها

فلم يبق بعد ذلك كله للبرنس (الكسنندر) الا أن يتنازل عن إمارة بلغاريا . وقد تنازل بالفعل رسميا في ٦ سبتمبر عام ١٨٨٦ وغادر في ذلك اليوم نفسه صوفيا تاركا زمام الامور لمجلس مكون من المسيو (ستامبولوف) والمسيو (كارافلوف) والمسيو (موتكوروف) . وقد تخوف هؤلاء الاعضاء من احتلال الروسي ببلغاريا احتلالا عسكريا فاستلقتوا أنظار الدولة العلية للاصر بصفته صاحبة السيادة على بلغاريا فخبرت الدولة دول أوروبا ولما تحققت من انها لا تسمح لاية دولة باحتلال بلغاريا أخبرت الحكومة البلغارية المؤقتة بأن لا خوف على الامارة من احتلال روسيا لها وقد أرسلت روسيا الي صوفيا بعد تنازل البرنس (الكسنندر) الجنرال « كولبار » بصفة مندوب من قبلها لدراسة أحوال بلغاريا وارشاد الحكومة المؤقتة في سيرها . وما وصل الجنرال (كولبار) الي عاصمة بلغاريا حتى عامل الحكومة المؤقتة والامانة البلغارية معاملة الامير لرعاياه فطلب من الحكومة المؤقتة : أولا الافراج عن أعضاء اللجنة التي قبضت في ٢١ أغسطس على البرنس { الكسنندر } وخلعته من إمارته . ثانيا إبطال الحالة العرفية . ثالثا تأجيل عقد مجلس النواب - الذي كان يجب أن يجتمع في ١٠ أكتوبر عام ١٨٨٦ لانتخاب أمير جديد - الي أجل غير محدود وفي أثناء هذه الحوادث كلها كان الناس كافة يتساءلون في أوروبا عن سبب مساعدة البرنس { بسمارك } للروسيا في بلغاريا بعد مساعدته لانمسا وانسكترا فيها . وقد اختلفت العمال التي نسبوها لمساعدة البرنس « بسمارك » للروسيا . ولكن الحقيقة هي ان رجل السياسة الالمانية رأي ان

الروسيا مستعدة لمحاربة النمسا اذا عارضتها هذه الدولة في البلقان وان المانيا تكون مضطرة لمساعدة النمسا اذا قامت الحرب فعمل على تأييد السلام . هذا فضلا عن ان الروسية كانت تحجب الي فرنسا وكان البرنس « بسمارك » يخشى انه اذا ساعد النمسا في بلغاريا ضد الروسية تحالفت هذه الدولة الاخيرة مع فرنسا

وقد بذل الجنرال (كوليبار) غاية جهده في استمالة البلغاريين اليه ضد الحكومة المؤقتة فصار يطوف البلاد والقري ويخطب في كل ناد ولكنه لم يفلح ورفضت الحكومة طلباته وحاكت الذين قبضوا على البرنس (الكسندر) في ٢١ أغسطس ولم تؤجل ميعاد انتخابات أعضاء مجلس النواب الذي كان محددًا في يوم ١٠ اكتوبر عام ١٨٨٦ كما قدمنا . ولما جاء هذا اليوم جرت الانتخابات ففازت الحكومة المؤقتة بأغلبية ٤٥٠ صوتا ضد ٥٠ صوتا وقررت عقد المجلس في آخر شهر اكتوبر بمدينة (تيرنوف) العاصمة القديمة لبلغاريا . اما الجنرال (كوليبار) فانه اعتبر الانتخابات لاغية بدعوى ان الحكومة المؤقتة لم تترك الحرية التامة للأهالي وأعلن أعضاء الحكومة بأن الروسية تعتبر محاكمة الذين قبضوا على البرنس (الكسندر) بمثابة إهانة لها . وقد عمل الجنرال (كوليبار) على خاق الاضطرابات في بلغاريا ليجند سببا لتدخل الروسية فيها تدخلا عسكريا خرض الروسيين المقيمين ببلغاريا على مشاحنة البلغاريين ومخاصمتهم فحصلت بسبب ذلك مشاجرات كثيرة أفضت الى زيادة النفور بين الجنرال الروسي وأعضاء الحكومة المؤقتة . ولم يقبل أعضاء الحكومة المؤقتة الاطباء واحدا من

طلبت الجنرال (كولبار) وهو من مجلس النواب من اعادة انتخاب
البرنس (الكسندر دي باتنبرغ) أميراً على بلغاريا
وقد اجتمع مجلس النواب البلغاري في ٣١ أكتوبر عام ١٨٨٦ وانتخب
في ١١ نوفمبر البرنس (فالدماردي دانمارك) أميراً على بلغاريا. وكان
هذا الانتخاب موافقاً لمصالح بلغاريا وغير مخالف لرغائب الروسيان هذا
البرنس هو شقيق قيصرة روسيا (زوجة القيصر اسكندر الثالث ووالدة
القيصر الحالي). ولكن ملك الدانمارك رفض بتاتاً قبول تعيين نجله أميراً
على بلغاريا فاضطر مجلس النواب البلغاري لتعيين المسيو { جيفكوف }
حاكماً مؤقتاً لبلغاريا

ولا ريب ان روسيا كانت تود احتلال بلغاريا وجعلها في قبضة يمينها
ولولا ذلك لكانت سألت ملك الدانمارك أن يقبل تعيين ابنه أميراً
على بلغاريا. ولما عرفت انكلترا رغبة روسيا ونواياها الحقيقية سمعت
لدى النمسا للاتفاق معها ضد روسيا وسافر لهذا الغرض اللورد
(راندولف شرشل) الى فيينا بعد ان زار برلين. وفي ٩ نوفمبر عام ١٨٨٦
وقف اللورد سالسبورج في لوندرة خطيباً ووجه الملام الشديد الى
روسيا وانتقد على سياستها وخطتها في بلغاريا وأعلن ان انكلترا مستعدة
للاتفاق مع النمسا في المسئلة البلغارية، فهاجت الجرائد الروسية وقابلت
مطاعن الوزير الانكليزي بمثلها وطلبت من الحكومة الروسية قطع
العلائق مع انكلترا واستدعاء السفير الروسي من لوندرة
وفي هذا الاثناء قطعت روسيا علائقها مع بلغاريا لمخالفة الحكومة

المؤقتة لرغائبها وفي ٢٠ نوفمبر عام ١٨٨٦ غادر الجنرال { كولبار } صوفيا واستصحب معه كل قناصل روسيا بعد ان علق في الشوارع احتجاجاً ضد أعمال الحكومة المؤقتة التي سماها بحكومة الاصوص، وترك الرعايا الروسيين في بلغاريا تحت حماية قنصل ألمانيا وفي الروملي الشرقي تحت حماية قنصل فرنسا

وقد عرض الباب العالي في ٣ ديسمبر عام ١٨٨٦ على الدول الاوروبية تعيين البرنس (دى منجريل) أميراً على بلغاريا ولكن الدول رفضت تعيينه بحجة أنه مبعوض من البلغاريين ومحجوب من روسيا . ولما طال الامر وطال انتظار البلغاريين لتعيين أمير لهم أرسلت الحكومة البلغارية المؤقتة لجنة الي عواصم أوروبا لسؤال الدول التعجيل بالاتفاق على تعيين أمير لبلغاريا . فسافرت اللجنة الى فيينا حيث قوبلت فيها باحترام عظيم ثم قصدت برلين ولكنها لم تقابل فيها بمثل ذلك الاحترام وبعد ذلك سافرت الي باريس ولوندره . ومن الصدف الغريبة أنها تقابلت في محطة { كولونيا } مع البرنس (ألكسندر دى باتبرغ) فحيتها أجل تحية وأبلغته بقاء الامة البلغارية على ولائها له ولكن البرنس كان يعلم أن عودته الى بلغاريا صارت أمراً مستحيلاً . وبعد ان أتمت اللجنة رحلتها قصدت الاستانة العلية ورفعت الى مقام جلالة السلطان الاعظم فروض التابعة وأخذت تتخبر في عاصمة الدولة مع رجال تركيا ومع سفير روسيا ولكن الاتفاق لم يحصل بينهما وبين السفير الروسي . (فارسلت عندئذ الدولة العلية في آخر شهر مارس عام ١٨٨٧ رضا بك)

الى صوفيا بصفة مندوب عال من قبلها لايحاء الوفاق بين الاحزاب
 البلغارية وبعضها وبعثت بمذكرة للدول الاوروبية ابانت لها فيها ان بقاء
 بلغاريا بهذه الحالة مضر بها وان التعجيل بحل المسئلة صار واجبا
 ولما ياس البلغاريون من اتفاق الدول الاوروبية على تعيين أمير لهم
 عرضت الحكومة المؤقتة على مجلس النواب البلغاري انتخاب البرنس
 (فرديناند دي ساكس كوبور) فانتخبه المجلس في يوم ٧ يوليو عام ١٨٨٧
 أميراً على بلغاريا وأبلغه ذلك بصورة رسمية فأرسلت عندئذ الدولة العلية
 لدول أوروبا تسألها رأيها في الامر فأجابت كل دولة على حدها بانها تقبل
 تعيين البرنس (فرديناند) اذا وافق ذلك رغبة الدول كلها. الا روسيا فانها
 أجابت بانها لا تقبل أي قرار يصدره مجلس النواب البلغاري. فامتنع بذلك
 اجماع الدول على تعيين البرنس (فرديناند). أما البرنس نفسه فانه بعد ان بقى
 متردداً بين القبول والرفض بضعة أيام قبل اماره بلغاريا وسافر الى صوفيا
 في ١٠ أغسطس عام ١٨٨٧ وعند وصوله اليها أرسل للحضرة السلطانية
 تلغرافاً أعرب فيه عن صدق اخلاصه وعن أمله في مساعدة الدولة العلية له. وفي
 ١٤ أغسطس أدي امام مجلس النواب البلغاري يمين الاخلاص للامة
 البلغارية والعدل في الاحكام. وفي ١٨ أغسطس زار مدينة (فيليبوبوليس)
 عاصمة الروملى الشرقى مظهراً بذلك انه لا يرضى بترك هذه المقاطعة
 للدولة العلية. وقد شكل الوزارة البلغارية بعد ذلك تحت رئاسة المسيو
 (ستامبولوف) أشد أعداء روسيا في بلغاريا
 وقد سأل الباب العالي الحكومات الاوروبية عن رأيها بشأن جلوس

البرنس (فرديناند) علي كرسى إمارة بلغاريا فأجابت الروسية بان الدولة العلية يجب عليها التداخل في بلغاريا وطرده البرنس منها وأجابت بعض الدول الاخرى بضرورة الاتفاق مع الروسية في الأمر . فعرضت الروسية على الدولة العلية ارسال الجنرال الروسي (ارزوت) الي بلغاريا لتوطيد الامن فيها وخلق البرنس (فرديناند) فقبلت الدولة العلية ذلك ولكنها اشترطت على الروسية اشتراك مندوب عثمانى مع (إرزوت) في مأموريته . وفي هذا الاثناء كلفت انكلترا والنمسا وايطاليا قناصلها في صوفيا بمقابلة البرنس { فرديناند } واعتباره أميراً على بلغاريا . فكان هذا العمل بمثابة اعتراف من هذه الدول الثلاث بتعيين البرنس { فرديناند }

ومن حسن حظ البرنس { فرديناند } ان المخبرات لم تنجح بين الدولة العلية والروسيا وبقيت الحالة على ما هي عليه وسارت بلغاريا في عهد وزارة المسيو { ستامبولوف } على سياسة مناقضة لسياسة الروسيا بالمرّة . ولم تعتدل سياستها وتحسن تلاقاتها مع الروسيا الا بعد سقوط { ستامبولوف } وقتله واعتناق البرنس (بوريس) ولي عهد بلغاريا وابن البرنس { فرديناند } للدين الارثوذكسى في هذه السنين الاخيرة . ولم يعترف جلالة السلطان الاعظم بتعيين البرنس (فرديناند) أميراً على بلغاريا الا بعد تحسن علاقته مع الروسيا . وقد دل ذلك على ان بين الروسيا والدولة العلية ألفة ومودة . وبعد اعتراف الحضرة السلطانية بتعيين البرنس { فرديناند } أميراً على بلغاريا اعترفت به الدول جمعاء . وبذلك انتهت

ومن الامور المحزنة ان كل أزمة من أزمات المسئلة الشرقية تنتهي
بسلب جزء أو أجزاء من أملاك الدولة العلية فقد فقدت الدولة
في هذه الازمة الروملى الشرقى وأضاعت نفيس أوقاتها في مخابرات
لا نفع فيها ولا جدوى



(الأزمة السابعة)

(المسئلة الأرمنية)

لقد اعتقد بعض سواس الدولة العلية زمناً طويلاً ان الدولة الوحيدة التي يجب مصافاتها والتقرب منها والعمل بارشاداتها هي دولة انكلترا دون سواها من الدول الاوروبية . ورسخ هذا الاعتقاد في أذهان الكثيرين حتى انه كان يستحيل على أحد سواس الدولة العثمانية ان يتنبأ بمصير هذه المودة الانكليزية القديمة وبالعداوة الشديدة التي أصبحت تجاهر بها انكلترا نحو الدولة العلية . ومن يطلع على مذكرات وزراء تركيا السالفين ووصاياهم يجد ان أكثرهم كانوا ينصحون سلاطينهم بأخلاق الود للدولة الانكليزية وباتخاذها الصديقة الوحيدة بين دول أوروبا . ولا ريب ان ثقة الدولة العلية بانكلترا أضرت بها ضرراً بليغاً وكانت سبباً لحروب عديدة فقدت فيها تركيا المال والرجال والبلدان . وان كل عارف بتاريخ انكلترا وبسياستها في ماضيها وحاضرها لا يرتاب لحظة واحدة في ان الدولة الانكليزية لا صديق لها وان صداقتها المزعومة للدولة العلية لم تكن سلاحاً للاضرار بالدولة العلية نفسها وآلة تكسبها من المكاسب بقدر ما تجر على تركيا من الخسائر

وما السياسة في عرف الانكليز الا علم الكذب والنفاق والحيل فهم لا يعرفون مع السياسة شرفاً ولا يحترمون عهداً ولذلك كانوا في الحقيقة ألد أعداء الدول التي يتظاهرون لها بالصداقة والولاء وكانت الدول المعادية لهم سالمة من مكائدهم ومن خداعهم

ولم يرتفع الستار تماماً وتكشف حقيقة أميال الانكليز نحو الدولة

العلية الا في عام ١٨٩٣ عند ما أظهر سمو العباس انه لا يعرف له متبوعا
 غير الحضرة السلطانية ويمم دار السعادة لتأدية فروض التبعية والاحلاص
 لصاحب الخلافة العظمي . فان الانكليز ما دخلوا مصر الا بسبب الشقاق
 بين المتبوع الاعظم والتابع وما توطدت سطوتهم فيها الا بذلك الشقاق
 المشؤوم . فكان من الامور البديهية ان تقرب عزيز مصر من الحضرة
 السلطانية يضر بمصالحهم في مصر ويخرج مركزهم فيها ويلبس المسئلة
 المصرية ثوبا جديداً في أعين الناس كافة . ولذلك هم بذلوا الجهد الجهد
 في تغيير سمو العزيز من السلطنة السنية ولما لم يفلحوا اخذوا ينفرون
 صاحب الخلافة من أمير مصر فحبطت كذلك مساعيهم في هذا السبيل .
 وبعد زيارة سمو الخديو للاستانة في المرة الاولى انتشرت الاشاعات في
 كل دوائر أوروبا السياسية بأن الانكليز يسمعون لدي الدولة العلية في خلع
 سمو الخديو الحالي وان جلالته السلطان الاعظم يقابل هذه المساعي بزيادة
 الانعطاف نحو أمير مصر وزيادة اظهار الرعاية له واشعبه ولبلاده .
 وقد تكررت هذه الاشاعات واكدها الكثيرون من رجال السياسة
 الاوروبية وانتظر الكل عند حصول فتور وجفاء في العلائق بين
 الدولة العثمانية ودولة بريطانيا . الا انه لم يكن يخطر على بال أحد وقتئذ
 ان انكلترا تعمل على هدم السلطنة العثمانية انتقاماً منها وتخلق الاضطرابات
 والثورات في قلب المملكة التركية تشفياً من صاحب الخلافة الاسلامية .
 ولكن انكلترا اشتهرت بانها لا تقف أمام عائق لبلوغ غايتها وإدراك
 بغيتهما فقد سلحت الارمن البروتستانت وألقت عليهم التعليمات باحداث

هيجان عام في كافة أنحاء المملكة العثمانية والاعتداء على المسلمين في كل بلد عثمانية ووعدهم بالمساعدة والتدخل وإيجاد مملكة أرمنية مستقلة. وبالجملة لم تجد انكلترا وسيلة لوضع يدها نهائياً على وادي النيل سوي خلق المسئلة الارمنية

وكان لانكلترا في الثورة الارمنية جملة مقاصد . فهي كانت تريد قبل كل شيء زعزعة أركان الامن والسلام في تركيا وإضعاف سلطة الحكومة العثمانية وإرهاب جلاله السلطان الاعظم وإجباره على الخضوع لرغائبها والعمل بأوامرها . وكانت انكلترا تعلم علم اليقين ان اضطراب الاحوال في تركيا وقيام المسيحيين ضد المسلمين والمسلمين ضد المسيحيين وما شاكل ذلك من الامور يدعو حتماً إلى تدخل أوروبا في الامر وتحزبها ضد الدولة العلية إذ الحقائق تنشر في أوروبا مقابولة وطالما اعتدي المسيحيون على المسلمين وادعت جرائد أوروبا ان المسلمين هم المعتدون وانهم وحدهم المقترفون لكل الآثام . وكان الانكليز يعلمون أيضاً ان تدخل أوروبا في مسائل تركيا وتحزبها ضدها يملآن قلوب المسلمين غلا وكراهة للمسيحيين ويشجعان المسيحيين على الاستمرار في خطتهم الثورية فيزداد بذلك البلاء ويم الدمار والفناء وتنزل المصائب على تركيا وتحمل البلاء بالسلطنة العثمانية . وازدياد كراهة المسلمين لأوروبا كان من شأنه أن يجعل المصريين في يأس من نجاة وطنهم وتدخل الدول في صالحهم فيستسلمون للانكليز ويعتدل سمو الخديو مع المحتلين . وهذا جل ما كان يتمناه الانكليز من تحزب أوروبا ضد الدولة وضد الاسلام

وغير ذلك فان انكلترا كانت تعمل بتحزيبها لاوروباً ضد الدولة العلية
 وضد الاسلام على تفهيم المسلمين كافة بانها القائدة لزاماً اوروباً وانها صاحبة
 الامر والنهي في سياسة الدول ليمتلاً بذلك المسلمون رهبة منها وتزداد
 سيطرتها في العالم الاسلامي . وكانت السياسة البريطانية ترمى الي أحد أمرين
 اما رهاب جلالة السلطان الاعظم وتسييره حسب أهولها وأغراضها واما
 خلعها وتولية من يكون بالطبع صنيعةً لانكلترا وأسيراً لها . ولا ريب ان
 خلع جلالة السلطان الاعظم كان يكون سبباً لقلقل لاعدادها وداعية
 لاضطراب عام في كافة أنحاء العالم العثماني والاسلامي . فمن ذا الذي كان يرضى من
 العثمانيين ان تسقط أوروباً السلطان العثماني وتتدخل في شؤون الدولة العلية
 لهذا الحد ؟ ومن ذا الذي كان يرضى من المسلمين ان تنزل أوروباً المسيحية
 خليفة الاسلام عن عرش خلافته ؟ ومن ذا الذي كان يري من العثمانيين
 والمسلمين هذا الامر الخطير بعين الرضا والسكون ؟ ومن ذا الذي كان يقبل
 الخضوع لسلطان عينته أوروباً وخليفة أجلسه على عرش الخلافة دول
 المسيحية بعد ان خلعت خير سلطان وأشرف خليفة ؟ بل وماذا كان
 يعمل الكاثوليكيون لو توصل جلالة السلطان الاعظم الي خلع حضرة البابا ؟ ...
 أي الي عمل ما تريد انكلترا أن تعمله معه

ان تحقيق أمنية انكلترا بخلع جلالة السلطان الاعظم كانت تكون تحقيقاً
 لشرور والمصائب والبلية التي لم ير النوع البشري مثيلاً لها في تاريخه
 وقد أوضحنا في مقدمة هذا الكتاب ان انكلترا تريد هدم السلطنة
 العثمانية وتقسيم الدولة العلية ليسهل لها امتلاك مصر وبلاد العرب

وجعل خليفة الاسلام تحت حمايتها وآلة في أيديها . وهي تقصد بتقسيم الدولة العلية غير ذلك إحداث حرب عمومية في أوروبا وإضعاف فرنسا والروسيا . فان الموازنة الاوروبية لا تتم الا ببقاء الدولة العلية وسلامتها . واذا قسمت هذه الدولة (لا قدر الله) قامت الثورات في كل أنحاء الشرق وهاجت أمم البلقان وصار كل يطالب بشيء فيعم الهيجان وتقوم الحرب العمومية ولا محالة . وبما ان الانكليز كانوا يؤملون نوال مصر وبلاد العرب فانهم كانوا يرضون ترك الشام لفرنسا والاستانة للروسيا ولا يخفى ان إستيلاء فرنسا على الشام والامكن المقدسة من شأنه ان يقيم في وجهها كثيراً من الامم المسيحية ويثير المسلمين كافة ضدها ويجعل مستعمراتها الافريقية والاسيوية التي أهلها مسلمون مشتعلة نيران الثورة في سائر أنحاءها . كذلك استيلاء روسيا على الاستانة فانه كان يغير بالمرّة وجه الوجود ويفقد الموازنة الاوروبية ويقيم ضد روسيا كل المسلمين التابعين لها وغير التابعين . فان الاستانة تعتبر في نظرنا معاشر المسلمين قلعة الاسلام وحصنه الحصين والمدينة التي يجب المحافظة عليها أكثر من سواها بعدمكة والمدينة . فقد وعد الرسول عليه الصلاة والسلام الفاتح لها بالجنة دليلاً على ما لها من الشأن والاهمية

ومن ذلك يري القاريء ان انكتر اعمالت بايجادها للمسئلة الارمنية على تدمير ملك آل عثمان وضعضة السلطة الاسلامية وإذلال العثمانيين والمسلمين وإحداث حرب عامة في الغرب وفي الشرق

وقد انكتر الارمن بالتشجيع والتحريض على متابعة الثورة والهيجان وما فتئت ترسل اليهم الذخائر والاسلحة وتحضهم على الاسترسال في التمرد والعصيان فعملوا بتجريبها وتلطيخوا بدماء الجرائم والفظائع متسلحين في كل أعمالهم بالاسلحة الانكليزية. ورأى العالم هذه الطائفة التي كانت عائشة في مجبوحة السعادة والرفاهية والتي كان يسميها العثمانيون « بالملة الصادقة » والتي لها في مناصب الحكومة والادارات وفي التجارة والصناعة الشأن الاول تشور ضد الدولة العلية هذه الدولة العادلة المعتدلة التي اراد أحد ملوكها اجبار المسيحيين على اعتناق الدين الاسلامي فعارضه العلامة أبو السعود وأرجعه عن عزمه . هذه الدولة التي تركت للارمن وغيرهم حرية دياناتهم وتقاليدهم واحترمت رجال دياناتهم كعلماء المسلمين

ولما جرت محاكمة نوار الارمن في عام ١٨٩٣ أمام محاكمهم (انقره) ظهرت الحقيقة التي لا ريب فيها وتبين للعالمين ان انكترا هي الموعزة لهم بالثورة والمحرضة لهم على شق عصا الطاعة للدولة العلية . فقد ضابط رجال البوليس العثماني كاتب أسرار الجمعية السرية المدبرة لحرارة الثورة وبين يديه أوراقه المشتملة على اكثر أسماء الاعضاء واتضح أن الارمن البروتستانت هم وحدثهم القائمون بالثورة دون الكاثوليك وان لهم جمعيات سرية داخل الدولة العلية وخارجها وان هذه الجمعيات تمد بالمال الجرائد الارمنية الثورية وعلى الخصوص جريدة {هنتشك} التي هي أهمها . وقبض كذلك رجال البوليس العثماني على بعض المبعوثين الامريكان البروتستانت الذين كانوا يشتركون مع الارمن في تدبير الدسائس فاحتج سفير الولايات المتحدة على القبض

عليهم وطلب الافراج عنهم فتعظفت الحضرة السلطانية وسدحت له بارسال مندوب من قبله لتحقيق في أماكن الواقعة فسافر المندوب ولما عاد قدم تقريراً قال فيه ان التحقيقات التي أجراها الحكام العثمانيون من منطقة على العدل وان الذين قبض عليهم من مبعوثي البروتستانت لا يستحقون المساعدة والارأفة

وقد أبان التحقيق في قضية ثوار الارمن أمام محاكم (أنقره) أنهم كانوا يجمعون الاموال باسم المستشفيات المراد انشاؤها وكانوا ينفقونها على شراء الاسلحة ونشر الافسكار الثورية وترويجها بين سفلة الارمن وان رجال الدين من الارمن والرهبان كانوا يساعدونهم ويسكنون بعضهم في الكنائس وان مدينة (مرسيوان) جعلت مركزاً لا كبر جمعية . واستدل من التحقيق على ان بعض رجال السياسة الانكليزية كالمستر غلادستون شجع سراً بكتابات خصوصية بعض رجال الدين من الارمن على الثورة واحداث القلاقل في تركيا ووعدهم بمساعدة انكلترا وتعضيدها وتشكيل امارة أرمنية مستقلة

وأبان التحقيق كذلك أن ثوار الارمن كانوا يخطبون في جمعياتهم السرية ضد الدولة العلية ويحرضون سفلة قومه على السلب والنهب وقطع الطريق وارتكاب الفظائع والجرائم حتي تعتقد أوربا ان الارمن أمة حية وتعمل لاجراجها من تحت سلطة الدولة العلية . وأبان التحقيق أيضاً أنهم كانوا متفقين على رموز واشارات للتعارف بها كرفع الشوارب ومس الأذان وتعطية الوجه وما شا كل ذلك وانهم كانوا يتريون بزى الاتراك والاكراد

والجراكسة ويفتكون بالمسلمين وبعض الارمن أنفسهم لتشجيع الجرائد في أوروبا ان المسلمين متعصبون وأن الارمن يقاسون العذاب اشكالا وألوانا . واتضح من التحقيق أن ثوار الارمن كانوا يسرقون الخيول ويسلمونها لراهب اسمه (دانيال) اشتهر بالمهارة الفائقة في صبغ الخيول وتغيير ألوانها ثم يبيعونها بعد ذلك وانهم كانوا يهددون من لا يريد الانخراط في سلك جمعياتهم بالقتل وكانوا يقتلون كل من يفشي أسرارهم وأثبت التحقيق جلياً ان ثوار الارمن كانوا ينشرون في أنحاء المملكة العثمانية اعلانات باسم المسلمين تحرض الامة على اشهار العداوة لجلالة السلطان الاعظم والمناداة بخلعه . وقد عثر المحققون في هذه القضية المهمة على نصوص هذه الاعلانات مطبوعة في جريدة (هنتشك) الارمنية التي تطبع في لوندرة

وقد جرت المرافعات في هذه القضية أمام محاكم أنقره وأظهر حضرة المفضال محمد عارف بك أفندي المدعي العمومي بأجلي بيان أن المحرك لهذه الفتنة هم أعداء الدولة العلية وأنه يجب القصاص من هؤلاء الثوار المجرمين الذين خانوا عهد الدولة والوطن . ومن أصدق العبارات التي قالها في صرافته قوله :

« ان رعايا جلالة مولانا السلطان الاعظم من الارمن الذين هم من مدة ستمائة سنة مغمورون في بحار تفضلات الدولة العلية واحساناتها والذين هم برعاية مولانا العادل ممتعون بالراحة والعدل محافظون مثل بقية الرعايا العثمانية المخلصة على وطنيتهم وحرثهم الدينية وآدابهم ولغاتهم

وظلوا كل هذه القرون لم يتعرض لهم أحد بسوء لا اخلاقهم ولا لحيثاتهم
 المدنية ولا لاموالهم ولهم في كافة الولايات والمدن والنواحي كنائس
 كبري شائقة شاهقة ومدارس عليا آهلة عامرة ومجالس روحانية حرة
 . فنحن بغاية الاسف نرى أشخاصا منهم ينصاعون للتأثيرات الشيطانية
 التي يلقيها عليهم أعداء المملكة فيرتكبون من وقت الى آخر وفي كثير
 من الجهات والنواحي جرائم لا توافق شروط الامانة والصدقة

وهذه الاعمال الفظيعة التي يراها الرأي العام منافية للانسانية وشريعة
 المروءة ومن نتائج الكفران بالنعم ونكران الجميل استوجبت بالطبع تنبه
 الحكومة الشاهانية وتكدر جلالة السلطان الاعظم وأثارت عواطف
 الاسف والحزن بل والحجل عند جميع العقلاء من طائفة الارمن ،

وقد صدرت على المجرمين احكام مختلفة تحكيم على بعضهم بالاعدام
 وحكم على البعض الآخر بالسجن . وصاروا عبرة لغيرهم من الاشرار
 والمفسدين . ولا يحق المكر السيء الا بأهله

وقد تملطف جلالة السلطان الاعظم وعفا عن بعض المجرمين وعدل
 الحكم على الآخرين فكان ذلك منه منتهي الرحمة قصارى الاحسان ودليلا
 ساطعا على ان خليفة المسلمين رؤوف بكل رعاياه على السواء لا كما يدعيه
 كتاب الانكليز وخطباؤهم زورا وبهتانا

وان قضية { انقره } لموعظة كبرى لسائر المسلمين فهي تين مقدار
 عداوة الانكليز للدولة العلية وللإسلام وتظهر خبايا السياسة البريطانية
 وتكشف النقاب عن حقيقة الصداقة المزعومة التي كانت تتظاهر بها

انكثرتا نحو الاتراك والمسلمين . فلم يبق بعد هذه القضية الشهيرة شك ولا ريب في ان الانكليز يعملون على تدمير المملكة العثمانية واثارة عواطف المسيحيين في كل بقاع الارض ضد المسلمين أى انهم يعملون لارجاع أزمان الحروب الصليبية . فليتذكر من يريد أن يتذكر من بني الدولة العلية ومن بني الاسلام

*
* *

ما ارتفعت نيران الثورة الارمنية وقام الارمن باظهار ثمرات تدبيراتهم وثمرات التلقينات الانكليزية حتى هبت الجرايد البريطانية موجبة الى الدولة العثمانية سهام الشتائم والقبائح طاعنة على جلالة الخليفة الاعظم الطعن السافل البذئ مدعية كذباً ان جلالة الخليفة هو الموعز للاكراد بالفتك بالارمن وقتلهم هم ونساءهم وأطفالهم . وهى أ كذوبة لم ير التاريخ لها مثيلاً . فان كتاب الانكليز الذين كانوا يسطرون هذه الشتائم والمطاعن الساقطة كانوا يعلمون حق العلم ان رجال السياسة البريطانية هم الموعزون للارمن بالثورة وان الارمن هم المعتدون . وفي أغلب الاحيان كان كتاب الانكليز الذين يطعنون على الدولة العلية وسلطانها الاعظم هم أنفسهم من الموعزين للارمن بالثورة ومن المحرضين لهم على الاسترسال في شق عصا الطاعة والعصيان . وهى رواية غريبة فى بابها يجب على التاريخ أن يدونها بغاية الاعتناء ليعرف الاعقاب كيف تخدم انكثرتا الانسانية وكيف تحمي المسيحيين فى الشرق

ولم تكن حركة الخواطر في انكثرا بشأن الارمن الاحركة سياسية
وحركة دينية في آن واحد. فرجال السياسة كانوا يؤملون الوصول بالثورة
الارمنية الى هدم المملكة العثمانية والاستيلاء بصفة نهائية على مصر
بلاد العرب ، وبما انه كان يستحيل عليهم أن يفهموا العامة من قومهم
هذه الغاية البعيدة فقد أهاجوا خواطر الشعب الانكليزي بعوامل الدين
. فكنت ترى الكنائس ميدانا لاعداء تركيا ولاعداء الاسلام وكانت
منابرها مهبطا لادنى الشتائم الموجهة للدين الحنيفي ولخليفة المسلمين وكان
رجال الدين البروتستانتى من اكبر العاملين على تهيج الافكار في مسألة الارمن
وكانت أغلب المجتمعات التي تعقد لمساعدة الارمن تعقدت تحت رئاستهم
حتى انه كان يخيل للانسان ان الامة الانكليزية بسواسها ورجال دينها
ليست من أمة القرن التاسع عشر بل أمة من أمة المسيحية أيام الحروب
الصليبية بعثت لتذكير المسيحيين بوجوب معاداة المسلمين ومطاردتهم ..
ومن أكبر الدلائل على تعصب الانكليز ضد الدولة العلية وضد الاسلام
ان المستر (غلاد تون) زعيم حزب الاحرار في انكثرا قام نصيراً للأرمن
وطعن على صاحب الخلافة الاسلامية الطعن المرواتهمه بأنه هو السافك لدماء
الارمن الآمر بقتلهم وبالفتك بهم وكان في كل خطاباته يعلن بصوته الرنان
انه لا يتنصر للأرمن بصفتهم مسيحيين بل انه يتنصر لهم بصفتهم من النوع
الانسانى ويصرح جهاراً بأنه يخطب في صالح المسلمين اذا لم ينصف
المسيحيون المسلمين في بقعة من بقاع العالم. ولما كان بعض السذج من المسلمين
الذين يعجبون بكل شيء في أوروبا حتى بسياسة دولها ضد العثمانيين وضد

المسلمين يظنون ان المستر (غلاستون) صادق في دعواه فقد كتبت الى هذا السياسي الانكليزي العظيم في صيف عام ١٨٩٦ كتاباً ذكرته فيه بأنه كتب لي في يناير عام ١٨٩٦ نفسه « ان زمن الجلاء عن مصر قد وافي منذ سنين » وبأنه صرح في كل خطاباته بأنه مستعد لمساعدة المسلمين وللدفاع عنهم اذا رآهم في حاجة لمساعدته ولدفاعه وسائله القاء خطبة في انكلترا على مسمع من سواس بريطانيا وكتابتها لتذكير بني قومه بضرورة الجلاء عن مصر والوفاء بالوعد واحترام شرف جلالة الملكة وشرف التاج الانكليزي فاجابني المستر { غلاستون } بجواب مدهش للغاية وهو « اني نصير للجلاء عن مصر ولكني لا استطيع التساؤل في مسئلتها لاني لا سلطة لي في بلادى ولست الا احداً بناتها الخصوصيين »

فكيف يدعي المستر غلاستون انه عديم السلطة في بلاده عند ما يطالب بالدفاع عن المصريين وبمطالبة انكلترا بالجلاء عن مصر وهو بعينه المثير لعواطف الانكليز ضد الدولة العلية وضد المسلمين ؟ أليكون قوي السلطة على الصوت في مسألة الارمن وعديم السلطة خافت الصوت في مسألة مصر ؟ أين اذن صدق المستر (غلاستون) في قوله انه مستعد للدفاع عن المسلمين اذا رآهم في حاجة للدفاع عنهم ؟ أو ليس الواجب على المستر (غلاستون) ان يذكر حكومة بلاده بوجود احترام التعهدات العلية الصريحة والمعاهدات الدولية الملتزمة بمصر قبل ان يطالب الحكومة العثمانية باحترام المادة (٦١) من معاهدة برلين ؟ ألا يعلم المستر (غلاستون) انه يجب على انكلترا أن تحترم وعودها وعهودها

قبل أن تطالب الحكومات الاخرى باحترام مادة من مواد معاهدة دولية؟
 أوليس رفض المستر (غلادستون) قبول المدافعة عن مصر والمطالبة
 بالجلء عنها بمثابة اعلان لتعصبه ضد الدولة العلية وضد المسلمين؟ ألا يدل
 هذا الجواب الذي بعث به اليّ المستر (غلادستون) دلالة صريحة على
 ان سواس بريطانيا يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم؟

ان تعصب المستر (غلادستون) وأصحابه ضد الدولة العلية وضد
 المسلمين واضح لا ريب فيه . وقد أظهره لاوروبا بعض الكتاب المنصفين
 . ولكن أجدر هؤلاء الكتاب بالذكروهو (الفيكونت دي كورسون)
 الفرنسي فانه وضع رسالة (١) أبان فيها دسائس الانكليز في المسئلة
 الارمنية وأعمال ثوار الارمن وفضائعهم . وانا تقتطف من هذه الرسالة
 الجلية بعض شذرات للاستشهاد بها في هذا المقام :

أوضح الكاتب في أول رسالته ان الجرائد الانكليزية كانت تتبأ بكل
 الحوادث الارمنية وقال في صحيفة (٦) بهذا الصدد

« والواقف على مسئلة الارمن بحذافيرها يتحقق لديه انه ما من حادثة
 وقعت في البلاد التي اصطلح الانكليز على تسميتها بارمينيا الا وتكون
 الجرائد الانكليزية في لندرة قد أنبأت بها قبل حدوثها بزمن طويل جدا
 فتراها تبين لقرائها نوع الحادثة التي ستقع ومكان وتاريخ وقوعها كما فعلت
 في حادثة وادي (تالوري) ولا يجدر بالعاقل ان يتخذ هذا الانباء بالمستقبل
 ضربا من ضروب التبصر الذي امتازت به الجرائد الانكليزية بل لا بد أن

(١) وقد اعطني بتعريفها حضرة الفاضل محمد أفندي مسعود

وقد انكثرت الارمن بالتشجيع والتحريض على متابعة الثورة والهيجان وما فتئت ترسل اليهم الذخائر والاسلحة وتحضهم على الاسترسال في التمرد والعصيان فعملوا بتجريضها وتلطيخوا بدماء الجرائم والفظائع متسلحين في كل أعمالهم بالاسلحة الانكليزية. ورأى العالم هذه الطائفة التي كانت عائشة في مجبوحة السعادة والرفاهية والتي كان يسميها العثمانيون « بالملة الصادقة » والتي لها في مناصب الحكومة والادارات وفي التجارة والصناعة الشأن الاول تنثور ضد الدولة العلية هذه الدولة العادلة المعتدلة التي أراد أحد ملوكها اجبار المسيحيين على اعتناق الدين الاسلامي فعارضه العلامة أبو السعود وأرجعه عن عزمه . هذه الدولة التي تركت للارمن وغيرهم حرية دياناتهم وتقاليدهم واحترمت رجال دياناتهم كعلماء المسلمين

ولما جرت محاكمة ثوار الارمن في عام ١٨٩٣ أمام محاكم (انقره) ظهرت الحقيقة التي لا ريب فيها وتبين للعالمين ان انكثرتا هي المؤعزة لهم بالثورة والمحرضة لهم على شق عصا الطاعة للدولة العلية. فقد ضبط رجال البوليس العثماني كاتب أسرار الجمعية السرية المدبرة لحرارة الثورة وبين يديه أوراقه المشتملة على أكثر أسماء الاعضاء واتضح أن الارمن البروتستانت هم وحدهم القائمون بالثورة دون الكاثوليك وان لهم جمعيات سرية داخل الدولة العلية وخارجها وان هذه الجمعيات تمد بالمال الجرائد الارمنية الثورية وعلى الخصوص جريدة (هنتشك) التي هي أهمها. وقبض كذلك رجال البوليس العثماني على بعض المبعوثين الامريكان البروتستانت الذين كانوا يشتركون مع الارمن في تدبير الدسائس فاحتج سفير الولايات المتحدة على القبض

عليهم وطلب الافراج عنهم فاعتظفت الحضرة السلطانية وسمحت له بارسال مندوب من قبله للتحقيق في أماكن الواقعة فسافر المندوب ولما عاد قدم تقريراً قال فيه ان التحقيقات التي أجراها الحكام العثمانيون منطبقه على العدل وان الذين قبض عليهم من مبعوثي البروتستانت لا يستحقون المساعدة ولا الرأفة

وقد أبان التحقيق في قضية ثوار الارمن أمام محاكم (أقره) أنهم كانوا يجمعون الاموال باسم المستشفيات المراد انشاؤها وكانوا ينفقونها على شراء الاسلحة ونشر الافكار الثورية وترويجها بين سفلة الارمن وان رجال الدين من الارمن والرهبان كانوا يساعدهم ويسكنون بعضهم في الكنائس وان مدينة (مرسيان) جعلت مركزاً لا كبر جمعية . واستدل من التحقيق على ان بعض رجال السياسة الانكليزية كالمستر غلادستون شجع سراً بكتابات خصوصية بعض رجال الدين من الارمن على الثورة واحداث القلاقل في تركيا ووعدهم بمساعدة انكلترا وتضيدها وتشكيل امارة أرمنية مستقلة

وأبان التحقيق كذلك أن ثوار الارمن كانوا يخطبون في جمعياتهم السرية ضد الدولة العلية ويحرضون سفلة قوتهم على السلب والنهب وقطع الطريق وارتكاب الفظائع والجرائم حتي تعتقد أوربان الارمن أمة حية وتعمل لاجراجها من تحت سلطة الدولة العلية . وأبان التحقيق أيضاً أنهم كانوا متفقين على رموز واشارات للتعارف بها كرفع الشوارب ومس الآذان وتعطية الوجه وما شا كل ذلك وانهم كانوا يتزيون بزى الاتراك والاكراد

والجراكسة ويفتكون بالمسلمين و ببعض الارمن أنفسهم لتشجيع الجرائد في أوروبا ان المسلمين متعصبون وأن الارمن يقاسون العذاب اشكالا وألوانا . واتضح من التحقيق أن ثوار الارمن كانوا يسرقون الخيول ويسلمونها لراهب اسمه (دانيال) اشتهر بالمهارة الفائقة في صبغ الخيول وتغيير ألوانها ثم يبيعونها بعد ذلك وانهم كانوا يهددون من لا يريد الانخراط في سلك جمعياتهم بالقتل وكانوا يقتلون كل من يفشي أسرارهم وأثبت التحقيق جلياً ان ثوار الارمن كانوا ينشرون في أنحاء المملكة العثمانية اعلانات باسم المسلمين تحرض الامة على اشهار العداوة لجلالة السلطان الاعظم والمناداة بخلعه . وقد عثر المحققون في هذه القضية المهمة على نصوص هذه الاعلانات مطبوعة في جريدة (هنتشك) الارمنية التي تطبع في لوندرة

وقد جرت المرافعات في هذه القضية أمام محاكم أنقره وأظهر حضرة المفضل محمد عارف بك أفندي المدعي العمومي بأجلي بيان أن المحرك لهذه الفتنة هم أعداء الدولة العلية وأنه يجب القصاص من هؤلاء الثوار المجرمين الذين خانوا عهد الدولة والوطن . ومن أصدق العبارات التي قالها في صرافته قوله :

« ان رعيا جلالة مولانا السلطان الاعظم من الارمن الذين هم من مدة ستمائة سنة مغمورون في بحار تفضلات الدولة العلية واحساناتها والذين هم برعاية مولانا العادل ممتعون بالراحة والعدل محافظون مثل بقية الرعايا العثمانية المخلصمة على وطنيتهم وحرثهم الدينية وآدابهم ولغاتهم

وظلوا كل هذه القرون لم يتعرض لهم أحد بسوء لا لآخلاقهم ولا لحيشتهم
 المدنية ولا لاموالهم ولهم في كافة الولايات والمدن والنواحي كنائس
 كبري شائقة شاهقة ومدارس عليا آهلة عامرة ومجالس روحانية حرة
 . فنحن بغاية الاسف نرى أشخاصا منهم ينصاعون للتأثيرات الشيطانية
 التي يلقونها عليهم أعداء المملكة فيرتكبون من وقت الى آخر وفي كثير
 من الجهات والنواحي جرائم لا توافق شروط الامانة والصدقة

وهذه الاعمال الفظيعة التي يراها الرأي العام منافية للانسانية وشريعة
 المروءة ومن نتائج الكفران بالنعم ونكران الجميل استوجبت بالطبع تنبه
 الحكومة الشاهانية وتكدر جلالة السلطان الاعظم وأثارت عواطف
 الاسف والحزن بل والحجل عند جميع العقلاء من طائفة الارمن «

وقد صدرت على المجرمين احكام مختلفة فخكم على بعضهم بالاعدام
 وحكم على البعض الآخر بالسجن . وصاروا عبرة لغيرهم من الاشرار
 والمفسدين . ولا يحيق المكر السيء الا بأهله

وقد تملطف جلالة السلطان الاعظم وعفا عن بعض المجرمين وعدل
 الحكم على الآخرين فكان ذلك منه منتهي الرحمة قصارى الاحسان ودليلا
 ساطعا على ان خليفة المسلمين رؤوف بكل رعاياه على السواء لا كما يدعيه
 كتاب الانكيز وخطباؤهم زورا وبهتانا

وان قضية { انقره } لمؤظة كبرى لسائر المسلمين فهي تبين مقدار
 عداوة الانكيز للدولة العلية وللإسلام وتظهر خبايا السياسة البريطانية
 وتكشف النقاب عن حقيقة الصداقة المزعومة التي كانت تتظاهر بها

انكثرا نحو الاتراك والمسلمين . فلم يبق بعد هذه القضية الشهيرة شك ولا ريب في ان الانكليز يعملون على تدمير المملكة العثمانية واثارة عواطف المسيحيين في كل بقاع الارض ضد المسلمين أى انهم يعملون لارجاع ازمان الحروب الصليبية . فليتذكر من يريد أن يتذكر من بنى الدولة العلية ومن بنى الاسلام

*
* *

ما ارتفعت نيران الثورة الارمنية وقام الارمن باظهار ثمرات تدبيراتهم وثمرات التلقينات الانكليزية حتي هبت الجرايد البريطانية موجبة الى الدولة العثمانية سهام الشتائم والقبائح طاعنة على جلاله الخليفة الاعظم الطعن السافل البذيء مدعية كذباً ان جلاله الخليفة هو الموعز للاكراد بالفتك بالارمن وقتلهم هم ونساءهم وأطفالهم . وهي اكدوبة لم ير التاريخ لها مثيلاً . فان كتاب الانكليز الذين كانوا يسطرون هذه الشتائم والمطاعن الساقطة كانوا يعلمون حق العلم ان رجال السياسة البريطانية هم الموعزون للارمن بالثورة وان الارمن هم المعتدون . وفي أغلب الاحيان كان كتاب الانكليز الذين يطعنون على الدولة العلية وسلطانها الاعظم هم أنفسهم من الموعزين للارمن بالثورة ومن المحرضين لهم على الاسترسال في شق عصا الطاعة والعصيان . وهي رواية غريبة في بابها يجب على التاريخ أن يدونها بغاية الاعتناء ليعرف الاعقاب كيف تخدم انكثرا الانسانية وكيف تحمي المسيحيين في الشرق

ولم تكن حركة الخواطر في انكلترا بشأن الارمن الاحركة سياسية
وحركة دينية في آن واحد. فرجال السياسة كانوا يؤملون الوصول بالثورة
الارمنية الى هدم المملكة العثمانية والاستيلاء بصفة نهائية على مصر
بلاد العرب ، وبما انه كان يستحيل عليهم أن يفهموا العامة من قومهم
هذه الغاية البعيدة فقد أهاجوا خواطر الشعب الانكليزي بعوامل الدين .
فكنت ترى الكنائس ميدانا لاعداء تركيا ولاعداء الاسلام وكانت
منابرها مهبطا لادنى الشتائم الموجهة للدين الحنفي ولخليفة المسلمين وكان
رجال الدين البروتستانتى من اكبر العاملين على تهيج الافكار في مسألة الارمن
وكانت أغلب المجتمعات التي تعقد لمساعدة الارمن تعقد تحت رئاستهم
حتى انه كان يخيل للانسان ان الامة الانكليزية بسواسها ورجال دينها
ليست من أمة القرن التاسع عشر بل أمة من أمة المسيحية أيام الحروب
الصليبية بعثت لتذكير المسيحيين بوجوب معاداة المسلمين ومطاردتهم ..
ومن أكبر الدلائل على تعصب الانكليز ضد الدولة العلية وضد الاسلام
ان المستر (غلاد تون) زعيم حزب الاحرار في انكلترا قام نصيراً للأرمن
وطعن على صاحب الخلافة الاسلامية الطعن المروءة واتهمه بأنه هو السافك للدماء
الارمن الآمر بقتلهم وبالفتك بهم وكان في كل خطابه يعان بصوته الرنان
انه لا ينتصر للأرمن بصفتهم مسيحيين بل انه ينتصر لهم بصفتهم من النوع
الانسانى ويصرح جهاراً بأنه يخاطب في صالح المسلمين اذا لم ينصف
المسيحيون المسلمين في بقعة من بقاع العالم. ولما كان بعض السذج من المسلمين
الذين يعجبون بكل شيء في أوروبا حتى بسياسة دولها ضد العثمانيين وضد

المسلمين يظنون ان المستر (غلاستون) صادق في دعواه فقد كتبت الى هذا السياسي الانكليزي العظيم في صيف عام ١٨٩٦ كتاباً ذكرته فيه بأنه كتب لي في يناير عام ١٨٩٦ نفسه « ان زمن الجلاء عن مصر قد واني منذ سنين » وبأنه صرح في كل خطاباته بأنه مستعد لمساعدة المسلمين وللدفاع عنهم اذا رآهم في حاجة لمساعدته ولدفاعه وسألته القاء خطبة في انكلترا على مسمع من سواس بريطانيا وكتابتها لتذكير بني قومه بضرورة الجلاء عن مصر والوفاء بالوعد واحترام شرف جلالة الملكة وشرف التاج الانكليزي فاجابني المستر {غلاستون} بجواب مدهش للغاية وهو « اني نصير للجلاء عن مصر ولكني لا استطيع التداخل في مسئلتها لاني لاسلطة لي في بلادى ولست الا احدا بنائها الخصوصيين،

فكيف يدعي المستر غلاستون انه عديم السلطنة في بلاده عند ما يطالب بالدفاع عن المصريين وبمطالبة انكلترا بالجلاء عن مصر وهو بعينه المثير لعواطف الانكليز ضد الدولة العلية وضد المسلمين ؟ أليكون قوي السلطنة على الصوت في مسألة الارمن وعديم السلطنة خافت الصوت في مسألة مصر ؟ أين اذن صدق المستر (غلاستون) في قوله انه مستعد للدفاع عن المسلمين اذا رآهم في حاجة للدفاع عنهم ؟ أوليس الواجب على المستر (غلاستون) ان يذكر حكومة بلاده بوجوب احترام التعهدات العلية الصريحة والمعاهدات الدولية المتختمة بمصر قبل ان يطالب الحكومة العثمانية باحترام المادة (٦١) من معاهدة برلين ؟ ألا يعلم المستر (غلاستون) انه يجب على انكلترا أن تحترم وعودها وعهودها

قبل أن تطالب الحكومات الاخرى باحترام مادة من مواد معاهدة دولية؟
 أوليس رفض المستر (غلادستون) قبول المدافعة عن مصر والمطالبة
 بالجلاء عنها بمثابة اعلان لتعصبه ضد الدولة العلية وضد المسلمين؟ الأيدل
 هذا الجواب الذي بعث به اليّ المستر (غلادستون) دلالة صريحة على
 ان سواس بريطانيا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؟

ان تعصب المستر (غلادستون) وأصحابه ضد الدولة العلية وضد
 المسلمين واضح لا ريب فيه . وقد أظهره لاوروبا بعض الكتاب المنصفين
 . ولكن أجدر هؤلاء الكتاب بالذكر هو (الفيكونت دي كورسون)
 اقرنساوي فانه وضع رسالة (١) أبان فيها دسائس الانكليز في المسئلة
 الارمنية وأعمال ثوار الارمن وفظائعهم . وانا تقتطف من هذه الرسالة
 الجلية بعض شذرات للاستشهاد بها في هذا المقام :

أوضح الكاتب في أول رسالته ان الجرائد الانكليزية كانت تتنبأ بكل
 الحوادث الارمنية وقال في صحيفة (٦) بهذا الصدد

« والواقف على مسئلة الارمن بمخالفيرها يتحقق لديه انه ما من حادثة
 وقعت في البلاد التي اصطلح الانكليز على تسميتها بآرمينيا الا وتكون
 الجرائد الانكليزية في لندرة قد أثبتت بها قبل حدوثها بزمن طويل جدا
 فتراها تبين لقرائها نوع الحادثة التي ستقع ومكان وتاريخ وقوعها كما فعلت
 في حادثة وادي (تالوري) ولا يجدر بالعاقل ان يتخذ هذا الانباء بالمستقبل
 ضربا من ضروب التبصر الذي امتازت به الجرائد الانكليزية بل لا بد أن

(١) وقد اعتني بتعريبها حضرة الفاضل محمد أفندي مسعود

يذهب في تفسير معناه الى ما فسره به من قال ان الثورة الارمنية أشبه
شيء ببضاعة جهازها الانكليزي في مجتمعاتهم السياسية وأخذوا في تصديرها
حسب الطلبات الى جهات معلومة ،

واستدل الكاتب على كذب الجرائد الانكليزية بأقوال بعضها حيث
كتب في صحيفة (١٠):

«ولقد اعتينا اعتناء تاما بجمع ما نشرته الجرائد المشار اليها في هذا الموضوع
وثابنا على هذا العمل مدة طويلة ثم أمعنا النظر فيه وضاهينا بين أجزائه
فظهر لنا من المناقضات بين أقوال الجريدة الواحدة ومن الاختلافات
الواضحة ما يدع القارىء في ذهول واستغراب. مثال ذلك أن بعض الجرائد
كانت ترى لحال الارمن وتصف ما نابهم من النذل والهوان وما حاق بهم من
المصائب والنواب بعبارة يضطرب لها ذوق الشفقة والحنان ثم تورد عقب
هذا الوصف أشعاراً حماسية قديمة هي عين الذي نشر حينما استقلت بلاد
اليونان إثارة للخواطر وتهيجاً للنفوس. أما الجرائد الاخرى وفي مقدمتها
جريدة (الغلوب) فكانت تنسب الي زميلاتهن الفس وتضليل الرأى العام بما
تنشره من الاكاذيب بشأن المسئلة الارمنية وقد قالت في بعض أعدادها
الصادرة في شهر يناير سنة ١٨٩٥ بالحرف الواحد ما يأتي:

«ان الفظائع التي اسند الي الاتراك اقترافها ضد الارمن هي اكبر ما غشت
به الجرائد الانكليزية الرأى العام الانكليزي ،

وأثبت الكاتب أن عقلاء الارمن سخطوا على انكثرتا واعتبروها عدوتهم
الحقيقية التي ألت بهم في مهواة الهلاك وكتب بهذا الشأن في صحيفة (١٢):

«وانسالم نكاف خواطر نابراز الحقائق من مكامنها الاشفاقاً بأرمني الاقاليم
الاسيوية الذين رضخوا لايغاز الاجنبي لهم بشق عصا الطاعة فسيبوا بذلك
ضياح حياة الكثيرين منهم وانتشار الفقر والفاقة في جميع أنحاء البلاد
الارمنية واستيلاء الوسوس والقلق على قلوب الافراد وعقولهم. وفي يقيننا
ان العقلاء منهم أخذوا الآن يعضون على الاصابع ندماً على ما فرطوا فيه
ويستخظون على الذين بتغير ابرامهم الخبيثة كانوا سبب وقوعهم في هاوية
لاقرار لها وما ذلك الا لكون أولئك العقلاء يعلمون علم اليقين ان دعوة
الحكومة العثمانية لاصلاح شؤون الارمن وترتيب احوالهم لا تكون
بالقيام عليها وتمهيد الطريق لتداخل الاجبي في امورها الداخلية كما
يعلمون ان الثورة تستدعي الحكومة الى اتخاذ الوسائل اللازمة لقمعها
وهو ما يستغرق زمناً طويلاً يمكن اعتباره عقبة في طريق التقدم وحائلاً
دون ارتقاء العمران»

وقد أبان (الفيكونت دي كورسون) ان المسيحيين في الدولة العلية
متمتعون بجميع الحقوق التي يتمتع بها المسلمون وانهم ممتازون عنهم بعدم
دخول العسكرية. ومما كتبه في هذا الموضوع قوله :

« تقضي قوانين الحكومة التركية ونظاماتها العمومية على التركي
المسلم بمهاجرة بيته ومفارقة أهله وخسائه للانتظام في سلك العسكرية
حيث يلبث ضمن العاملين في الجيش ست سنوات متوالية وثمان سنوات في
الجيش الاحتياطي ريثما يكون صاحبه أو رفيقه أو جاره الارمني أثناء
كل تلك السنوات متمتعاً بحريته المطلقة قائماً بأعماله المعيشية عاملاً على

ترقية نفسه في سلم الهيئة الاجتماعية لانه يكون قد عوفي من الدخول في الجيش بدفع بدل نقدي طفيف لا يجوز للمسلم أن يفدى نفسه به ولا بامثاله أضعاف الأضعاف

وبديهي ان هذا الامتياز الممنوح للمسيحيين دون غيرهم من الاهالي قد ألحق بالمسلمين اضرارا كثيرة أقلها تناقص النسل وعدم التأهل لتولي الوظائف والمناصب في الحكومة «

وأثبت الكاتب كذلك بالبرهان الدامغ والحجة القاطعة انه يستحيل تشكيل مملكة أرمنية . وقال في هذا الصدد ما تعريبه :

« أيجهل الانكليز الذين تداخلوا في المسئلة الشرقية وقالوا بضرورة انشاء مملكة أرمنية تكون بلاشك تحت رعايتهم وفي ظل حمايتهم . أن الاكراد هم بلا جدال ولا ارتياب اصحاب البلاد بالنظر لكونهم اكثر عدداً من جميع الامم التي تعيش فيها . وهذه احصائية صريحة لسكان الولايات الاثني عشر التي يسكنها الارمنيون والاكراد منقولة عن كتاب (تركية آسيا) للمسيو (فيتال كينييه):

المجموع	غيرهم	أرمن	مسلمون	
٤٠٣٤٣٠	٧٤٩١٨٠	٩٧٤٥٠	١٥٨٠٠٠	اطنه
٩٩٥٧٥٠	١٥٤٢٧٠	٤٩٠٣٠	٧٩٢٤٥٠	حلب
٨٩٢٨٧٠	٣٥٤٦٣	٩٤٢٩٠	٧٦٣١٢٠	أنقره
٣٩٨٦٢٠	١٣٢٣٠	١٣١٣٩٠	٢٥٤٠٠٠	بتليس
٤٧١٤٥٠	٦٣٦٨٠	٧٩١٣٠	٣٢٨٦٤٠	ديار بكر

٦٤٥٦٩٠	٩٩٥٠	١٣٤٩٦٠	٥٠٠٧٨٠	ارضروم
١٠٨٨٠٠٠٠	٨٩٠٠٠	٩٨٠٠	٩٨٩٢٠٠	قونيا
٥٧٥١١٠	٦٥٠	٦٩٠٢٠	٥٠٥٤٤٠	معمورة العزيز
٣٠٠٢٨٠	٥١٩٠٠	—	٢٤٨٣٨٠	الموصل
١٠٨٦٠٠٠	٧٦٠٦٠	١٧٠٤٣٠	٨٣٩٥١٠	سيواس
١٠٤٧٧٠٠	١٩٣٨٠٠	٤٧٢٠٠	٨٠٦٧٠٠	طرابزون
٤٣٠٠٠٠٠	١٠٩٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٢٤١٠٠٠٠	وان
٨٣٣٤٩٠٠	٩٤٤٩٨٠	٩٦٢٠٠٠	٦٤٢٧٢٢٠	المجموع

وقدر المستر اكزمنيس عدد الاكراد الحقيقيين ١٦٤٤٨٦٠ فيكون
بمجموع المسلمين في الولايات الاثني عشر غير الاكراد ٤٧٨٢٣٦٠ والاكراد
وحدهم ١٦٤٤٨٦٠ والارمن من غريغوريانيين وكاثوليك وروتستانت
٩٦٢٠٠٠ والاقوام الاخر من يونانيين ولاتين وكلدانيين وأقباط ويزيدية
٩٤٤٠٨٠

أما في الولايات السبعة وهي طرابزون وسيواس وارضروم وانقرة
ووان وديار بكر وبتليس التي تأمل الجرائد الانكليزية تأليف المملكة
الارمنية منها فيبلغ عدد سكانها كما يأتي

٣٧٣٣٧٥٠	مسلمون
٨٤٧٧١٠	أرمن غريغوريانيين
٦٠٧٣٤	روتستانت
٥٨٤٧١	كاثوليك

٣٥٢٥١٢	يونان ارثوذكس
٣٨٠	متحدون
٩٢٠٠٠	نسطوريون
٤١٤٤٠	كلدانيون
٥١٢٩٨	يعقوبيون
٩٩٨٠	سوريون
٩٤٦٢	يزيديون
٣٧٢	اقباط
٣٧٣٣٧٥٩	مجموع المسلمين
١٤٩٧٣٥٩	أرباب الديانات الاخرى

أي ان نسبة مجموع المسلمين في الولايات السبعة السالفة الذكر الى عدد الاهالي الكلي كنسبة ١١ الى ١٥ وعليه فتكون نسبة المسيحيين اليه هي ٤ الى ١٥ ليس الا والأرمن نصف هؤلاء فتكون نسبتهم الى عدد الاهالي الكلي كنسبة ٢ الى ١٥

فكيف يمكن والحالة هذه انشاء مملكة أرمنية يكاد العنصر الارمني فيها أي الذي سيقبض على أزمة الوظائف في الحكومة لا يوازي الثمن من مجموع عدد الاهالي. لاريب ولا شك في انه اذا تحققت أماني القائلين بانشاء تلك المملكة تمزقت احشاؤها وتكسرت ضلوعها بتواتر المنازعات الملية والحروب الاهلية . والا فكيف يتصور عاقل منصف ان الامن يكون سائداً والطمانينة موطدة الدعائم في فرنسا مثلاً اذا كان لا يوجد

فيها من الفرنسيين سوى ستة ملايين ومن الالمانيين والانكليز الذين هم أشد أعداء فرنسا لداداة وخصومة نحو ٣٠ مليوناً

يؤخذ بالبداهة مما سبق بيانه أن مسألة انشاء مملكة أرمنية يقوم بأمرها أحد أبناء البلاد هي أمنية برقشها الانكليز بألوان تجذب قلوب الارمنيين اليهم. وليس يبرح عن أذهان القراء الواقفين على ما وقع من الحوادث أثناء انعقاد مؤتمر برلين ان مندوبي الكنيسة الارمنية عرضوا على نواب الدول في هذا المؤتمر بارشاد والهام (نوبار باشا) مشروعاً يؤخذ من مغزاه طلب تعيين « حاكم أرمني » لبلاد أرمنيا أي للولايات السبعة التي سبق بيان أسماها وتحديد شروط تعيين الموظفين وانتخاب المجالس العمومية وتشكيل عساكر الجندرية الي غير ذلك من المطالب التي تعتبر كافلة لاستقلال أرمنيا استقلالاً مطلقاً وبعبارة أخرى لجعل ٣٧٠٠٠٠٠٠ نفس من المسلمين تحت سيطرة ٨٠٠٠٠٠٠ أرمني مسيحي .

أما الحاكم العام الذي كان يريد المندوبان الارمنيان تعيينه فهو كما يتبادر لذهن القاري (نوبار باشا) الذي كان يمنيها الانكليز بتغيير لقبه وتحويله من حاكم عام الى والي أو أمير (برنس) وهذا هو السرفي كونه لبث نحو ستة عشر عاماً يوالى الانكليز بخدماته ومساعدته ويجعل نفسه آلة لهم يستعينون به على قضاء مآربهم ونوال أغراضهم في البلاد الشرقية وكونه وضع القطر المصري في قبضتهم وساعدتهم على الاستئثار بالسلطة والاحكام فيه شيئاً فشيئاً بالرغم عن أميال سمو الخديو الشاب وعواطفه الوطنية

ومما لا بد من تذكير القارئ الكريم به هو أن بين المسئلة المصرية

والمسئلة الارمنية علاقة أكيدة ورابطة وثيقة تاه عنها كتاب الجرائد الاوربية ورجال السياسة فان (نوبار باشا) طامح الى الجلوس على منصة الامارة الارمنية الموهومة وقد اتخذ الانكليز هذا الطموح وسيلة للبلوغ صرامهم من وضع البلاد المصرية تحت حماية دولتهم وليست الحوادث الاخيرة التي كانت بلاد الاناضول ميداناً لها الاحجابا كشيئا ستر مقاصد الانكليز من الاستيثار بالسلطة في وادي النيل ويخفي مساعيهم ووسائلهم المقصود بها وضع هذا الوادي في طي آملاكهم الشاسعة الاطراف

وقد شعر المؤتمر البرليني بما كان يحاول الحزب الارمني الحصول عليه منه الا وهو الاقرار بتعيين (نوبار) حاكماً عاماً على أرمينيا فحترز أعضاؤه من الوقوع في حبال ذلك الحزب بتجريم ما كان موضوع المادة الحادية والستين من العهدة البرلينية وهذا نصه « يتعهد الباب العالي بأن يجري بلا ابطاء ولا تأخير التعديلات والاصلاحات التي تستلزمها الحاجات المكانية والضرورات المحلية في الاقاليم والولايات التي يسكنها الارمن وبأن يكفل لهم الامن والطمأنينة من الجراكسة والكرد. ويتعهد كذلك بأن يوفى الدول من وقت الى آخر بما يتخذ من الوسائل اللازمة لذلك كي تراقب تنفيذها »

والتأمل في ظاهر هذه المسادة يجده مناقضاً لما كان يخالج صدور نوبار باشا وأصحابه الانكليز من الاماني والآمال ولكن الدولة الانكليزية تمكنت بواسطة هذه المادة من احتلالها القطر المصري ومن الحصول على جزيرة قبرص ومن التداخل في شؤون آسيا الصغرى

ولقد نشر الماجور (عثمان بك) في جريدة غازت مونينخ العمومية مقالة

شائقة أطمأ فيها اللثام عن أسرار الاجتماعات التي حصلت في شهر سبتمبر سنة ١٨٨٧ بمدينة جنيف «جنبره» قاعدة بلاد سويسره بين نوبار باشا ولوريس ميليكوف وتكران باشا وبوغوص باشا وكان نوبار باشا . عاداً وقتئذ من لوندره حيث تهاطلت عليه الوعود من أصدقائه الانكليز بمعاونته وشد ازره في مشروع انقاذ البلاد الارمنية . من الاحكام العثمانية الصارمة فقرروا بينهم ارسال جماعة ممن لاشأن لهم سوي إثارة الخواطر وغرس بذور الفتن ورفع لواء العصيان والاضطراب الى بلاد الاناضول وأعزوا اليهم ان لا يتوانوا عن السلوك في هذا المسلك حتى تضطرب الاحوال ويختل نظام الامن وتجد الدولة البريطانية فرصة للتداخل بحجة المراقبة والاشراف على تنفيذ مضمون المادة الحادية والستين من عهدة برلين . وتم الاتفاق أيضاً على ان الجرائد الانكليزية في لوندره والمبعوثين البروتستانت في ارمينيا يوالون زعماء هذا الاضطراب بالمساعدة والتعصيد مبالغة في الحض وزيادة في التنشيط

ولمناسبة ذكر المبعوثين البروتستانت نقول ان المرسلين الدينيين في البلاد التي يخترقونها أو يقيمون فيها هم رواد التدابير السياسية والممهدون للدسائس القنصلية ولهذا ترى ان مساعيهم نجحت بين الارمن وبلغ عدد الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتى من هؤلاء أكثر من ٦٠٠٠٠ نفس وقد استعمل القسوس للوصول الى هذه الغاية الفريدة وسائل وأساليب غريبة منها . انهم كانوا يغرون الارمن بقولهم انكم اذا اعتنقتم هذا الدين شملتكم الحماية الانكليزية التي تمتد بلا مرء على جميع الامم

البروتستانتية وأمكنكم حينئذ أن تهزوا بموظفي الحكومة العثمانية اذا حاولوا
تشديد الوطأة عليكم وتخلصوا من دفع الضرائب والرسوم القادحة
التي أثقلوا بها كاهلكم ،

وقد أتى الكاتب على أسماء اللجنة الانكليزية التي شكلت لمساعدة

الارمن حيث قال :

« ونذكر من الانكليز الذين شدوا أزر هؤلاء الاخلاط وعاونوهم
على نوال مطامعهم المسترستفنون أحد أعضاء البرلمان ورئيس اللجنة
الارمنية الانكليزية والمستر اتكين أمين صندوق اللجنة والمستر برايس
أحد أعضاء البرلمان ووكيل احدي الوزارات في وزارة المستر غلادستون
والدوق درجيل والدوق دي وستمنستر والورد روندل والورد كمبرلي
وزير خارجية انكلترا ، والسر هاتير والمستر شفون والسر سيتول والسر
جون كينافاي والمستر شانغ وجميعهم من أعضاء مجلس البرلمان والمستر ستين
غلادستون مدير مدرسة هواردن والقس ما كول والمستر جون كليفورده الخ
ولا حاجة الى اعادة القول في هذا المقام بان المستر غلادستون المشهور
بحقده المزمع على تركيا وضعفه للاتراك هو المدير الاعظم للحركة الارمنية
وانه لم يدع فرصة تفوت بدون أن يجاهر فيها بمساوئه للدولة العلية
وتجريض الجمهور على كراهتها والسعي في هدم أركانها ،

وأوضح الكاتب السالف الذكرا تاريخ اللجنة الارمنية الثورية المنتسبة الى
« وفي سنة ١٨٨٧ شكل القوضيون من الارمن وهم روبن هان اسديان

الملقب بكمبور ونيشان مجاوريان وهمايك كوشبازيان جمعية سرية منسوجة

على منوال الجمعيات العمومية الروسية (نهالست) جعلوا مقرها حارة هفلبان بمدينة تفليس وقد سميت هذه الجمعية باسم هنتشاك ونيط بها انشاء جريدة بهذا العنوان عهد بادارتها وتحريرها الي نزار بكيان ليون الذي كلف بالعودة الى مدينة جنيف (جنبرة) حيث ابتدأ في نشر هذه الوريقة الثوروية . وبعد مدة طائلة نقل ادارة الجريدة الي مدينة أئينا لكي تتوفر لديه الطرق والوسائل اللازمة لادخالها في البلاد العثمانية بالنظر لقرب تلك المدينة منها غير أن الحكومة اليونانية لم تستطع بقاء جريدة فاسدة المبادئ في بلادها وتحت حمايتها فطردت محررها وأربابها الذين هاجروا عاصمة اليونان قاصدين مدينة لوندرة ولا يزالون فيها الى اليوم ينشرون تلك الصحيفة الثوروية

ولكي يقف القارىء وقوفاً تاماً على الغرض الذي يسمي أعضاء لجنة هنتشاك لنواله لا نزي بدأ من ترجمة بعض لوأئهم ومنشوراتهم ترجمة حرفية نراعى فيها مطابقة الاصل من جميع وجوهه وللقارىء أن يستنتج من خلال معانيها ما يلائم الصدق من الاحكام الصائبة فنقول: نشرت لجنة هنتشاك في سنة ١٨٨٩ بمدينة لوندرة رسالة قسمتها شطرين الاول منهما عنوانه « التيار الجديد » والثاني « خطاب مفتوح » يقع نظر القارىء فيها بالصحيفة ١٩ على ما يأتي :

« من الواضح قبل كل شيء أننا فوضيون وان لنا رغبة وطيدة مبنية في لوأئنا ألا وهي نشر مبادئ الفوضى في بلاد الاناضول. هذا هو الغرض الاساسي وللوصول اليه قد عقدنا العناصر على انشاء حكومة وطنية

مستقلة في تلك البلاد واحداث الاضطراب بلا توازن ولا امهال للحصول
على الحرية السياسية الواسعة النطاق ،
وقد اورد هذا الكاتب الجليل مواد لأئحة الجمعية الهنتشاكية واننا
نأتى على ترجمة بعضها :

« المادة ٦ هي : من الغرابة بمكان وهذا نصها » يجب على كل لجنة
أن تعين رئيساً للجواسيس من بين أعضائها على شرط ان يكون من موظفي
الحكومة أو تكون له رابطة وعلاقة بموظف أرمني في الحكومة ليتمكن
من نقل اسرارها ونواياها الى اللجنة ويشترط في تعيين ذلك
الرئيس ان يكون من ذوى الشهامة والقدرة على كتمان الاسرار. وينبغي
ان يكون تحت ادارته عشرة جواسيس ينتخبون من أصدق رجال الجمعية
ليقوموا باخبارها أولاً بأول بما يكتشفها من المخاطر وعليهم أن يدخلوا
في كل مكان متكرين بحيث يكون زى التنكر للواحد منهم مختلفاً عنه
الآخر ويهيئوا مشروعاتهم في الخفاء وتكون المخابرات المختصة بهم
منحصرة بين اللجنة وبين رئيسهم »

« وتقتضى المادة السابعة بتعيين خطباء يخطبون بين الجمهور لحضهم على
الثورة والاضطراب . أما المادة الثامنة فاليك نصها : » يجب ان يكون لكل
لجنة منفذ يكون تحت امرته جماعة من المساعدين والواجب المفروض على
هذا المنفذ على مساعديه أن يقوموا باعدام من ترى فيهم اللجنة أنهم يضررون
بها سواء كانوا من الحزب أو من الاجانب وذلك متى صدر قرار اللجنة قاضياً
باتخاذ هاته الوسيلة. وأنواع العقاب ثلاثة التوبيخ والضرب بالعصي والاعدام

وهذا النوع الاخير ينفذ اما بالحجر أو بالرقلقرو اما بالخنق واما بالسم . ولاجل
نسف المنازل والمباني على العموم يجب استعمال : أولا . القنابل الديناميتية
ثانيا . الديناميت السائل . ثالثا . قنابل الحريق المملوءة بالبارود
المادة ٩ : يجب أن يكون لدى اللجنة واحد تتحصر اختصاصاته في
غرس بذور الفتن وتحريض الضعفاء على الاقوياء حتي تم الفتنة وينتشر
الاضطراب وليس لهذا الشخص ان يعمل الا بأوامر اللجنة وارشاداتها ،
المادة ١٠ : ينبغي ان يوجد حارس على الاسلحة موصوف بالنباهة
والشهامه اذ لا يخفى ان هذه الوظيفة أهم الوظائف وأخطرها والواجبات
التي ينبغي عليه مراعاتها هي العناية بحراسة الاسلحة والخرطوش والبارود
وعدم اطلاع أحد على مكانها ويجب ان يكون بين يديه دفتر ليسهل
بواسطته عمل المراقبة كل ثلاثة أو أربعة شهور كما يجب أيضا ان لا يوضع
مكان الاسلحة والذخائر على أكثر من مسيرة ساعتين أو ثلاث من المدينة
وان تكون العناية بحراستها شديدة جدا كي لا تقع بين أيدي الحكومة «
وقد أفاض (الفيكونت دي كورسون) في رسالته القريده في الكلام
على دسائس الارمن وفضائلهم وتكلم عن حادثة (كوم قبو) التي حدثت
قبل محاكمة الارمن بانقره وقبل اشتغال الرأي العام الاوروبى بالمسئلة
الارمنية . ومن ضمن ما كتبه بشأن دسائس الارمن ما تعريبه :
« وقد تبين للقاريء ان الغرض من احداث الاضطرابات انما هو اثاره
خواطر الارمن الذين كانوا اليوم وقوعها مخلدين الي السكينه راغبين عن
مشاركة اللجنة الهنتشاكية في أعمالها الثوروية الخبيثة والانتقام ممن اشتهروا

بتقييح هذه الاعمال وتشييعها. وعملا بهذا المبدأ قتلوا هتشك افندى أحد معتبرى المحامين الارمن أمام محاكم الاستانة العلية وقد اعترف القاتل له وهو ارمنك الذي لا يتجاوز عمره ١٨ ربيعاً ان همبرسوم بويا دجيان رئيس اللجنة المنتشاكية في الاستانة العلية والمسبب الاصلي لواقعة كوم قبو قد أعطاه خمس ليرات عثمانية أجرة قتله لذلك الرجل المستقيم ، وكثيراً ما كاد قسوس الكنيسة الارمنية والبطريق ارشكيان نفسه يقعون في مخالب الثورويين لولا اسعاف العناية الربانية لهم وتيقظ رجال الحفظ لحركات الاشقياء الذين قبض على البعض منهم فاعترفوا صراحة بأنهم وكلاء اللجنة المنتشاكية

وقتل الثأرون أيضاً أحد أغنياء المضارين من بنى جلدتهم واسمه سيمون بك مكسود وقد قبضت الحكومة على المجرمين وهم استبان أحد تجار الجوهرات وهمبرسوم القهوجي وكاروك وتانيوس فاعترفوا صراحة بأنهم لم يأتوا ذلك الجرم الا باغراء دكران أحد صناع الاحذية المنتظم بصفة عضو في اللجنة الثوروية. وقد حصل حديثاً في ٢٦ يونيو سنة ١٨٩٥) ان اثنين من أعضاء تلك اللجنة تجاسرا على قتل أرمني اسمه توتونجيان موظف في قلم المطبوعات

وقد تمكن كل من همبرسوم بويا دجيان ومهران دماديان من مغادرة الاستانة عقب تلك الحوادث التي تقشعرت من ذكرها الابدان قاصدين مدينة جنيفه حيث كانت تنشر وقتئذ جريدة هنتشاك التي نقلت فيما بعد الي مدينة أينا وقد تمكن بعدئذ بويا دجيان بالتسكّر والنخفي من الدخول في بلاد

الاناضول حيث التقى باخيه مرديروس جراير المشهور باسم مروك
وبالاشتراك مع بعضهما احداثا الاضطراب في يوزجات وموش وتلورى
وعقب سفر بويادجيان استلم رئاسة اللجنة الهنتشاكية في الاستانة
العملية شخص روسي الانتماء يدعي وارد برادر يكوف ولكنه لم يلبث
في الرئاسة زمنا طويلا حتي قبضت عليه الحكومة وقتشت منزله بحضور
مندوب من قنصلية روسيا الجبرالية في دار السعادة واستولت على
ما وجد فيه من الاوراق واللوائح والمنشورات المتعلقة باللجنة الهنتشاكية
وبعد ان سجات سفارة روسيا عندها بيان هذه الاوراق وختمت عليها
بطابعها ارسلت الي المحاكم النظامية لمحاكمة المتهمين قضائياً :

وبعد ان أتى حضرة الكاتب الفرنسي باللائل البينة التي
ثبت ارتكاب الارمن لاسفل الفظائع استشهد بأقوال بعض أمجد
الكتاب الاورويين على اختلاق الجرائد الانكليزية للاخبار الكاذبة
ونشرها الخزعبلات عن أحوال تركيا فكتب في صحيفة { ٦٤ } من
رسالته البديعة ما تعريبه :

« وكتب المسيو دانوسو الذي أمضي ثلاثة شهور ببلاد أرضروم
في رسالة مهمة بتاريخ شهر مايو سنة ١٨٩١ أن حماية الدولة العلية شاملة للارمن
والمسلمين بدرجة واحدة وان لاتفاوت في الحرية الممنوحة للطرفين الى
أن قال : ولرجال الثورة في أرمينيا زعماء ترد لهم الاوامر من رؤسائهم
بالاستانة العلية طبقاً لما يتوارد على هؤلاء من لوندرة من التعليمات
الخصوصية المهمة في دخل ادارة جريدة الدالي نيوز . وقال في الختام

ولقد اندهشت من تماثل الحوادث وتشابه الوقائع في أرمينيا وكريد
فالذين يدعون أنهم أصبحوا فريسة لظلم الدولة العلية واجحافها بحقوقهم
نراهم يتمعون في كلا البلدين بامتيازات لم يفز بها مواطنوهم المسلمون
أقلها عدم دفع الضرائب والاعفاء من الخدمة العسكرية ولا يسعنا تلقاء
هذا التماثل سوى الحكم بأن اليد التي أثار التفتنة في أحدهما هي التي
أثارها في الآخر»

وكتب في صحيفة ٦٧ و ٦٨ مآعريه :

« أما اللجنة الارمنية الانكليزية في لوندرة فقد انتهزت فرصة ذلك
الانقلاب السياسي وبعثت بعض نصراتها الى آسيا الصغرى وأوغزت
اليهم تفريق منشورات يدعون فيها الاهالي علنا الي الثورة والاضطراب
وقد جعلوا مرسيوان ميدان دسائسهم التي امتدت منها الى قيصرية
ويوزجات وتشورن وجمشخانة وعزيزيه وغيرها من الاماكن وقد
توجه رجل اسمه (اندون رشتوني) أحد أعضاء لجنة لوندرة الى قيصريه
لايقاظ الفتنة فيها فلما قبضت عليه الحكومة وجدت معه منشورات
ولوائح جمعية هنتشالك الثورية وطابع الجمعية وقتشت الحكومة بارشاد
أحد المجرمين في كنيسة ديفونيك القريبة من (قيصرية) فوجدت كمية
وافرة من الاوراق كان رشتوني السالف الذكر وضعها عند أحد القسوس
ومن مطالعة هذه الاوراق علم أن للشخصين المسمين طومايان وكايايان
الارمنيين البروتستانتين المعلمين في مدرسة مرسيوان البروتستانتية ضمناً
في تلك الحوادث وانهما أسما مطبعة سرية في داخل تلك المدرسة واستغرقا

الوقت في تعليم التلامذة مبادئ الفوضى وقواعدها
 اما حوادث يوزجات وقيصرية فكانت ثمرة دسائس مرديروس
 جراير المشهور باسم موروك شقيق همبرسوم بويادجيان وتوضيحها أنه
 دعي الى الحضور بجهة بك جملة من الارمن وبعد ان وزع عليهم
 الاسلحة والنقود الواردة برسمهم من انكلترا أمرهم بالاستعداد عند أقل
 اشارة لنهب القرى التي يسكنها المسلمون وذبح هؤلاء . وقد ارتكبوا
 جملة جرائم بجهات مختلفة وعلى الخصوص في قيصرية وكلها افضت الى القبض
 على المذنبين ومحاكمتهم بمحكمة أنقره التي صدر حكمها بالاعدام على ١٧
 من المتهمين وبالشاقلة لمدة ١٥ سنة على ستة منهم وبها لمدة سبع
 سنوات على عشرة منهم وبرأت ساحة ١٤ متبها ولكن أبت مكارم الحضرة
 الشاهانية الا للشفقة على أولئك المذنبين اذا صدر السلطان أمره الكريم بابدال
 عقاب الاعدام بالطرد من بلاد الدولة العلية . وبالرغم عن هذه العواطف الكريمة
 التي قل أن تتوفر في أمير من أمراء أوروبا وفي حكومة من حكوماتها فان
 الجرائد الانكليزية أسرفت من الطعن والسب في مقام جلالته ولم تدع نعتاً
 من النعوت القبيحة الا ألصقته باسمه وأمتازت الجرائد البروتستانتية على
 غيرها في انتهاج هذه الحطة وذلك لكون طومايان وكايايان هما من الارمن
 الذين اعتنقوا الديانة البروتستانتية . وبمجرد صدور الامر الكريم بتخفيف
 تلك العقوبات بادر كل منهما الى مبارحة بلده لانهما كانا من ضمن المحكوم
 عليهم بالاعدام . أما طومايان فقد ذهب مباشرة الى لوندرة حيث صار من
 اكبر أعضاء اللجنة الارمنية الثوروية واكثرهم نفوذاً وهو الذي كان

الانكليز يعرضونه على الانظار في المجتمعات وفي ادارات الجرائد بمثابة مثال من الامة التي وقع عليها الضغط والظلم من الحكومة العثمانية وكان بطريق الارمن بالاستانة العملية في هذا الاثناء يبعث بالمشورات تباعا الى الاساقفة واكابر القسوس (مارس سنة ١٨٩٥) كي يحرضهم على منع الاجانب من التعبير بالاهاى الداخلين في دائرة اختصاصهم الديني وقد جاء بأحد تلك المنشورات ما يأتى :

« محضو النصح للطبقة الجاهلة من رعاياكم كي لا يقعوا في شرك المهيجين . أما الذين ينشرون عن الطاعة ولا يأترون بأواصر الحق فالتمسوا العفو والصفح لاجلهم لدى الحكومة باعتبار انكم المدافعون عن وحدة الصداقة الوطنية »

وهي عبارة غاية في الحكمة والصواب ولكن لم يكن لها ذرة من التأثير على العقول تلقاء ما نشره الجرائد الانكليزية والارمنية التي تصدر بمدينة لوندرة من التحريض واثارة الحواطر وشرح المواقع « التي فاز فيها الثأرون الارمن بالانتصار على الجيوش العثمانية » الي غير ذلك مما أفضى الى مذبحه ساسون التي تقشع الابدان من ذكرها

ومن الخطأ المبين أن يعتقد القارئ بمحصول هذه المذبحه عفواً وجزافاً فلقد ثبت أن الانكليز هيؤها منذ زمن طويل كما يتضح صراحة من تلاوة الشذرة الآتية المقتبسة من جريدة { الكونجرىجاسيونا لست } الصادرة في ٢٣ دمبر سنة ١٨٩٣ بمدينة بوسطن من امريكا بقلم المستر هيروس همان أحد المبعوثين البروتستانت وهي : « اكدلى شاب من

الأرمن تظهر عليه مخائل الذكاء والنباهة ويتكلم الانكليزية بنفس
 السرعة التي يتكلم بها اللغة الارمنية وهو من أفصح المدافعين عن
 مبدأ الثورة بان الحزب الثوروي يأمل الاثيان بعمل يمهّد لاحدى الدول
 الاجنبية وسائل الدخول في آسيا الصغرى والاستيلاء عليها . فلما سألته
 عن كيفية ذلك أجاب قائلاً : تألفت عصابات من الهنتشاكيين في جميع
 أنحاء الدولة العلية وهي تتربق الفرص المناسبة لقتل الاكراد والترک
 واحراق قراهم ومساكنهم ثم تعصم بعسند بالجلال فينشأ عن ذلك
 وقتئذ ان المسلمين يملكهم الغضب فينقضون على الارمن ويقتكون بهم
 فنكاصرياً تضطر معه احدى الدول الاجنبية الى التداخل في أمور آسيا
 الصغرى والاستيلاء عليها باسم الانسانية والتمدن المسيحي . فقلت له
 ان هذا المشروع وحشي وفي أقصى درجات القسوة فأجابني بكل سكينه
 : لا ريب في انه يبدو لك كما تقول ولكننا معشر الارمن قد وطنا النفس
 على نوال الحرية . فلقد تحركت عواطف أوروبا لفظائع بلغاريا فمنحتها
 الحرية وهي لا بد أن يصل اليها نداؤنا فتمنحنا أيضاً هذا الامتياز «
 وبعد نشر هذه المحادثة في الجريدة المشار اليها بسنة تقريبا وقعت فتنة
 بوادي تالوري (ساسون) واتضح ان المحرك لها هو همبرسوم بوادي جيان
 الذي تمكن من العودة الى الاناضول بعد ان سمي نفسه مراديان ووطد
 رابطة العلاقة بينه وبين الارمن البروتستانت في ولايات بتليس ووان
 وأنقره وأذنه وكان ذلك الرجل يقرر بعقول ذوي الاحلام الطائشة
 بدعوتهم الي حمل السلاح ومهاجمة المسامين ويمنيهم بمساعدة انكارترا

وتدخالها في شؤونهم بالقوة الحربية ولكني يموه عليهم بهذه الاكاذيب
 كان يبرز لهم خطابات ادعى انها واردة اليه من اكابر رجال السياسة في
 لوندريه . وقد طبع منشورا في هذا المعنى أرسله الى أعضاء الاكليروس
 الارمني القس وهابديان رئيس أساقفة ادنه سابقا وقد نشرته في شهر مارس
 سنة ١٨٩٥ أغلب الجرائد الفرنسية

وقد قال المستر كزمنيس الذي سلف ايراد أقواله مرارا في أوائل
 هذه الرسالة ما يأتي : « ان انبعاث على حصول الاضطرابات المذكورة هو
 رجل اسمه بويادجيان أحد تلامذة المبعوثين الاميركان . وهو الذي كان له
 ضلع في حادثة كوم قبو وصدر أمر جلالة السلطان الاعظم بالعمو عنه .
 ويقول الارمن ان هذا الرجل قد حضهم على الثورة بعد ان أقنعهم
 بمساعدة انكثرا لهم واسعافها ياغم بعساكرها وانهم سألوه كيف تتمكن
 العساكر الانكليزية من الوصول الي هذه الجهات البعيدة عن الشواطئ
 فضلا عن تعذر السير فيها فأجابهم بان أولئك العساكر سيصلون الي هذه الجهات
 بواسطة بالونات (قباب تيار) جسيمة الحجم حمراء اللون وهي آخر
 اختراع في العلوم العسكرية الجديدة . واعتقاد الاهالي بهذا الكذب
 الفاحش دليل على مقدار سذاجتهم وسرعة تصديقهم وبساطة فطرتهم
 وقد اتخذ بويادجيان هذه الفرصة الطبيعية آلة لاستمالة سكان الاحدى
 عشرة قرية المكون منها مركز ساسون وكانوا يبلغون ثلاثة آلاف نسمة
 تقريبا فتحصنوا في جبال انطون داغ بعد ان تساحوا بالبنادق المتكررة
 الطلقات الواردة اليهم من لوندريه وتفليس »

وكتب (الفيكونت دي كورسيون) في صحيفة ٧٢ وما بعدها من رسالته
الجليلة ما ترجمته :

« أما الحادثة نفسها فنحنى عن ايراد شرحها بمقتضى ما وصل الي علمنا
من الاخبار والمعلومات بل نقنع بنقلها عن جريدة النيوورك هرالد التي
لا يجسر أحد على اتهامها بالتحييز للاغراض أو الميل للاتراك
وها هي :

« ان الثأرين الارمن الذين ظهروا في جبال تالورى الواقعة بين ساسون
في الجنوب الشرقى من موش (ولاية بتليس) وبين مركز كال (من
متصرفية جوانج) قد اجتمعوا في تلك الجهة بارشاد وتحريض شخص اسمه
همبرسوم أو مراديان لاثارة الفتنة بها. وهمبرسوم هذا ولد ببلدة هاجين
(ولاية ادنه) وتفرغ لدراسة الطب بمدرسة الحكماء في الاستانة العلية
مدة ثمان سنوات وكان له اصعب في عادية كوم قبو ثم فر الى الاستانة ومنها الى
جنيفة. وبعد ان أقام بهامدة تنكرا باحد الازياء واتحل اسما غير اسمه الحقيقي ثم عاد
الى ولاية بتليس عن طريق اسكندرونه وديار بكر وأخذ فيها يحرص الجمهور
على الثورة والاضطراب وكان يساعده على هذا الفساد خمسة آخرون من بنى
جنسه وكان همبرسوم يؤكدها الى بأن الدول الاوروبية قد أناطته بمأمورية
مهمة وهى دك أركان النفوذ العثماني ودأب على الكلام بهذا المثال حتى
استمال اليه قلوب الارمن القاطنين في قرى سينروسماي وجلي جوزات
وأهى وهدنك وسنانك وسكنند وايغار وموسون وايتك واكجسر
وقرية فالورى التي تشتمل على أربعة محلات. وفي أواخر شهر يوليو سنة ١٨٩٤

بارح أولئك المغرورون بلادهم بعد ان وضعوا نساءهم وأولادهم وأموالهم
 في جهات أمينة والتقوا بالثأرين الآتين من موش ومحلى كال وسلفان في
 جبل اندوك داغ وهناك تم الاتفاق على ان خمسمائة أو ستمائة منهم يهجمون
 على بلدة موش فزحفت هذه الفرقة على قبيلة دليكان المستقرة بالقرب
 من سفح جبل كورلنك السكان جنوبي موش فسلبت أموالها وقتلت
 كثيراً من رجالها واستعملت في قتل المسلمين منهم أساليب التعذيب
 التي لا ترد على خواطر المتوحشين والبربريين وذلك بعد ان شهرت بدين
 الاسلام وطعنت فيه امامهم ثم هاجت بعد ذلك العساكر العثمانية النظامية
 ولكنها لم تتمكن من تنفيذ مشروعها الاول الا وهو الولوج في مدينة
 موش وذلك لاهمية الحرس العسكري الذي كان مقبياً فيها . أما بقية
 الثأرين الذين لبثوا في جبل اندوك داغ فقد انقسموا فرقا متعددة
 قصدت كل فرقة جهة معلومة للهجوم عليها . وقد اتصل بنا من أخبارها
 انها أحرقت ابن أخي عمر أغا حيا وانتهكت حرمة النساء المسلمات الساكنات
 في قرية جولى جوازات وعذبت المسلمين وألحقت بهم النكال واكرهتهم
 على تقبيل الصليب وسمت عيونهم وجسدت أنوفهم وقطعت آذانهم
 وأذاقتهم من العذاب ألوانا وأشكالا . وفي أول شهر أغسطس هجم
 أولئك الثأرون على قبائل فاني نار وبكيران وباديكان واقترفوا أفضع
 من تلك الآثام مع أهلها واقتسدي بهم الثأرون في قريتي اليغرنك
 ويرموش الواقعتين بقسم جنين فانهم هجموا على اكراد تلك الناحية وأوقعوا
 باهالى كيسر وشتشت وهجم الارمن في آخر شهر أغسطس على الاكراد

المقيمين بالقرب من مدينة موش فأحرقوا ثلاثة من القرى أما الثأرون في تالوري فقد فتكوا بالمسلمين والنصارى معا طلبا للثأم والسلب ولما وصلت الجيوش الشاهانية لمطاردتهم طلب رئيسهم همبرسوم النجادة لنفسه ففر الى الجبل مع أحد عشر من رفقاءه وقد قبض عليه العساكر بعد ان قتل منهم اثنين بيده وجرح ستة آخرين ولم يأت آخر شهر أغسطس حتى تفرق الثأرون شذرمذر . وقد عومل الاهالى من نساء واطفال وشيوخ بأحسن المعاملة مراعاة لما أمر به الدين الاسلامي و اشارت اليه الانسانية أما الثأرون الذين قتلوا فهم الذين أبوا التسليم والاذعان لاوامر الحكومة وفضلوا الاستمرار على مكافحتها ،

وكتب هذا الكاتب المحقق في صحيفة ٧٦ وما يليها ماتعريبه :
 « ولكن هذه الحقيقة الواضحة قد اسدلت الجرائد الانكليزية عليها الستار ثم أبرزتها في لئائف المبالغات والاكاذيب كي تستعين بها وزارة الخارجية الانكليزية على إصابة ماترنو اليه عيون مطامعها من الاعراض الذاتية . وفي الواقع فانه بعد ان عمت الخافقين تلك الاكاذيب طلبت انكلترا من الدولة العلية تعيين لجنة دولية لمزاولة تحقيق المسئلة الارمنية فقامت الحكومة العثمانية هذا الطلب بالقبول لوثوقها بوضاحة الحقائق وتوفر القرائن المثبتة لادانة الارمن

وبناء على هذا القبول شكلت اللجنة وانتظم ضمن أعضائها مندوب روسي وآخر فرنساوي وآخر انكليزي وهو تشكيل يحق للقارىء أن يندش كثيرا منه لموافقة روسيا وفرنسا لانكلترا عليه واشترا كهما

معها فيه ولكن لو نقب الأنسان عن الحفايا واستطلع الحقائق لاستحسن هذا الاشتراك اذ لو كانت الدولة الانكليزية استأثرت بالتحقيق اكانت تمكنت من نشر الاكاذيب واذاعة المفتريات عن الدولة العلية بلا خوف من قيام احد لتكذيب مدعياتها وبرهنت على ان تركية آسيا قد أصبحت مسرحاً لتمثيل مذابح النصرارى صباح مساء وأظهرت بذلك أهمية تداخل ه احدى الدول الاوربية العظمى « لتأييد دعامة النظام والامن والعدالة في تلك الانحاء

و خلاصة القول لولم تشارك روسيا وفرنسا مع انكلترا في مسألة التحقيق لاحتل الانكليز أراضي الاناضول كما احتلوا مصر بحجة توطيد الامن وكبح جماح العصاة ثم طاب لهم المقام فيها الى الآن بالرغم عن طلبات الدولة العلية وفرنسا وعن العهود العنية التي فاه بها رجالهم السياسيون مرات متعاقبة «

« ولقد أفضت عواقب هفوتنا السياسية في البلاد المصرية الي انحطاط نفوذنا وخفوت صوتنا بمعنى انه بمجرد ما اقترحت الدولة الانكليزية علينا فتح أبواب التحقيق في المسئلة الارمنية قابلنا هذا الاقتراح بالقبول وتمام الارتياح وانما استدعينا أصدقاءنا الروسيين الي الاشتراك فيه معنا لاسيما وانه يوجد من بين رعاياهم نحو مليون من الارمن

وقد تم التحقيق على قاعدة التجرد من الاهواء وتمام الاستقلال ودل على ما كان يمر بالخاطر من ان الارمن جنحوا للاضطراب بتخريض

محرزين جاؤا من الخارج لهذا الغرض ووزعوا عليهم أسلحة انكليزية متكررة الطلقات وارتكبوا معهم بعد ذلك أقصى ما يرتكب من الجرائم والآثام في أوقات الثورة كالحرق والقتل والسلب ثم اعتصموا بالجبال الشاهمة للتمكن من مقاومة الجنود العثمانية المنتظمة وقد اثبتت لجنة التحقيق فوق هذا الاعتراف ان الحكومة العثمانية بارسالها القوة العسكرية لاجتثاث الثورة قد عملت بمقتضى ما يخوله لها القانون من الحقوق

وقد كان لظهور هذه النتيجة وقع سيئ لدى أرباب الجراند الانكليزية ولذلك تراهم قد شددوا الوطأة على الدولة العلية واتسع امامهم المجال لاختلاق الاكاذيب فقالوا ان الاتراك بعد ان ذبحوا آلاف الارمن في جولي جوازت حفروا آبار عميقة ألقوا فيها جثث القتلى ثم غطوها بطبقة من الجير والحقيقة هي ان الجنود العثمانية لما التقت بالعصاة كما أسلفنا استدعتهم الى الرضوخ للطاعة فلما لم يقبلوا اقتلت منهم نحو ٣٠٠ نفس تقريباً فلما انتهت الواقعة جمع العساكر جثث القتلى في حفرة أهالوا عليها الجير كي لا تكون منبعاً للعفونة وبورة للروائح الكريهة التي تعبت بالصحة وهي عادة مرعية في جميع البلاد اذا وقعت فيها فتنة داخلية أدت الي قتل جملة من العصاة. واذا كان الانكليز يجهلون مزية الجير هنا فنقول ان الغرض من وضعه على الجثث هو تعجيل انحلالها ومنع الاذى الذي ينجم عن تصاعد الروائح الكريهة ومنها. والعامل الذي لا تستولي عليه الاغراض الذاتية يحكم معنا بأن هذه الوسيلة الصحية لا يصح اعتبارها من الفظائع التي نسب الانكليز للاتراك ارتكابها ضد فئة الارمن العاصية

وفي أبان شروع اللجنة في التحقيق قلنا كما كان يقول كل أوروبي مجرد عن الاهواء وكل من تتبع أثر المسئلة الارمنية بنفسه ان نتيجة التحقيق ستأتى على نقيض آمال الانكليز وانها لا تثبت شيئاً ضد دولة المشيرزكى باشاقومندان الاوردى الرابع من الجيش العثمانى الذى نيط به انخادفتته الارمن فان جميع الاوروبيين الذين خالطوا دولته جمعون على امتداح سيرته وطهارة أخلاقه وكرم طبعه وصدق ولأنه لجلالة السلطان وكفاءته في المسائل الحربية .

• وانرجع الي الكلام على اللجنة الانكليزية الارمنية فنقول انها لم تدع وسيلة من الوسائل الا تدرعت بها لايهام الرأي العام في أوروبا بأن لجنة التحقيق قد توفرت لديها الشهادات والقرائن الدالة على ارتكاب تركيا ماينسب اليها من الفظائع . ولما كانت الامة الفرنسية في ذلك الحين غير مهتمة بأمر أرمينيا فقد طاف جماعة من الارمن في انحاء فرنسا لالقاء الخطب في هذا الموضوع اثاره لعواطف أهلها وتنشيطاً لهم على التمثل بالانكليز في طلب انقاذهم من مخالب الحكومة العثمانية وقد ألقى رجل اسمه شراسيون خطبة من هذا القبيل بمدينة باريس في وسط جمهور حافل من أهلها وبالغ في وصف حوادث مرسىوان ويوزجات وتالوري وحاول طبع هذه الاوصاف في نفوس السامعين بان أبرز لهم جملة صور فوتوغرافية بعضها يمثل الاتراك وهم يذبجون الارمن أو يطعنون الاطفال والنساء في بطونهم بالخنجر أو يحرقون القرى . غير ان هذه الرسومات لم تفض الى احداث التأثير الذي كان ينتظره الخطيب على قلوبهم اذ لا يخفى ماشتهر به أهالي

باريس من شدة التعجوز والتصديق بعد الامعان والروية فانهم بمجرد القاءهم
النظر على تلك الصور حكوا واثبتوا افتراء ومجرد اختراع لاستحالة وجود
مصورين في بلاد اغلب أهلها يقطنون الجبال واثناء فتنه داخلية لا يعلم
أحد تاريخ وقائعها حتى يستعد المصورون الذين يجب ان يكونوا في هذه الحالة
على جانب عظيم من المهارة والجرارة لاخذ صور تلك الوقائع . وهناك
سبب آخر بث هذا الاعتقاد في خيالاتهم (اي الباريسيين) وهو استحالة
محافظة المذبحين والقتلى على وضع يثبتون فيه اثناء ذبح الاثراك لهم
ارضاء للمصورين كي يتصلوا على صور متقنة خالية من العيوب التي تنشأ
عن تحرك الذات المراد تصويرها . وقد وضع بعض أهالي أميريكارسالة
قال فيها انه رأى صورة فثوغرافية تمثل النساء الارمنيات يلقين أنفسهن
في المهاوي العميقة فراراً من عبث الجنود العثمانية وانه علم بمجرد النظر
اليها انها مقلدة بالتمام من لوحة رسمها مصور شهير يسمى آرى شفر «
وقد عقد بعض اكابر الانكليز بمدينة لوندريه وفي مقدمتهم الدوق
درجيل والدوق وستمنستر واللورد حاكم مدينة ليفربول وبعض رجال
الاكليروس البروتستانتى اجتماعا حافلا في ٧ مايو الماضي عرضوا فيه
ثلاثة أشخاص زعموا انهم من ارمني ساسون مع انهم كانوا لا يفهمون
شيئاً من اللغة الارمنية أو من اللغتين التركية واليونانية الشائعتى الاستعمال
به بلاد الدولة العلية وحصل اجتماع آخر بمدينة شستر في ٦ أغسطس الماضي
التي فيه المستر غلادستون خطبة جعل حشوها الطعن بالحكومة العثمانية
وسأل من الرأى العام اعدام الدولة العلية واستئصالها من الوجود السياسي

مستنداً في طلبه هذا على مقالة نشرتها جريده الديلي تلغراف عن المستر ديون مكاتبها في آسيا الصغرى ضمنها شهادة اص كردي اسمه مونتيجو لا يزال مسجوناً بعد ان صدر عليه حكم محكمة ارضروم بالاعدام لانحصار التهمة فيه بأنه قتل ونهب وهتك وارتكب من اتمظائع ضد الارمن والأتراك أجسمها . غير ان المستر غلادستون تغافل عن تعريف السامعين لخطبته بما اذا كان المستر ديون السالف الذكر يعرف اللغة الارمنية أم لا وهل جميع مصادر الاخبارية مشابهة للشقي مونتيجو . على ان هذا تفصيل دقيق لاتهم الافاضة فيه لما يعلمه القراء من تصديق الذمة البريطانية لكل المصادر والموارد الاخبارية مادامت موافقة لمصالحها بصرف النظر عما اذا كانت تستحق الثقة أم لا .

هذا ما كتبه كاتب مسيحي منصف في حكمه غير متعصب ضد الاسلام . وقد اقتطفنا للقراء كثير من شذرات رسالته الجليلة ليقفوا جميعاً على الحقائق وليكونوا على بينة من أمر الحوادث الارمنية والدسائس الانكليزية وليعلم كل عثمانى وكل مسلم مقدار الكراهة الشديدة التي أظهرتها انكارت الدولة العلية وقد عثرنا في جريدة الطان الفرنسية الصادرة في ١٠ ابريل عام ١٨٩٧ على ترجمة عبارة كتبها أحد كتاب الانكليز في جريده « التيمس » بشأن المسئلة الارمنية . لانري بدامن تعريبها :

« لقد جاء الوقت الذي يجب فيه على الامة البريطانية ان تعلم ان للمسئلة الارمنية وجهاً مظالمًا للغاية : فان الجمعيات الثورية الارمنية هي آفة الامة الارمنية ومصيبتها وانى لا أتردد في ان أصرح — معتمداً في ذلك

على خبرتي الشخصية — بان هذه الجمعيات هي التي يقع عليها النصب الاوفر من مسئولية موت الارمن العديدين الذين قتلوا في الاضطرابات الاخيرة . فماذا يستطيع الانسان ان يقول عن أشخاص يبذرون بذور التعصب بين قومهم ويضحون نفوساً عديدة وأرواحاً حية من بني جلدتهم بقصد الاعلان عن المسئلة الارمنية في أوروبا؟ وفي أية بلدة من بلاد آسيا الصغرى لا يستطيع أحد من الارمن ان يكون آمناً على حياته وأمواله اذا كان أحد أعضاء هاته الجمعيات الثورية مقيماً فيها . فالاغنياء مجبورون ان يشتركو في مصاريف الثورة الارمنية والاقتلوا . واذا تجاسر أحد على القدح في الجمعيات الثورية أو العمل ضدها فقد حياته ولا محالة .

واني لأعرف شيئاً عن الجمعيات الارمنية باوروبا ولكن مارأيته وما عرفته عن هذه الجمعيات الموجودة في الاناضول وفي العجم وفي قفليس يحملني على التأكيد بان الجمعية الثورية الارمنية التي مركزها لوندرة ترمي الى احداث مذابح جديدة لكي تبقى أنظار أوروبا موجهة الى مظالم الاتراك . وفي سلباس وغيرها من المدن التي على حدود بلاد العجم يستعد ثوار الارمن للهجوم على الاتراك المسلمين ولهم هنالك من الرجال المسلحين بين الالفين والثلاثة آلاف ولكن لتركيا من الجنود هنالك نحو الخمسة عشر ألف مقاتل والحكومة العثمانية عالمة جيداً بدسائس الارمن وبنواياهم

هذه هي السياسة التي جرت عليها الجمعيات الثورية في الماضي

ومن المحتمل انها تجري عليها في المستقبل . فأعضاء هذه الجمعيات ومدبروها يريدون إجبار أوروبا على التداخل في أمور تركيا الداخلية بالسلاح والقوة وللوصول الي هذا الغرض تراهم يحدثون ثورات ومذابح هم وحدهم المسؤولون عنها . وهم لا يتأخرون عن تضحية مئات وألوف من بني جلدتهم في هذا السبيل ولكنهم يحترسون غاية الاحتراس من تضحية رجل واحد منهم أنفسهم {

ولا مرء في أن ما كتبه هذا الكاتب الانكليزي في جريدة التيمس المشهورة بتعصبها الشديد ضد الدولة العلية وضد المسلمين لحقيقي لاريب فيه . ولكن هذا الكاتب لم يقل لنا من المسؤول عن تأسيس الجمعيات الارمنية الثوروية وعن تشجيعها . أليس ساسة بريطانيا وكتابها؟؟ ولكن ماذا كره حضرة الكاتب الانكليزي في التيمس اكثر مما كان ينتظر من مثله

* *
*

لقدودت انكتران تتداخل وحدها في المسئلة الارمنية وتقف امام الدولة العلية وجها لوجه ولكن الروسية كانت مصلحتها مخالفة لمصلحة انكترا فكان من الواجب عليها ان تعرفل مساعي الانكليز وان تمنع تأسيس مملكة أرمنية تكون عدوة لها وآلة للانكليز في آسيا الصغري ضدها . وكذلك فرنسا فان مسئلة مصر أفهمت رجال سياستها ان المسئلة الارمنية ليست الاحيلة لمنع الدول من الاشتغال بمسائل وادي النيل ووسيلة لابتلاع مصر . وقد تظاهر المسيو (هانوتو) وزير خارجية فرنسا من أول الازمة الارمنية بالميل للحضرة السلطانية . وفي فترة سقوطه

من الوزارة كتب في جريدة (ريفودي باريس) رسالة على المسئلة الارمنية وعلى اميال جلالة السلطان اثني فيها على الخليفة الاعظم الثناء الجميل وتكلم عن جلالته بصفته من الذين اقتربوا منه وتشدوا معه طويلا وعرفوا خلاله وصفاته وأفكاره السياسية . وقد سمي أعداء تركيا المسيو هانوتو بهانوتو باشا وعبد الهانوتو اظهارا لمحبه جلالة السلطان واعتداله في سياسته نحو الدولة العلية كما سموا جلالة الامبراطور غليوم بعبد الغليوم . ولولا ان الرأي العام افرنساوي كان متهيجا بعض التهيج ضد تركيا بتجريعات أعداء الدولة العلية وأعداء الاسلام لكان المسيو (هانوتو) أظهر علنا ثقته العظمى بالحضرة الساطانية وحقيقة المسئلة الارمنية . الا انه كان مضطرا لان يتكلم عن تركيا بلهجة فيها شيء من الشدة في بعض الظروف ولكن سياسته العمومية كانت ترمي الى منع تداخل انكثرا واحباط مساعيها .

وقد تداخلت فرنسا والروسيا وانكثرا في المسئلة الارمنية عقب حادثة (ساسون) فطلبت عمل تحقيق تام لاطهار حقيقة الحادثة فقبلت الدولة العلية طلبها وسافر مندوبو الدول الثلاث مع المندوبين العثمانيين وكان وصولهم الي (موش) في ٢١ يناير عام ١٨٩٥ وأثبت التحقيق إدانة الارمن وخروجهم عن الطاعة ولو ان المندوب الانكليزي كان يبذل جهده في اثبات اعتداء السلطة العسكرية العثمانية على الارمن . وفي ١١ مايو عام ١٨٩٥ قدم سفراء فرنسا والروسيا وانكثرا للباب العالي مشروع اصلاحات يتضمن العفو عن مجرمي الارمن السياسيين والعفو عمن حكم عليهم بالنفي من الارمن وتأسيس لجنة مراقبة بالاستانة لمراقبة تنفيذ

الاصلاحات وماشا كل ذلك. وقد أشارت فرنسا والروس على جلالة السلطان الاعظم بقبول هذا المشروع فقبله وصدق عليه في ١٧ اكتوبر عام ١٨٩٥ ولكنه رفض تأسيس لجنة مراقبة

وفي أثناء تداخل الدول الثلاث كان ثوار الارمن لا يفتلون لحظة واحدة عن تهيج بنى جلدتهم وأشغال نيران الثورة والفتنة في كل بلاد الاناضول. ولم يكن بين الدول الاوروبية (غير انكلترا) دولة تتظاهر بمساعدة الأرمن الا ايطاليا. فان (كرسبي) انخدع للانكليز في المسئلة الارمنية كما انخدع لهم في افريقيا. أما ألمانيا فانها كانت ضد انكلترا وضد الارمن ولما اشتدت الازمة وكثرت مطاعن الجرائد الانكليزية وبعض الجرائد الاوروبية على جلالة السلطان الاعظم وقف جلالة الامبراطور غليوم وأعلن امام مجلس الرشتاغ الألماني « انه له بجلالة السلطان ثقة تامة وانه لا يمكن الاعتماد على سوي جلالته في قمع الثورة الارمنية واعادة السكينة الى ربوع آسيا الصغرى ». وقد أهاجت هذه العبارة الارمن فأرسلت جمعيتهم الثورية بلوندره الى الدول الاوروبية - ماعدا ألمانيا - كتابا رفعت فيه شكواها ضد الامبراطور غليوم وقالت عنه انه يشجع الجرائم والمجرمين فجعلت بذلك الجمعية الارمنية وظيفتها غير دس الدسائس في تركياتها المملوك وتربيتهم وتعليمهم سياسة الممالك !!

وقد كانت انكلترا تود كما قدمنا التداخل وحدها ولمالم تستطع الى ذلك سبيلا أرسلت الى سالونيك أسطولاً مركباً من ثمانية عشر سفينة حربية بقصد إرهاب الدولة العلية وتهديدها. وفي ٩ نوفمبر عام ١٨٩٥ وقف

اللورد سالسبورى في جيلهال بلوندره وأتى خطبة شديدة اللجة للغاية
 ملأها بالمطاعن ضد الحضرة السلطانية وأندرمسلمين بقرب خلع خليفهم
 وأوهم العالم كله بان دول أوروبا بمتفقة جميعهم مع انكترافى خطتها ونواياها..
 ولما رأت ألمانيا أن الانكليز يريدون التداخل في تركيا مهمما كانت
 النتيجة سألت فرنسا والروسيا اشراك بقية الدول الأوروبية معهم ومع انكترا
 فى المسئلة الارمنية فقبلت وصار سفراء الدول الست بالاستانة يقررون
 كل أمر بالاشتراك. وقد شعرت كل دول أوروبا وقتئذ بانه يستحيل عليها
 ان تتداخل تداخلا عسكريا وان مثل هذا التداخل يجر على العالمين المصائب
 العديدة حيث يكون سببا لثورة عامة من المسلمين فى تركيا وداعية لسفك
 دماء كافة المسيحيين فى الشرق وأصلاحرب أوروبا عامة . وقد اضطر
 اللورد سالسبورى نفسه ان يقول: «مادامت السلطنة العثمانية قائمة فليس
 لاوروبا قوة تضغط بها على تركيا وكل ما فى استطاعتها ان تؤثر على فكر جلالة
 السلطان». فليقارن القاريء بين هذه اللجة وبين لجة اللورد نفسه فى خطبة
 ٩ نوفمبر عام ١٨٩٥ يوم قال ان دول أوروبا كلها متفقة مع انكترا وانذرنا معاشر
 المسلمين ومعاشر العثمانيين بقرب خلع صاحب الخلافة العظمى !!

وقد توالى الاضطرابات والثورات فى آسيا الصغرى ولم يرضخ
 أهالى (الزيتون) الا بتداخل الدول الأوروبية، ولما كان الانكليز
 يوالون الارمن على الدوام بالتشجيع والمساعدة فقد هجم جماعة من
 فوضوييهم على البنك العثمانى فى أغسطس عام ١٨٩٦ ولم يسلموا أنفسهم
 الا بتداخل الدول وبتعهد السفراء بعدم تسليمهم للحكومة العثمانية

وتركهم يسافرون من الاستانة الى الخارج . وقد أحدثت هذه الحادثة هياجاً عاماً في الاستانة وكانت الطامة الكبرى على الارمن . ونادى عندئذ أعداء تركيا والاسلام بالويل والثبور ووجهوا الى الدولة العلية والى جلالة السلطان الاعظم سهام الملام والشتائم ولكن هؤلاء المتعصبين تجاهلوا ما حصل في كل بلاد أوروبا وما يحصل لوقامت فئة بالثورة في وجه الحكومة الشرعية . فإذا عملت انكلترا ضد ايرلندا عند ما ثارت وماذا عملت وماذا تعمل ضد الهنود ؟ وماذا عملت فرنسا ضد الجزائر وماذا تعمل الآن لوثار أهالي احدي مستعمراتها ضدها ؟ بل ماذا تعمل لوقام في فرنسا جماعة كاليهود مثلاً وثاروا في وجهه حكومة الجمهورية ؟

لاجرم ولامرء في ان أهل تركيا من المسلمين معذورون اذا كانوا أجابوا على اعتداء الارمن عليهم وقيامهم في وجه الدولة العلية بالاعتداء عليهم فهذا واجب تفرضه عليهم الوطنية الحققة . وما ثوار الارمن في نظر المنصفين الا خونة قائمون بتنفيذ أوامر الاجنبي

وقد اتفقت الدول الاوروبية على وضع مشروع جديد للاصلاحات في ارمينيا وأخذ سفرأوها بالاستانة يتداولون من ٢٦ ديسمبر عام ١٨٩٦ الي ١٠ فبراير عام ١٨٩٧ . ولكن المسئلة الكريدية خلقتها يد الدسائس البريطانية فألست أوروبا ارمينيا ومسئلتها

هذا يجعل تدخل الدول في مسئلة الارمن أتينا عليه بالايجاز

*

**

لقد أنتجت الحوادث الارمنية عدة نتائج خطيرة . فأثبتت ان انكلترا

هي أشد الدول كراهة للدولة العلية وللإسلام وأكثرها رغبة في هدم السلطنة العثمانية وتقويض أركان الخلافة الإسلامية وأبانت للذين كانوا يظنون انكترا الصديقة الطبيعية للدولة العثمانية انها العدو الحقيقية الخداعة التي تلبث ثياب الصداقة طورا وثياب العداوة طورا آخر عاملة في الحالتين على الاضرار بالدولة العلية وعلى إضعاف نفوذ المسلمين . ولم يبق ريب بعد الحوادث الارمنية ووقوف العالم أجمع على دسائس الانكليز فيها في ان انكترا كانت تريد حل المسئلة الشرقية بتقسيم الدولة العلية وانها بلوغ هذا الغرض طلبت من الدول الأوروبية دخول البوسفور بالقوة وخلع جلالة السلطان الاعظم قهراً . وقد فاه هذا التصريح الخطير المسيو (هانوتو) وزير خارجية فرنسا حيث قال في مجلس النواب الفرنسي للمعترضين على سياسته مامعناه : (ماذا كنتم تقولون لو كنا قبلنا طلب الدولة التي سألت أوروبا دخول البوسفور بالقوة وانزال جلالة السلطان من علوة مقامه وخلمه من ملكه ؟) وما انتشرت هذه الخطبة في أوروبا حتى قالت الجرائد كلها واعتقد الناس كافة ان المسيو (هانوتو) قصد بعبارة هذه انكترا . ولم يزد انكار وكيل خارجية انكترا هذا الاعتقاد الاثبوتا

وقد برهنت الحوادث الارمنية على ان انكترا هي عدوة المسيحيين في الشرق . فهي وحدها المسؤولة عن دماء الذين ماتوا من الارمن ضحية لسياستها و فريسة لاغراضها . وإن المسئلة الارمنية لدرس مفيد للمسيحيين في الشرق يرشدهم الى ان اتباع الايعازات الاجنبية ضار بهم كل الضرر وان سلامتهم وسلامة أبنائهم من بعدهم هي في التعلق بالدولة العلية

والاخلاص في خدمتها . وان ذكرى الحوادث الارمنية تجعلنا نؤمل حصول الاتفاق التام والوفاق السليم بين المسيحيين والمسلمين في كافة انحاء المملكة العثمانية . فقد وجب على بني الدولة جميعاً أن يخدموا الوطن العثماني بالاتفاق وأن يتحدوا ضد الاجنبي فالدين الاسلامي والدين المسيحي متفقان على وجوب خدمة الوطن وعلى ان كل من يعمل ضد وطنه يكون خائناً ليس أحط منه في طبقات الهيئة الاجتماعية أحد وكان من نتائج الحوادث الارمنية ان أوروبا فقدت ثقتها بانكترا ووقفت لها في كل أمر بالمرصاد . إذ تبين لها ان سواس بريطانيا يريدون اصطلاء نيران الحرب العامة في أوروبا لتبقى انكترا على الحيادة وتستفيد كما تبغى . ولولا ارياب الدول الاوروبية في نوايا انكترا لكانت قامت الحرب في أوروبا وانتشر لهيب الهيجان والحرب من اليونان الى البلقان . ولا شك ان هذه النتيجة خطيرة في السياسة الدولية فبسوء ظن الدول بانكترا تسلم أوروبا من الحرب ومن عواقبها الوخيمة وتسلم الأمم من الوقوع في شرك الدسائس الانكليزية وبالجملة يسلم العالم بأسره وما علم المسلمون بحقيقة المسئلة الارمنية وبدسائس الانكليز ضد الخلافة الاسلامية حتى اظهروا تعلقهم الشديد بجلالة الخليفة الاعظم ونادوا جميعاً بالاخلاص لسدته والاستعداد للدفاع عن عرشه الجليل . وهذه النتيجة لم تكن للانكليز في الحسبان فقد ظنوا انهم ببعض الخوارج يستطيعون تفير المسلمين من صاحب الخلافة العظمى فشجعوا فريقاً من أعداء جلالة السلطان يدعى رجاله انهم مسلمون وما هم في الحقيقة الا خوارج لادين

لهم ولا مذهب . ولكن المسلمين ليسوا بسذج يستطيع الانكليز ان
يخدعوهم لهذا الحد فقد ثبتوا في اخلاصهم الصادق للامام الاعظم واتفوا
أجمعين حول رايته الاسلامية وأثبتوا بذلك على ان الاعتداء على جلاله الخليفة
اعتداء على المجموع الاسلامي وان الطاعنين في جلاله الخليفة طاعنون في
الاسلام نفسه

وقد كان اللورد سالسبورى يتباهى في الخطبة التي ألقاها بجيلدهال
يوم ٩ نوفمبر عام ١٨٩٥ بأن مسلمي الهند من أصدق رعايا جلاله الملكة .
فما بال الانكليز ينسبون الآن ثورة الهند لمساعي جلاله السلطان
الاعظم ولنفوذه عند المسلمين . أهل كانوا يجهلون هذا النفوذ العظيم يوم
كانوا يطعنون على جلالته الطعن السافل ويدسون ضد حكومته الدسائس
العديدة ويقترحون على دول أوروبا خلع جلالته بالقوة والقهر؟

ومن النتائج الخطيرة التي أنتجتها الحوادث الارمنية ظهور جلاله السلطان
الاعظم أمام العالمين بمظهر السياسي النادر المثال والسلطان الامين على مصالح
رعاياه . فقد توالى زواج الحوادث الارمنية وصواعقها وجلالة السلطان
الاعظم ثابت ثباتا عجيبا لا يهتز كرسى ملكه لا كبر حادثة ولا لاعظم
تهديد . والذين كانوا يجهلون قدرة جلاله السلطان الاعظم وسطوته ومهارته
كان يخيل لهم عند قراءة الجرائد الانكليزية أيام الحوادث الارمنية ان حكم
جلالته قارب الانتهاء بل ان الدولة نفسها قاربت الزوال . ولكن السياسة
الحمدية النبيلة فازت بالنجاح والفلاح وانقذت الدولة العثمانية والاسلام
من اكبر الاخطار وأشد البلايا حتي ان المستر (غلاستون) زعيم اعداء

المسلمين اعترف بأعلي صوته بان السياسة الحميدية تغلبت على السياسة البريطانية
وقهرتها في المسئلة الارمنية،

وان عناية جلالة السلطان الاعظم بدولته العلية وبالاسلام تفرض
على العثمانيين كافة والمسلمين عامة ان يخلصوا لسدته الشاهانية الاخلاص
الصاديق الاكيد وان يعاونوا اجلالته على اصلاح الاحوال ودفن النوائب
والاخطار حتى يعود للدولة العثمانية مجدها القديم ويلبس الاسلام ثياب العز
والرفعة السرمدية

اللهم احفظ جلالة السلطان الاعظم والخليفة الاكبر الغازي * عبد
الحميد الثاني * وحقق على يديه آمال العثمانيين والمسلمين وأتقدم صر
بلادنا العزيزة من أيدي الانكيز واحفظ لها في ظل جلالة مولانا السلطان
الاعظم سمو الحديد المحبوب * عباس حلمي باشا الثاني * . انك
سميع مجيب



✦ خطأ و صواب ✦

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
بالامتثال	لامتثال	٠٤	١٠
يجود	يجوز	٠٦	١٣
تدبرها	تدبر أمورها	٠١	٢٢
مستقبل	مستقبل	٠٣	٢٢
فريدريك	فريدريك	٠٩	٢٤
جهدهما	جهدهم	٠٩	٢٥
في الاستانة	من الاستانة	٠٨	٢٦
كانت تشجع	تشجع	١٠	٢٩
مذكراته	مذاكراته	١٨	٣٠
اكتوبر	اكتوبر	٠٣	٣٣
شوازيل	شؤزيل	١٣	٣٤
في احباط	على احباط	١٣	٣٨
الحرب	الجرب	١٨	٤٠
الاتفاق	لاتفاق	٠١	٤٣
سبيا	سبيا	٠٥	٤٤
استقلال	استقلال	٠٨	٥٠
عظيم	عظيم	٠١	٥٥
الدينئة	لدينئة	١٨	٦٤

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
السرقه	السرقه	٠٦	٠٦٥
تهديدها	تهديدها	٠٣	٠٦٧
الانكليزيين	الانكليزيان	٠٦	٠٧٤
لوبلان	لويلان	٢٠	٠٧٥
حير	حبر	٢٠	٠٨٤
ساف	ساقب	١١	٢٠٣
ملا	ومالا	٠٩	٢٠٣
عده	وعده	١٦	٢٠٣
بعدان سافرا تقابلا	لم يسافرا وتقابلا	١٣ و ١٢	٢٢١



صحيفة

٠٠٣ الفاتحة

٠٠٥ المسئلة الشرقية

٠٢٤ المسئلة الشرقية في القرن الثامن عشر

٠٥٠ المسئلة الشرقية في القرن التاسع عشر

٠٥٠ الازمة الاولى — استقلال اليونان

٠٨٧ الازمة الثانية — مسئلة الشام بين مصر والدولة العلية

١٠٥ كتاب من { محمد على باشا } الى (لويس فيليب) ملك فرنسا

١١٠ الازمة الثالثة — حرب القرم

١٤٢ الازمة الرابعة — الحرب بين الدولة العلية وروسيا عام ١٨٧٧

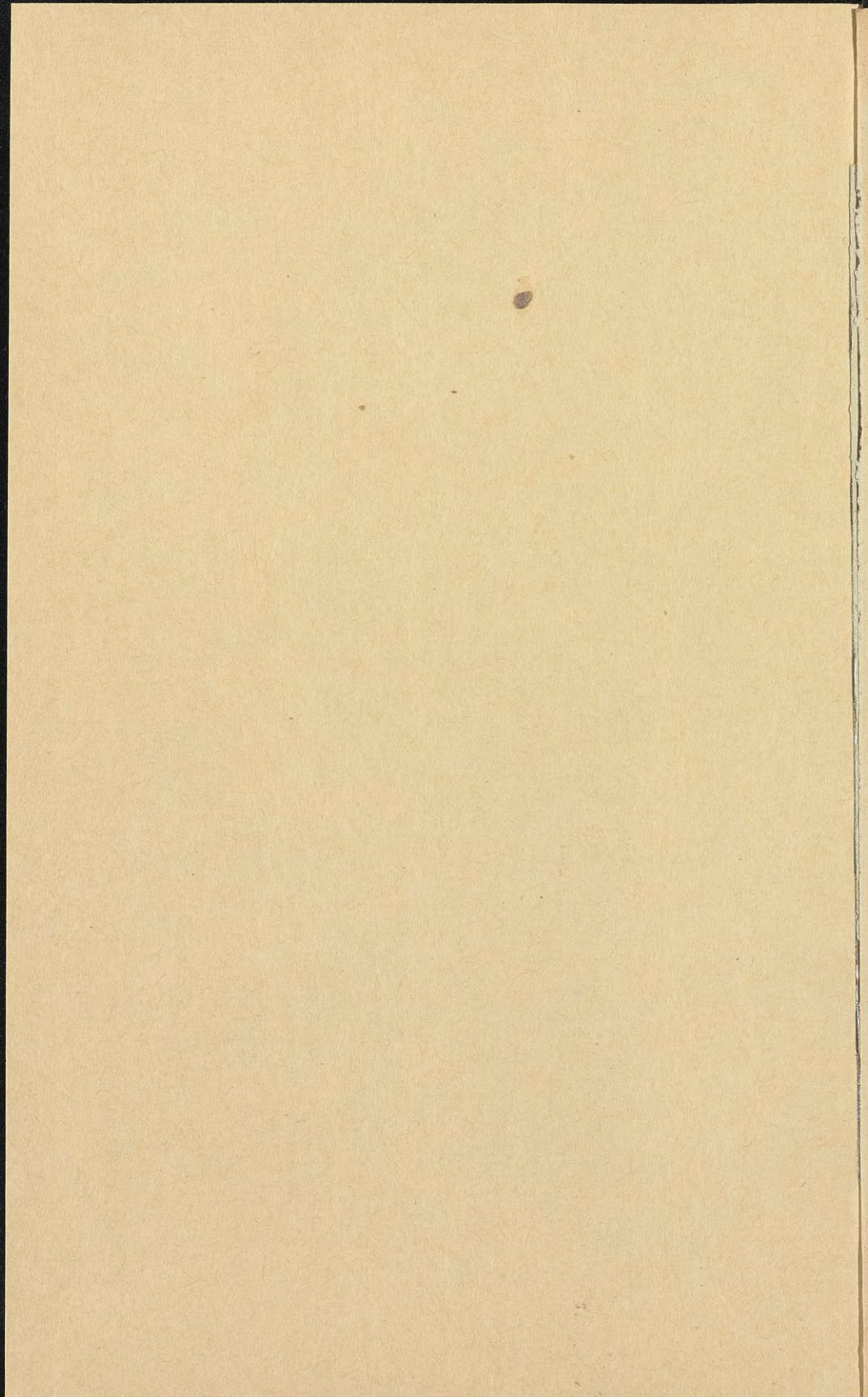
١٩١ مابعد مؤتمر برلين

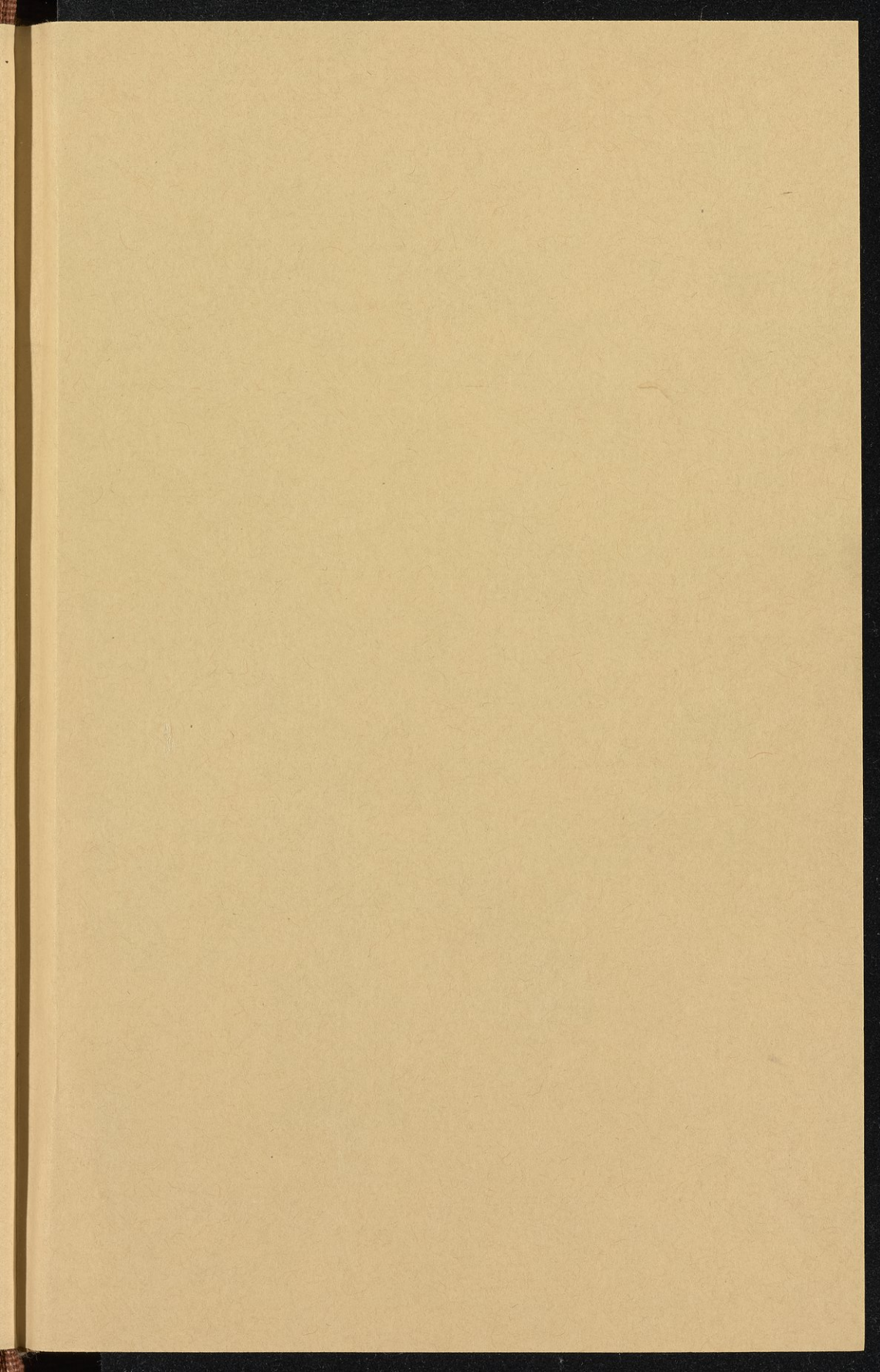
٢١٤ الازمة الخامسة — المسئلة المصرية

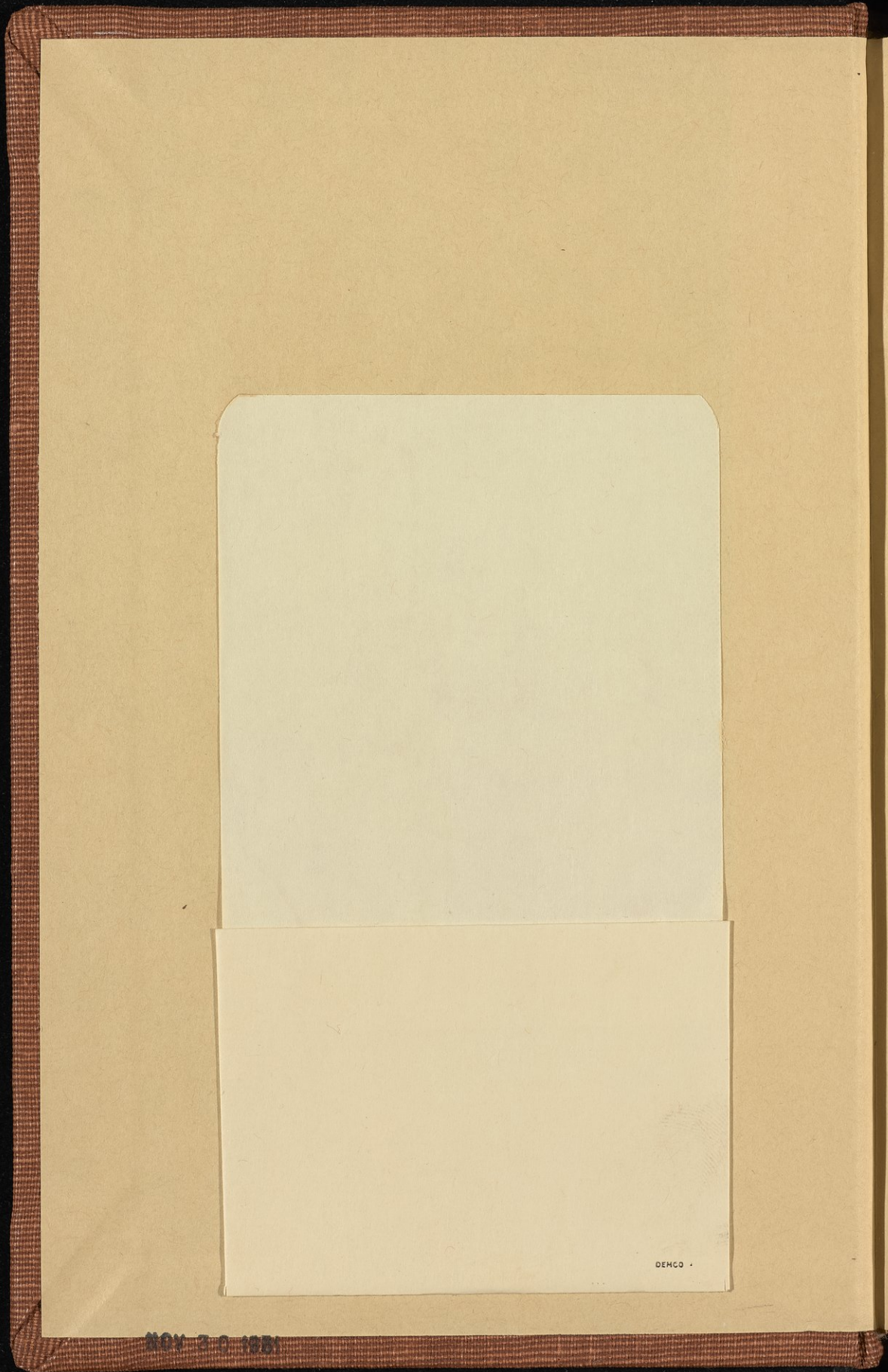
٢٨١ الازمة السادسة — المسئلة البلغارية والمسئلة اليونانية من عام ١٨٨٥

الي عام ١٨٨٧

٣٠٠ الازمة السابعة — المسئلة الارمنية







[Blank pasted paper]

[Blank pasted paper]

DEMCO

NOV 20 1951

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU52765164

D374 .M84

Kitab al-masalah al-